الاربعين في
اصول الدين
الغزالي

189
أ٠غ

(كتاب) الاربعين في أصول الدين، تأليف محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ابو حامد، حجة الاسلام (٤٥٠-٥٠٥هـ) كتبت سنة ٨١٠هـ.

١٤٤ق ١٥س ١٦×١١,٥سم

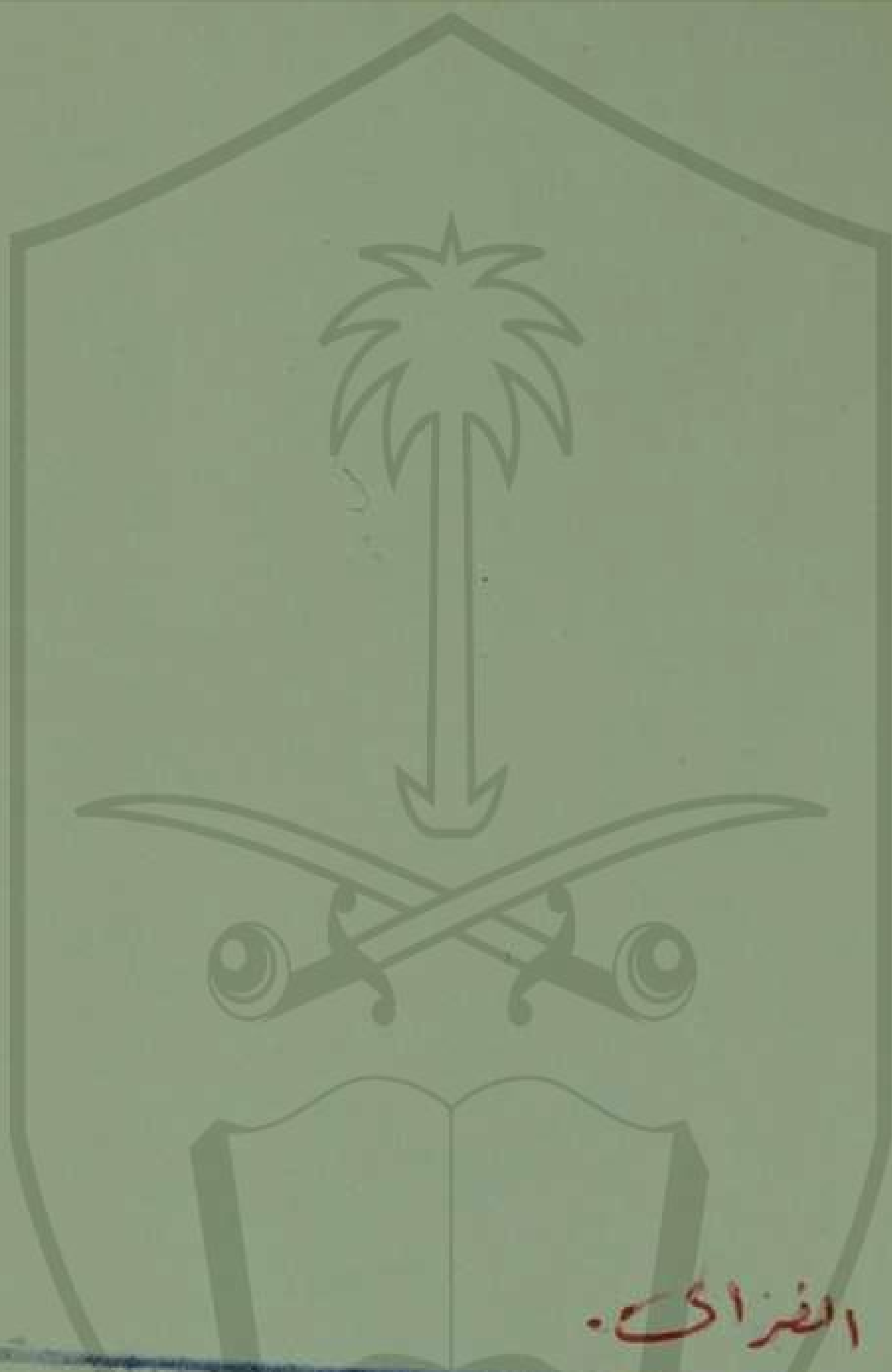
١٣٠٧ نسخة حسنة، خطها معتاد، ناقصة الديباجة، مطبوع

الاعلام ٧: ٢٤٧؛ كشف الظنون ٦١؛ ٦١٥

١- الفلسفة الاسلامية في العصور الوسطى

أ- الغزالي، محمد بن محمد ٥٠٥هـ

ب- تاريخ النسخ.



المدخل: الغزالي.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب اربعين في اصول الدين

تأليف حجة الاسلام ابو حامد الغزالي

الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير عملا

من جاء بالحسنة فله عشر امثالها

الأربعين في اصول الدين للغزالي

كتاب اربعين عشرة اصول في العقايد

وعشرة اصول في الاعمال الظاهرة

وعشرة اصول في الاخلاق المذمومة

وعشرة اصول في الاخلاق الحميدة

الاصل الاول في الذات والثاني في التقديس

والثالث في القدرة والرابع في العلم والخامس في الارادة وههنا تفصيل

والسادس في السمع والبصر والسابع في الكلام والثامن في الافعال

والتاسع في اليوم الاخر والعاشر في النبوة هذه في العقايد

والاعمال فالاصل الاول في الصلوة والثاني في الزكوة والثالث في الصيام والرابع في الحج والخامس في قراءة القران والسادس في ذكر الله والسابع في طلب الحلال والثامن في القيام بحقوق في رعاية الحقوق والتاسع في الامر بالمعروف والعاشر في اتباع السنة

لله هذه الكتاب وراثة من القادري الى صاحبه ثواب الجزيل



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله اجمعين

اما بعد هذا **كتاب الاربعين في اصول الدين**

وهو القسم الثالث من اقسام الكتاب وهو قسم اللواحق ولعلك

تقول هذه الايات التي اوردتها في القسم الثاني تشتمل على اصناف

من العلوم والاعمال مختلطة فهل يمكن تمييز مقاصدها وشرح

جملها على وجه التفصيل والتحصيل ليمكن التفكر في كل واحدة

منها على حدة ليعلم الانسان تفصيل ابواب السعادة في

العلم والعمل وييسر عليه تحصيل مفاتيحها بالمجاهدة والتفكر

فاقول نعم ذلك ممكن فانه ينقسم جمل مقاصدها الى علوم و

اعمال والاعمال تنقسم الى ظاهرة وباطنة والباطنة تنقسم الى تزكية

وتحلية فيحصل اربعة اقسام علوم واعمال ظاهرة واخلاق مذمومة



التزكية عنها واخلاق محمودة تجب التحلية بها وكل قسم يرجع

الى عشرة اصول واسم هذا القسم كتاب الاربعين في اصول الدين

فمن شاء ان يكتبه مفردا فليكتبه فانه يشتمل على زبدة علوم القرآن

الخلاصة

١

وانخفاضه وذلك بتقدير سعة الثقب الذي يخرج منه الماء و

يعرف ذلك بطريق الحساب فيكون نزول الماء بمقدار معلوم

بسبب تقدير سعة الثقبة بقدر معلوم ويكون انخفاض اعلى الماء

بذلك المقدار وبه يتقدر انخفاض الآلة المجوفة وانجرار الخيط

بها المشدود وتولد الحركة في الظرف الذي فيه الكرة وكل ذلك

يتقدر بتقدير نسبة لا يزيد ولا ينقص ويمكن ان يجعل وقوع

الكرة في الطاس سببا لحركة اخرى ويكون الحركة الاخرى سببا

لحركة ثالثة وهكذا الى درجات كثيرة حتى يتولد منها حركات

عجيبة مقدرة بمقادير محدودة وسببها الاول نزول الماء

بقدر معلوم فاذا تصورت هذه الصورة **فاعلم** ان واضعها

يحتاج الى ثلثة امور **اولها** التدبير وهو الحكم بانه ما الذي

ينبغي ان يكون من الآلات والاسباب والحركات حتى يؤدي

الى حصول ما ينبغي ان يحصل وذلك هو الحكم **والثاني** ايجاد هذه

الآلات التي هي الاصول وهي الآلة الاسطوانية لتحوي الماء والآلة

المجوفة لتوضع على وجه الماء والخيط المشدود بها والظرف الذي فيه

الكرة والطاس الذي تقع فيه الكرة وذلك هو القضاء والثالث نصب
سبب يوجب حركة مقدرة محسوبة محدودة وهو ثقب اسفل
الآلة ثقبة مقدرة السعة ليحدث بنزول الماء منها حركة في الماء
تؤدي الى حركة وجه الماء بنزوله الى حركة الآلة المجوفة الموضوعة
على وجه الماء ثم الى حركة الخيط ثم الى حركة الظرف الذي فيه الكرة
ثم الى حركة الكرة ثم الى الصدمة بالطاس اذا وقعت في الطاس
الحاصل منها ثم الى تنبيه الحاضرين واستماعهم ثم الى حركاتهم
في الاشتغال بالصلوات والاعمال عند علمهم بانقضاء الساعة
وكل ذلك يكون بقدر معلوم ومقدار مقدر بسبب تقدير جميع
بقدر الحركة الاولى وهي حركة الماء فاذا فهمت ان هذه الآلات
اصول لابد منها للحركة وان الحركة لابد من تقديرها ليتقدر ما يتولد
منها فكذلك فافهم حصول الحوادث المقدرة لا يتقدم منها شيء
ولا يتأخر اذا جاء اجلها اي حضر سببها وكل ذلك بمقدار معلوم ان
الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا فالسموات والافلاك والكواكب
والارض والبحر والهواء وهذه الاجسام العظام في العالم كتلك الآلات

والسبـ

والسبب المحدد للافلاك والكواكب والشمس والقمر بحسبان معلوم كتلك الثقبة
الموجبة لنزول الماء بقدر معلوم وافضاء حركة الشمس والقمر والكواكب الى حصول
الحوادث في الارض كافضاء حركة الماء الى حصول تلك الحركات المفضية الى
سقوط الكرة المعرفة لانقضاء الساعة ومثال تداعي حركات السماء الى
تغييرات الارض هو ان الشمس بحركتها اذا بلغت الى المشرق واستضاء العالم
وتيسر على الناس الابصار فتيسر عليهم الانتشار في الاشغال واذا بلغت المغرب
تعذر عليهم ذلك فرجعوا الى المساكن واذا قربت من وسط السماء وسامتت رؤس
اهل الاقاليم حمي الهواء واشتد القيظ وحصل نضج الفواكه واذا بعدت حصل الشتاء
واشتد البرد واذا توسطت حصل الاعتدال فظهر الربيع وانبتت
الارض وظهرت الخضرة وقس بهذه المشهورات التي تعرفها الغرائب
التي لا تعرفها فاختلاف هذه الفصول كلها مقدرة بقدر معلوم لانها
منوطة بحركات الشمس والقمر والشمس والقمر بحسبان اي حركاتهما بحساب
معلوم فهذا هو التقدير ووضع الاسباب الكلية هو القضاء والتدبير
الاول الذي هو كلمح البصر هو الحكم وكما ان حركة الآلة والخيط والكرة ليست
خارجة عن مشيئة واضع الآلة بل ذلك هو الذي اراده بوضع الآلة فكذلك
كل ما يحدث في العالم من الحوادث شرها وخيرها نفعها وضرها غير
خارج عن مشيئة الله تعالى بل ذلك مراد الله ولاجله دبر اسبابه وهو المعنى
بقوله ولذلك خلقهم وتفهيم الامور الالهية بالامثلة العرفية عسير لكن

المقصود من الامثلة التنبيه فدع المثال وتنبه للغرض واحذر من التمثيل
والتشبيه الاصل السادس في السمع والبصر وانه تعالى سميع بصير
يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رؤيته
مرئي وان دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى
من غير حدقة واجفان ويسمع من غير اصمخة واذان كما يعلم من
غير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا يشبه
صفاته صفات الخلق كما لا يشبه ذاته ذوات الخلق الاصل
السابع في الكلام وانه متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام ازلي
قديم قائم بذاته لا يشبه كلامه كلام الخلق ولا يشبه ذاته ذات
الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء واصطكاك اجرام
ولا حرف ينقطع باطباق شفة وتحريك لسان وان القرآن
والتورية والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله وان القرآن
مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب فانه
مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق
بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى عليه السلام سمع كلام
الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله سبحانه من
غير شكل ولا لون واذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما

قادرا مريدا سميعا بصيرا والكلام لا بمجرد متكلما بالحياة والعلم
والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات الاصل
الثامن في الافعال وانه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفائض
من عدله على احسن الوجوه واكملها واتمها واعدلها وانه حكيم في
افعاله عادل في اقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد
يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله سبحانه
فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه
من جن وانس وشيطان وملك وسماء وارض وحيوان ونبات
وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته
بعد العدم اختراعا وانشاه انشاء بعد ان لم يكن شيئا مذكورا اذ
كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق اظهارا
لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره
اليه ولا لحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب
ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة
والامتنان اذ كان قادرا على ان يصب على عباده انواع العذاب

ويبتليهم بضروب الآلام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا
ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما وانه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم
والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور
منه ظلم ولا يجب عليه لاحد حق وان حقه في الطاعات وجب على
الخلق بايجابه على لسان انبيائه لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل
واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره ونهيه ووعده
ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤوا به الاصل التاسع
الاخر في اليوم وانه يفرق بالموت بين الارواح والاجسام ثم يعيدها
فيبعث اليها عند الحشر والنشور فيبعثر من في القبور ويحصل ما في
الصدور فيرى كل مكلف ما عمله من خير او شر محضرا ويصادف
دقيق ذلك وجليله مسطرا في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصيها ويعرف كل واحد مقدار عمله خيره وشره
الاعمال بمعيار صادق يعبر عنه بالميزان وان كان لا يساوي ميزان
ميزان الاجسام الثقال ولا يساوي الاصطرلاب الذي هو
ميزان المواقيت والمسطرة التي هي ميزان المقادير والعروض

الذي

من باطنك الدم الذي تحيى ضرورة في الحياة الدنيا الا ان الفضل لك ام له
فالذي يخرج عن باطنك رذيلة البخل وضررها في الحياة الآخرة
اولى بان تراه متفضلا الثالث ان تخرج من اطيب اموالك
واجودها قال الله سبحانه ويجعلون لله ما يكرهون وقال ولا
تيمموا الخبيث منه تنفقون الآية وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
طيب لا يقبل الا الطيب يعني الحلال فان المقصود من هذا اظهار
درجة الحب والانسان يؤثر الاحب اليه الانفس دون الاخس
الرابع ان تعطي بوجه طلق مستبشر وانت به فرحان غير متكره
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق درهم مائة الف والما اراد به
ما يعطيه عن بشاشة وطيب نفس من انفس ما له واجوده فذلك
افضل من مائة الف مع الكراهة الخامس ان تتخير لصدقتك محلا
تزكو به الصدقة وهو المتقي العالم الذي يستعين بها على طاعة
الله عز وجل وتقواه او الصالح المعيل ذو الرحم فان لم تجمع هذه
الاوصاف فتزكو الصدقة باحادها ايضا ودرجة الصلاح اصل
الامور فيما الدنيا الا بلغة للعباد وزاد لهم الى المعاد فليصرف

مثل المسافرين اليه المتخذين هذه الدار منزلا من منازل الطريق
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك
الا تقي الاصل الثالث في الصيام قال رسول الله صلى الله عليه
يقول الله سبحانه كل حسنة بعشر امثالها الى سبع مائة ضعف
الا الصيام فانه لي وانا اجزي به وقال لكل شي باب وباب
العبادة الصوم وانما كان الصوم مخصوصا بهذه الخواص لامرين
احدهما انه يرجع الى الكف وهو عمل سر لا يطلع عليه غير الله
لا كالصلوة والزكوة وغيرهما والثاني انه قهر لعدو
الله فان الشيطان هو العدو ولن يقوى العدو الا بواسطة
الشهوات والجوع يكسر جميع الشهوات التي هي آلة الشيطان
فلذلك قال عليه السلام ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم
فضيقوا مجاري الشيطان بالجوع وهو سر قوله عليه السلام اذا
دخل رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النيران و
صفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي
الشر اقصر واعلم ان الصوم بالاضافة الى مقداره على ثلاث

درجات

وبالاضافة الى اسراره
على ثلاث درجات صح

درجات اما درجات مقداره فاقلها الاقتصار على شهر رمضان
واعلاها صوم داود عليه السلام وهو ان تصوم يوما وتفطر يوما
وفي الخبر الصحيح ان ذلك افضل من صوم الدهر وانه افضل الصيام
وسره ان من صام الدهر صار الصوم له عادة فلا يحس بوقعه
في نفسه بالانكسار وفي قلبه بالصفاء وفي شهواته بالضعف فان
النفس انما تتاثر بما يرد عليها لا بما مرنت عليه فلا يبعد
هذا فان الاطباء ايضا نهوا عن اعتياد شرب الدواء
وقالوا ان تعود ذلك لم ينتفع به اذا مرض اذ يالفه مزاجه
فلا يتاثر به واعلم ان طب القلوب قريب من طب الابدان
وهو سر قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو لما كان يساله عن
الصوم فقال صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من ذلك
فقال لا افضل من ذلك ولذلك لما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان فلانا صام الدهر فقال ما صام ولا افطر كما قالت عائشة
رضي الله عنها الرجل كان يقرا القرآن ... ان هذا ما قرا
القرآن ولا سكت واما الدرجة المتوسطة فهو ان تصوم ثلث الدهر

ومهما صمت الاثنين والخميس واضفت اليه رمضان فقد صمت
من السنة اربعة اشهر واربعة ايام وهو زيادة على الثلث لكن
لابد ان ينكسر يوم في ايام التشريق فيرجع الزيادة الى ثلاثة
ايام ويتصور ان ينكسر في العيدين يومان فتكون ثلاثة ايام
فيرجع الزيادة الى يوم واحد فما اقل حياء من يجد فلا ينبغي
ان ينقص من هذا القدر شيء فانه خفيف على النفس وثوابه
جزيل واما درجات اسراره فثلاث ادناها ان تقتصر على
الكف عن المفطرات ولا تكف جوارحك عن المكاره وذلك صوم
العوام وهو قناعتهم بالاسم الثانية ان تضيف اليه كف الجوارح
فتحفظ اللسان عن الغيبة والعين عن النظر بالريبة وكذا سائر
الاعضاء الثالثة ان تضيف اليه صيانة القلب عن الفكر
والوسواس وتجعله مقصورا على ذكر الله تعالى وذلك صوم خصوص
الخصوص وهو الكمال ثم للصيام خاتمة بها يكمل وهو ان يفطر على
طعام حلال لا على شبهة وان لا يستكثر من اكل الحلال بحيث
يتدارك ما فاته ضحوة فيكون قد جمع بين الاكلتين دفعة

واحدة

فيثقل معدته وتقوى شهوته ويبطل سر الصوم وفائدته
ويفضي الى ان يتكاسل عن التهجد وربما لم يستيقظ قبل الصبح
وكل ذلك خسران وربما لا يوازيه فائدة الصوم الاصل الرابع
في الحج قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه
سبيلا وقال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء
يهوديا وان شاء نصرانيا وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس
الحديث وللحج اعمال ظاهرة ذكرناها في كتاب الاحياء وننبه
الان على آداب دقيقة واسرار باطنة اما الآداب فسبعة الاول
ان تتزود للطريق رفيقا صالحا ونفقة طيبة حلالا فالزاد
الحلال ينور القلب والرفيق الصالح يذكر الخير ويزجر
عن الشر الثاني ان تخلي يدك عن مال التجارة كيلا يتشعب فكره
وينقسم خاطره ولا يتمحض للزيارة قصده الثالث ان توسع
في الطريق بالطعام وتطيب الكلام مع الرفقاء والمكارين والرابع
ان تترك الرفث والجدال والتحدث بالفضول وامر الدنيا
بل يقصر لسانه بعد مهمات حاجاته على الذكر وتلاوة القرآن

الخامس ان يركب راحلة دون المحمل ويكون رث الهيئة اشعث
اغبر غير متزين بل على هيئة المساكين حتى لا يكتب في زمرة
المترفين السادس ان ينزل عن الدابة احيانا ترفيها للدابة
وتطييبا لقلب المكاري وتخفيفا للاعضاء بالتحرك ولا يحمل
الدابة ما لا تطيق بل يرفق بها ما امكن السابع ان يكون
طيب النفس بما انفق من نفقة وبما اصابه من تعب وخسران
وان يرى ذلك من آثار قبول الحج فيحتسب الثواب عليه واما
الاسرار فكثيرة نرمز منها الى فنين احدهما انه وضع بدلا
عن الرهبانية التي كانت في الملل كما ورد به الخبر فجعل الله
سبحانه الحج رهبانية لامة محمد صلعم فشرف البيت العتيق
واضافه الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه
حرما لبيته تفخيما لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء
حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه
على مثال حضرة الملوك ليقصده الزوار من كل فج عميق شعثا
غبرا متواضعين لرب البيت خضوعا لجلاله واستكانة

مع الاعتراف بتنزهه عن ان يكتنفه بيت او يحويه مكان ليكون في ذلك ابلغ
في رقهم وعبوديتهم ولذلك كلفهم اعمالا غريبة لا تناسب الطبع والعقل ليكون
بحكم محض العبودية وامتثال الامر من غير معاونة باعث آخر وهذا سر عظيم
في الاستعباد ولذلك قال عم لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا الثاني ان هذا
السفر وضع على مثال سفر الآخرة فليتذكر المريد بكل عمل من اعماله امرا من
امور الآخرة موازيا له فان فيه تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر المستبصر
فتذكر من اول سفره عند وداع اهله وداع الاهل في سكرات
الموت ومفارقة الوطن الخروج عن الدنيا ومن ركوب الجمل ركوب
الجنازة ومن الالتفاف في ثوب الاحرام الالتفاف في اثواب الكفن
ومن دخول البادية الى الميقات ما بين الخروج عن الدنيا الى ميقات
القيامة ومن هول قطاع الطريق سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي
عقارب القبر وديدانه ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة
القبر ووحدته ومن التلبية اجابة داعي الله عز وجل عند البعث
وكذلك في ساير الاعمال فان في كل عمل سرا وتحته رمزا ينتبه
له كل عبد بقدر استعداده للتنبيه بصفاء قلبه وقصور همته

على مهمات الدين الاصل الخامس في قراءة القرآن قال رسول الله صلعم
افضل عبادة امتي قراءة القرآن وقال لو كان القرآن في اهاب
ما مسته النار وقال ما من شفيع افضل منزلة عند الله يوم القيامة
من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال يقول الله سبحانه من شغله قراءة
القرآن عن دعائي ومسألتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين واعلم ان
لقراءة القرآن آدابا ظاهرة واسرارا باطنة اما الآداب الظاهرة فثلثة
الاول ان تقرأه باحترام وتعظيم ولن تلزم الحرمة قلبك ما لم تلزم هيئة
الحرمة ظاهرك وقد عرفت كيفية علاقة القلب بالجوارح ووجه ترشح
الانوار منها اليه وهيئة الحرمة ان تجلس وانت على الطهارة
ساكنا مطرقا مستقبل القبلة غير متكئ ولا متربع ولا قائم كما تجلس بين
يدي المقرئ وتقرأه بترتيل وتفخيم وتؤدة حرفا حرفا
من غير هذرمة قال ابن عباس رضي الله عنه لان اقرأ اذا زلزلت
والقارعة اتدبرهما احب الي من ان اقرأ البقرة وآل عمران
هذرمة الثاني ان تتشوف في بعض الاوقات الى اعلى
درجات الفضل فيه وذلك بان تقرأ في الصلوة قائما خصوصا

حصولها في المسجد وبالليل فان القلب في الليل اصفى لانه افرغ فانك
وان خلوت بالنهار فتردد الخلق وحركاتهم في اشغالهم تحرك باطنك و
تشغلك عن ان كنت تتوق الى ان تطلب شغلا من الاعمال والاشتغال وكيف
ما قرأته ولو مضطجعا على غير طهارة فلا تخلو عن الفضل فان الله تعالى
اثنى على الجميع وقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الآية
ولكن ما ذكرناه في زيادة الفضل فان كنت من مريد الآخرة فلا
يسهل عليك ترك الفضل وقد قال علي رضي الله عنه من قرأ
القرآن وهو قائم في الصلوة فله بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ
القرآن في غير صلوة وهو على طهارة فخمس وعشرون حسنة ومن قرأه
على غير وضوء فعشر حسنات الثالث في مقدار القراءة وله ثلث
درجات ادناها ان يختم في الشهر مرة واقصاها ان يختم في ثلثة
ايام مرة وقال عم من قرأ القرآن في اقل من ثلث لم يفقهه واعدلها
ان يختم في الاسبوع واما الختم في كل يوم فغير مستحب واياك ان
تتصرف بعقلك فتعدل عما كان خيرا وانفع فكلما كان اكثر كان
انفع فان عقلك لا يهتدي الى اسرار الامور الالهية وانما يتلقاها

قوة النبوة فعليك بالاتباع فان خواص الامور لا تدرك بالقياس او ما ترى
كيف ندبت الى الصلوة ونهيت عنها في جميع النهار وامرت بتركها
بعد الصبح وبعد العصر وعند الطلوع والغروب والزوال وذلك
ينتهي الى قدر ثلث النهار وكيف واثر الفساد ظاهر على قياسك
هذا فانه كقول القائل الدواء نافع للمريض فكلما كان اكثر كان
انفع وانت تعلم ان كثرة الدواء ربما يقتل واما الاسرار
الباطنة فخمسة الاول ان تستشعر في اول قراءتك عظمة الكلام
باستشعار تعظيم المتكلم فتحضر في قلبك العرش والكرسي والسموات
والارض وما بينهما من الجن والانس والحيوانات والنبات و
تتذكر ان الخالق لجميعها واحد وان الكل في قبضة قدرته
مترددين فضله ورحمته وانك تريد ان تقرأ كلامه وتنظر
به الى صفة ذاته وتطالع جمال علمه وحكمته وتعلم انه كما لا يمس
ظاهر المصحف الا المطهرون بظواهرهم وهو محجوب عن غيرهم
فكذلك حقيقة معناه وباطنه محجوب عن باطن القلب الا اذا كان
متطهرا من كل رجس وخبث من خبائث الباطن فتحصل هذا التعظيم

كان

كان عكرمة اذا نشر المصحف ربما غشي عليه ويقول هذا كلام ربي
هذا كلام ربي وتعلم انه لولا ان انوار كلامه العزيز وعظمته
غشيت بكسوة الحروف لما اطاقت القوة البشرية سماعه لعظمة
وسلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل موسى عليه
السلام لما اطاق سماعه مجرده عن كسوة الحروف والاصوات
كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حتى صار دكا الثاني ان تقرأه
بتدبر معانيه ان كنت من اهله وكلما يجري لسانك به في غفلة
فاعده ولا تعتده من عملك لان الترتيل في الظاهر للتمكن من التدبر
قال علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة
لا تدبر فيها واياك ان تصير مشغوفا بعدد الختمات على نفسك
فلان تردد آية واحدة ليلة تتدبرها خير لك من ختمتين وقد
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين
مرة وقال ابو الدرداء رضي الله عنه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنا ليلة فقام باية يرددها ان تعذبهم فانهم عبادك وقام تميم
الداري ليلة بقوله سبحانه ام حسب الذين اجترحوا السيئات وقام

سعيد بن جبير ليلة بقوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون
ولعل الأليق بكل ما قاله بعض العارفين اذ قال لي في كل جمعة ختمة
ولي في كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلثين سنة ما
فرغت منها وذلك بحسب درجات التدبر فان القلب في بعض
الاوقات يحتمل التدبر الطويل فليكن للتدبر الطويل ختمة
خاصة الثالث ان يجتني في تدبر كل ثمار المعرفة من اغصانها
ويقتبسها من اوطانها ولا تطلب الترياق من حيث تطلب منه
الجواهر ولا الجواهر من حيث يطلب منه المسك والعود فان لكل
ثمرة غصنا ولكل جوهر معدنا وانا نيسر لك هذا بان تعرف
الاصناف العشرة التي حصرنا فيها اقسام القرآن وهي عشرة
معادن فما يتعلق من القرآن بالله تعالى وصفاته وافعاله فاقتبس
منه معرفة الجلال والعظمة وما يتعلق بالارشاد الى الصراط المستقيم
فاقتبس منه معرفة العزة والاستغناء والقهر والتجبر وما يتعلق
باحوال الانبياء فاقتبس منه معرفة اللطف والنعمة والفضل
والكرم ولذلك من كل صنف ما يليق به فلا تنظرن اليه بعين واحدة

معرفة الوجه والعطف والحكمة وما يتعلق باهلاك
الاعداء فاقتبس منه معرفة

وشرح

١٠

وسنشرح ذلك بطوله في الرابع ان تتخلى عن موانع الفهم وفي الاكثر التي
منع من الفهم قال الله عز وجل انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
وفي آذانهم وقرا الآية وقال رسول الله صلى لولا ان الشياطين يحومون
على قلوب ابن آدم لنظروا الى ملكوت السماء واعلم ان معاني
القرآن من جملة الملكوت وان ما خرج عن عالم الشهادة والاكنة
التي يبتلى بها المتقي المتعطش الى الحق نوعان اما ما ابتلي به
ضعيف الايمان من حجاب الشك والجحود واما ما ابتلي به المشهور في الدنيا
من حجاب الشهوات المستغرقة للقلب فذلك حجاب لا يخفى كونه مانعا من فهم
لطائف القرآن واقتباس انوارها حجب اكثر الخلق واما العباد
المتجردون لطريق الله عز وجل فيحجبون بنوعين احدهما الوسواس
الصادق للقلب الى الشك في النية كيف كانت في الابتداء وهل تغيب
الآن وهل هو مخلص في الحال هذا ان كان في الصلوة او الوسواس
الصادق للفهم الى تصحيح مخارج الحروف والتشكك فيها واعادتها
لاجل ذلك وهذا يجري في الصلوة وغيرها فكيف يطالع اسرار الملكوت
قلب محجوب مصروف الى مطالعة الشفتين وكيفية انطباقهما واللسان

والحنك ولسقبة اشتغال الهواجس اصطلاحهما وموضعها تقطيع الحروف
وتصحيحها النوع الثاني التقليد لظواهر معاني القرآن والجمود
عليها وذلك حجاب عظيم عن الفهم ولست اعني به التقليد الباطل للتقليد
المبتدعة بل التقليد الحق ايضا فان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده
له درجات وله مبدأ ظاهر وهو كالقشر والمثال وله غور باطن
وهو كاللباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظهرا وبطنا
وحدا ومطلعا فالجامد على ظاهر الظاهر انه ليس وراءه مرتقى
يترقى اليه كيف يتصور ان ينكشف له الاسرار فقد كلف الخلق
مثلا ان يعتقدوا ان الله تعالى يرى ولكن للرؤية ظاهر وسر فمن
اعتقد ان رؤية الله تعالى تناسب للرؤية التي بالعين الآن
في هذا العالم كيف يتصور ان يطلع على سر قوله تعالى لن تراني وكيف
يفهم ان ذلك ممتنع في هذه الحياة الدنيا بهذه العين الموقعة على
ملاحظة الجهات والاقطار وكيف يدرك قوله تعالى لا تدركه الابصار
مع قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ويكفيك هذا المثال
الواحد فلسنا نكشف لك اكثر من هذا ولسنا نقصد في هذا الاصل الا

التلويحات لمبادي الاسرار تشويقا للمستعدين لها الخامس ان
تتقبس لا تقتصر على اقتباس الانوار بل تضيف اليها اقتباس
الاحوال والآثار وعند ذلك ان لا تقرأ به اية الا وان تصير بصفتها فيكون
لك بحسب كل فهم حال ووجد وعند ذكر الرحمة وعند المغفرة تستبشر
كانك تطير من الفرح وعند الغضب وشدة العقاب تتضائل
كانك تموت من الفزع وعند ذكر الله واسمائه وعظمته تتطاطأ وتتصاغر
كانك تتحقق من مشاهدة الجلال وعند ذكر الكفار وما يستحيل عليه
من الولد والصاحبة تنكسر وتغض صوتك كانك تنطمس من الحياء وكذلك
في كل صنف من الاصناف الغيرة وذلك يطول وليظهر اثر ذلك على
الجوارح من بكاء عند الحزن وعرق جبين عند الحياء واقشعرار
الجلد وارتعاد الفرائص عند الهيبة والجلال وانبساط في الاعضاء
والتيهان والصوت عند الاستبشار والانقباض فيها عند الاستشعار
فاذا فعلت ذلك اشتركت في نيل حظ القرآن جميع اجزائك واعلم
ان آثار القرآن على عوالمك الثلثة اعني عالم الملكوت وعالم الجبروت
وعالم الشهادة واعلم انك مركب من العوالم الثلثة فيحصل من كل عالم جزء
اغتنموا برد الربيع فانه يفعل بابدانكم ما يفعل باشجاركم واجتنبوا برد الخريف

واعلم ان محض انوار المعرفة تفيض من عالم الملكوت الى سر القلب
لانه ايضا من الملكوت واما آثار هيمان الخشية والخوف والسرور
والهيبة وساير الاحوال فانها تهبط من عالم الجبروت ومهبطها
الصدر الذي هو من عالم الجبروت ومتوسط عالم آخر من عوالم الملك كما نبينا
عنه بالصدر لما كنينا عن الاول بالقلب لان عالم الجبروت بين عالم
الملكوت وعالم الشهادة كما ان الصدر بين القلب والجوارح واما
البكاء والتصفيق والاقشعرار والارتعاد الفايض فينزل من
عالم الشهادة ومهبطها الجوارح لانها من عالم الشهادة وما اراك
تفهم من القلب غير اللحم الصنوبري الشكل ومن الصدر غير العظم
المحيط به فانك لا تدرك من كل شي الا غلافه وقشره وما ابعدك فان
هذا يوجد للبهائم والميت والتنزل عليه انوار المعارف والعلوم
واثار هيمان الخشية والهيبة والسرور فان اردت ان تستنشق
نسيم روايح هذه الاسرار وما اراك تريد فقد اخذ الشيطان
بمخنقك بحبال الشهوات فعليك بباب التوحيد من اول كتاب
الشكر ان اردته واعلم ان القرآن كالشمس وفيضان اسرار المعاني

منه على القلب كفيضان انوار الشمس على الارض وسريان آثار الخوف
والخشية والهيبة وساير الاحوال منه على الصدر كسريان حرارة الشمس
في باطن الارض تابعا لاشراق الانوار فان الخشية اثر نور المعرفة
كما قال انما يخشى الله من عباده العلماء وانتشار الحركات والتغيرات الى
الجوارح من البكاء والعرق والاقشعرار والارتعاد منبعثا من آثار
الخشية وساير الاحوال كحركة اجزاء الارض بتصاعد الابخرة والادخنة
منها بتصعيد حرارة الشمس فالحركة تتبع الحرارة والحرارة تتبع النور
والنور تتبع وقوع المحاذاة بين الارض والشمس فاجتهد بان تحاذي
بوجه قلبك سطر شمس القرآن وتستضيء بانوارها كذلك وان لم تطق
ذلك فاصغ الى النداء الوارد من جانب الطور الايمن فان آنست
من جوانبه نارا فخذ منه قبسا واشعل منه سراجا فان كان زيتك
يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فاذا امسته النار انبعث منه الضياء
ووجدت على النار هدى وقام في حقك مقام الشمس المنتشرة الاشراق
والضياء

الاصل السابع

ذكر الله تعالى عز وجل في كل الاحوال قال الله
سبحانه واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقال لنبيه صلعم واذكر اسم

رتل وتبتل اليه تبتيلا وقال صلى الله عليه وسلم لذكر الله بالغداة والعشي افضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطاء المال سحا

وقال صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من ان تلقوا اعداءكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله فقال ذكر الله عز وجل وقال عليه السلام سبق المفردون فقيل ومن هم يا رسول الله فقال المستهترون بذكر الله وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيامة خفافا

فاعلم انه قد انكشف لارباب البصائر ان الذكر افضل الاعمال ولكن له ايضا قشور ثلثة بعضها اقرب الى اللب من بعض وله لب وراء القشور الثلثة وانما فضل القشور لكونها طريقا اليه والقشر الاعلى منه ذكر اللسان فقط

الثاني ذكر القلب اذا كان القلب يحتاج الى موافقته حتى يحضر مع الذكر ولو ترك وطبعه لاسترسل في اودية الافكار

الثالث ان يتمكن الذكر من القلب ويستولي عليه بحيث يحتاج الى تكلف في صرفه عنه الى غيره كما احتيج في الثاني الى تكلف في قراره معه ودوامه عليه

الرابع وهو اللباب ان يتمكن المذكور من القلب وينمحي الذكر ويخفى وهو اللباب المطلوب وذلك بان لا يلتفت الى الذكر ولا الى القلب بل يستغرق بالمذكور جملته ومهما ظهر له في اثناء ذلك التفات الى الذكر فذلك حجاب شاغل وهذه الحالة هي التي يعبر عنها العارفون بالفناء وذلك بان يفنى عن نفسه حتى لا يحس بشيء من ظواهر جوارحه ولا من الاشياء الخارجة عنه ولا من العوارض الباطنة فيه بل يغيب عن جميع ذلك ويغيب عنه جميع ذلك ذاهبا الى ربه اولا ثم ذاهبا فيه اخرا وان خطر له في اثناء ذلك انه فني عن نفسه بالكلية فذلك شوب وكدورة بل الكمال ان يفنى عن نفسه ويفنى عن الفناء ايضا فان الفناء عن الفناء غاية الفناء وهذا قد تظنه الفقيه طامات غير معقولة وليس كذلك بل هذه الحالة لهم بالاضافة الى محبوبهم كحالك في الكل بالاضافة الى محبوبك من جاه او مال او معشوق فانك قد تكون مستغرقا لشدة الغضب بالفكر في عدوك ولشدة التفكر في معشوقك حتى لا يكون فيك متسع لشيء اصلا فتخاطب فلا تفهم ويجتاز بين يديك غيرك فلا تراه وعيناك مفتوحتان ويتكلم عندك فلا تسمع وما باذنيك

صمم وانت في هذا الاستغراق غافل عن كل شي وعن الاستغراق ايضا
فان الملتفت الى الاستغراق معرض عن المستغرق به وانما سموا هذه
الحالة فناء وان كان الشخص والظل باقيا لان الاشخاص والاظلال
بل ساير المحسوسات ليس لها حقيقة الوجود بل الوجود الحقيقي
لعالم الامر والملكوت والقلب من عالم الامر قال الله سبحانه قل الروح
من امر ربي والقوالب من عالم الخلق واعني بالقلب اللطيفة الذاكرة العارفة
التي هي مضبط الانوار الالهية دون القلب الظاهر فان ذلك من عوالم
الخلق فلا تفهم من هذا اشارة الى قدم الروح وحدوث القالب بل
هما جميعا حادثان وانما اعني بالخلق ما يقع عليه المساحة والتقدير
وهي الاجسام وصفاتها واعني بعالم الامر ما لا يتطرق اليه التقدير و
العالم الجسماني ليس له وجود حقيقي بل هو من ذلك العالم كالظل من الاجسام
وليس لظل الانسان حقيقة الانسان وليس للشخص حقيقة الاجسام
بل هو ظل الحقيقة والكل صنع الله تعالى قال الله تعالى ولله يسجد من
في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال وسجود
عالم الامر طوع لله وسجود الظلال كره وتحته سر بل اسرار

تحرك

تحرك اوايلها سلسلة المجانين الحمقى فضلا عن اواخرها فلنتجاوزها
فقد افهمناك ما ارادوه بالفناء فدع عنك الغيبة والتكذيب بما لم تحط
بعلمه كما قال الله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وقال تعالى واذ لم يهتدوا
به فسيقولون هذا افك قديم فاذا فهمت الفناء في المذكور فاعلم
انه اول الطريق وهو الذهاب الى الله عز وجل وانما الهدى
بعده اعني بالهدى هدى الله كما قال الخليل صلوات الله عليه اني
ذاهب الى ربي سيهدين فاول الامر ذهاب الى الله ثم ذهاب في الله
وذلك هو الفناء والاستغراق به ولكن هذا الاستغراق في اوله
يكون كبرق خاطف قلما يثبت ويدوم فان دام ذلك صارت
عادة راسخة وهيئة ثابتة عرج به الى العالم الاعلى وطالع
الوجود الحقيقي الاصفى وانطبع له نقش الملكوت وتجلى له قدس
اللاهوت واول ما يتمثل له من ذلك العالم جواهر الملايكة وارواح
الانبياء والاولياء في صور جميلة يفيض اليه بواسطتها بعض
الحقايق وذلك في البداية الى ان يعلو درجته عن المثال فيكافح بصريح
الحق في كل شي فاذا رد الى هذا العالم المجازي الذي هو كالظل انظر

لا الخلق نظر مترحم عليهم لحرمانهم عن مطالعة جمال الحضرة القدس
وتعجب منهم في قناعتهم بالظلال وانخداعهم بعالم الغرور وعالم
الخيال فيكون معهم حاضرا بشخصه غايبا بقلبه متعجبا من حضورهم
ويتعجبون منهم من غيبته فهذه ثمرة لباب الذكر وانما مبداها ذكر
اللسان ثم ذكر القلب تكلفا ثم ذكر القلب طبعا ثم استيلاء
المذكور وانمحاء الذكر وهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم من احب
ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل بل سر قوله
صلى الله عليه وسلم فضل الذكر الخفي على الذكر الذي تسمعه الحفظة
سبعين ضعفا واعلم ان كل ذكر يشعر به قلبك فتسمعه الحفظة
فان شعورهم تقارن شعورك وفيه سر حتى اذا غاب ذكرك
عن شعورك بذهابك في المذكور بالكلية فيغيب ذكرك عن شعور
الحفظة وما دام القلب يشعر بالذكر ويلتفت اليه فهو معرض
عن الله وغير منفك عن شرك خفي حتى تصير مستغرقا بالواحد الحق
وذلك هو التوحيد وكذلك القول في المعرفة فمن طلب المعرفة
للمعرفة فقد قال بالثاني ومن وجدها كمثل ان لا يجدها بل
نجد

بل نجد المعروف بها فهو الذي استمكن وحقيقة الانسان الوصال
وحل بحبوحة حظيرة القدس فان قلت فلم اختصت هذه الكاشفات
بحال الفناء واعلم ان هذه قصة يطول فيها نظر الناظرين
وذلك اذا تاملت ثم تقصر عن ان تدرك كون الحواس وعوارض
النفس وشهواتها جاذبة الى هذا العالم المحسوس وهو عالم الزور
والغرور ولذلك ينكشف صريح الحق بالموت لبطلان سلطان
الحواس والخيالات المولية بوجه القلب الى عالم السفل فان
قصر عنك سلطان الحواس بالنوم طلعت شيء من الغيب على قدر
استعدادك وقبولك وهو مثل ولكن مثال تحتاج الى التعبير
انك لم تصادف في نفسك رويا صادقة اطلعت بها على امر
مستقبل لكن الخيال لا يفتر في النوم وان ركدت الحواس
فلذلك يضعف الاطلاع والجلوس ثوب المثال واما الفناء
فعبارة عن حالة تركد فيها الحواس ولا تشتغل ولا يسكن فيها
الخيال والتشويش فان بقيت في الخيال بقية مغلوبة لم تؤثر
الا في مثالات [illegible] تجلى من عالم القدس حتى يتمثل الانبياء
هذا

والملائكة والارواح المقدسة في قوالب الخيال فهذه امور نبهت
عليها لتكون متشوقا الى ان تصير من اهل الذوق لها فان لم تكن
من اهل الايمان بها ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا
العلم درجات واياك ان تكون من المنكرين لها فتلقى
العذاب الشديد اذا كوشفت بالحق عند سكرات الموت
الذي كنت منه تحيد وقيل لك لقد كنت في غفلة من هذا
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد واعلم ان الايمان
والعلم والذوق ثلاث درجات متباعدة فان العنين
مثلا يتصور ان يصدق بوجود شهوة الوقاع لغيره بان
يقبل ذلك ممن حسن ظنه به ولا يتهمه بالكذب وذلك ايمان
ويتصور ان يعلم بالبرهان وجوده لغيره وهو علم ومأخذ
قياس ان ينظر الى شهوته للطعام مثلا فيقيس بها شهوة
الوقاع الجماع ولا ذلك بعد عن ادراك حقيقة الشهوة بوجود
لها وكذلك المريض يعرف العافية الصحيح فيؤمن به ويعرف
الطبيب الصحيح بالبرهان وهو علم وما لم يصر هو صحيحا لم

يحصل

16

لم يحصل له الذوق فكذلك القوة في الفناء في التوحيد والذوق
مشاهدة والعلم قياس والايمان قبول بحسن الظن مع الانفكاك
عن التهمة فاجتهد ان تصير من اهل المشاهدة وليس الخبر كالمعاينة
فان قلت فقد عظمت امر الذكر فهو افضل ام قراءة القرآن فاعلم
ان قراءة القرآن افضل للخلق كلهم الا للذاهب الى الله عز وجل
وهو افضل للذاهب الى الله عز وجل في جميع احوال بدايته وفي بعض
احواله في نهايته فان القرآن هو المشتمل على صنوف المعارف والاحوال
والارشاد الى الطريق فما دام العبد مفتقرا الى تهذيب الاخلاق
وتحصيل المعارف فالقرآن اولى به فان جاوز ذلك واستولى
الذكر على قلبه بحيث يرتجى له ان يفضي به ذلك الى الاستغراق فمداومة
الذكر اولى به فان القرآن يجاذب خاطره ويسرح به في رياض الجنة
والمريد الذاهب الى الله تعالى لا ينبغي ان يلتفت الى الجنة ورياضها
بل ينبغي ان يجعل همه هما واحدا وذكره ذكرا واحدا حتى يدرك
درجة الفناء والاستغراق ولذلك قال الله عز وجل ولذكر الله
اكبر ولذلك من ينتهي الى درجة الاستغراق ولا يدوم

افضل قراءة القرآن

عليه فاذا ادى الى انه قد ينفعه تلاوة القران وهذه حالة نادرة
عزيزة كالكبريت الاحمر لا يتحدث به ولا يوجد فيكون تلاوة القران
افضل مطلقا لانه افضل في كل حال الا في حال من شغله المتكلم عن الكلام
اذ لباب القران معرفة المتكلم بالقران ومعرفة جلاله والاستغراق به والقران
سابق اليه وهاد نحوه وقد اشرف على المقصد لم يلتفت الى الطريق
فان قلت فاي الاذكار افضل فاعلم ان الافضل كما ذكرناه
استيلاء المذكور على القلب وموثر لواحد لا كثرة فيه حتى تختار افضله
وذكر الا عين الجمع في التوحيد وان التفرقة والكثرة قبل ذلك فذلك
ما دمت في مقام الذكر باللسان والقلب وعند هذا قد ينقسم
الذكر الى الافضل وغير الافضل وفضيلته بحسب الصفات التي
يعبر عنها بالاذكار والصفات والاسماء الواردة في الله سبحانه منقسم
الى ما هو حقيقة في حق العباد وفي حقه مأول كالصبور والشكور
والرحيم والمنتقم والى ما هو حقيقة في حقه واذا استعمل في حق غيره كان
مجازا فمن افضل الاذكار لا اله الا الله الحي القيوم فانه قيل اسم الله الاعظم
اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم اسم الله الاعظم في اية الكرسي واول ال عمران

ولا يشعر بكافر الا في هذا ولم يستريد وعن فهمك ذكره والفرد الذي
تمكن الذمر اليه ان قولك لا اله الا الله يشعر بمعنى التوحيد ومعنى
الوحدانية في الذات والربية حقيقي في حق الله عز وجل وهو غير مأول بل هو
في حق غيره مجاز ومأول وكذلك الحي فان معنى الحي هو الذي يشعر بذاته
ويعلم ذاته والميت هو الذي لا خبر له من ذاته وهذا ايضا حقيقي لله
تعالى غير مأول والقيوم يشعر بكونه قائما بذاته وان كل شيء قوامه به
وهذا ايضا حقيقي له عز وجل غير مأول ولا يوجد لغيره وما عدا هذا
من الاسماء الدالة على الافعال كالرحيم والمقسط والعدل وغيره فهو
دون ما يدل على الصفات لان مصادر الافعال هي الصفات
والصفات اصل والافعال تبع وما عدا هذه الصفات التي يدل
على القدرة والعلم والارادة والكلام والسمع والبصر فذلك مما يظن
ان الثابت منها لله عز وجل مفهوم من ظواهرها وهيهات فان المفهوم
من ظواهرها ما هو يناسب صفات الانسان وكلامه وقدرته وعلمه
وسمعه وبصره بل لها حقائق يشتمل بموتها الانسان فيستخرج
من هذه الاسامي بنوع من التاويل فهو يشتمل على ما يحتمله فهمكم

من اختصاص هذه الكلمات لكونها اعظم واقرب منه قولك سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لان سبحان الله تقديس وهو
حقيقي في حقه فان القدس الحقيقي لا يتصور الا له تعالى وقولك
الحمد لله يشعر باضافة النعم كلها اليه وهو حقيقي اذ هو المتفرد
بالافعال كلها تفردا حقيقيا بلا تاويل بل هو المستوجب للحمد
وحده اذ لا شركة لاحد معه في فعله اصلا البتة كما لا شركة للقلم
مع الكاتب في استحقاق المحمدة عند حسن الخط واعلم ان كل من سواه
ممن يرى منه نعمة فهو مسخر له كالقلم فهذا مثال يشتمل على تفرده
باستحقاق الحمد وقولك لا اله الا الله فقد عرفت انه التوحيد
الحقيقي وقولك الله اكبر فليس المعنى به انه اكبر من غيره اذ ليس معه
سبحانه غيره حتى يقال اكبر منه بل كل ما سواه فهو نور من انوار
قدرته وليس لنور الشمس رتبة المعية مع الشمس حتى يقال انها
اكبر منه بل رتبة التبعية بل معناه انه عز وجل اكبر من ان
ينال بالحواس او يدرك جلاله بالعقل والقياس بل اكبر من ان يدرك
كنه جلاله غيره بل اكبر من ان يعرفه غيره فانه لا يعرف الله تبارك

وتعالى

وتعالى الا الله فان منتهى معرفة عباده ان يعرفوا انه يستحيل عليهم
معرفته الحقيقية ولا يعرف ذلك ايضا بكماله الا نبي او صديق اما
النبي فيعبر عنه ويقول لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
واما الصديق فيقول العجز عن درك الادراك ادراك وان تشوقت الى
زيادة تحقيق في هذا المعنى واستنكرت قولي لا يعرف الله الا الله
فاطلب معرفة حقيقته بالبرهان في كتاب المقصد الاقصى في معاني
اسماء الله الحسنى ولعلك الآن هذا القدر من الرموز الى اسرار الذكر
وفضل الاذكار منها

الاصل التاسع في طلب الحلال قال الله سبحانه
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا والحرام خبيث وليس كالطيب فقد قرن
عز وجل اكل الطيبات بالعبادات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
طلب الحلال فريضة على كل مسلم بعد الفريضة اي بعد فريضة الايمان والصلوة
وقال صلى الله عليه وسلم من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى
ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وفي رواية زهده الله في الدنيا وقال
صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل
حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل والصرف النافلة والعدل الفريضة

وقال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم
يقبل الله صلوته ما دام عليه منه شيء وقال عبد الله بن عمر لو صليتم حتى تكونوا
كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار لم يقبل الله ذلك منكم الا بورع حاجز
وقيل العبادة مع اكل الحرام كالبنيان على السرقين فصل اعلم
ان طيب المطعم له خاصية عظيمة في تصفية القلب وتنويره وتأكيد
استعداده لقبول انوار المعرفة وفيه سر لا يحتمل الكتاب ذكره
ولكن ينبغي ان تفهم ان درجات الورع اربع الدرجة الاولى
هي التي يجب الفسق باقتحامها وتزول العدالة بزوالها وهي
التي يحرمها فتوى الفقهاء الثانية ورع الصالحين وهو الحذر
عما يتطرق اليه احتمال التحريم فان افتى المفتي بحله بناء على الظاهر
وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك
الثالثة ورع المتقين قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد
درجة المتقين حتى يترك ما لا باس به حذرا ومخافة مما به باس
وقال عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة الوقوع
في الحرام ومن هذا الاصل ان بعضهم اذا استحق مائة درهم فقبض
تسعة

تسعة وتسعين ويترك الواحد حاجزا بينه وبين النار خوف الزيادة
١٩ وكان بعضهم يأخذ ما يأخذ بنقصان حبة ويعطي ما يعطي بزيادة حبة
ولذلك اخذ عمر بن عبد العزيز رحمه الله انفه حذرا من ريح المسك لبيت
المال كان يوزن بين يديه وقال هل ينتفع الا بريحه ومن ذلك ان
يتورع عن الزينة واكل الشهوات خيفة من ان تغلب النفس فتدعو
الى الشهوات المحظورة ومن ذلك ترك النظر الى تجمل اهل الدنيا فانه
يحرك دواعي الرغبة في الدنيا ولذلك قال تعالى ولا تمدن عينيك الى
ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا ولذلك قال
عيسى بن مريم عليه السلام لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق
اموالهم يذهب بحلاوة ايمانكم ولذلك قال السلف من رق ثوبه
رق دينه فالحلال المطلق الطيب كل حلال انفك من هذه المخافة
ولم يوجد فيها الرابعة ورع الصديقين وهو الحذر من كل ما
لا يراد بتناوله التقوي على طاعة الله او كان يتطرق الى بعض
اسبابها معصية ومن ذلك ما حكي ان ذا النون المصري كان
محبوسا جائعا فبعثت اليه امرأة صالحة من طيب مالها طعاما

فلم ياكل منه واعتذر انه جاءني على طبق ظالم اي بيد السجان

بيد السجان ومن ذلك ان بشرا الحافي كان لا يشرب الماء من الانهار التي
حفرها السلاطين واطفى بعضهم سراجا اشعله غلام من بيت
ظالم وشرب بعضهم دواء فاشارت اليه امراته بالمشي والتردد فقال
هذه مشية لا اعرف لها وجها وانا احاسب نفسي على جميع حركاتي
وهذه رتبة اقوام وفوا بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
فعدوا اكل ما لم يكن لله تعالى حراما وليس هذا من شان مثل
ناصحتك فادرج واجتهد ان تتقي نوع العدوان الذي يفتي به
الفقهاء ثم ينبغي ان تضيف اليه شيئين احدهما ان تحترز عن مواقع
غرورهم ولا تلتفت الى مواليهم من وهب في آخر السنة ماله زوجته
واستوهب منها ما لها سقطت الزكوة عنهما فانهم ان افتوا
به ان السلطان لا يطالبهم بالزكوة لان مطمح نظر ظاهر الملك
فهو صدق ودرجة الفقهاء وفتواهم ذكر ما يتعلق بالظواهر
فيحكمون بالبراءة عن الزكوة اذا اسقط طلب الساعي ويحكمون
بصحة الصلوة اذا امتنع القتل على السلطان بجريان صورة الصلوة
اذ ليس بايديهم من القوانين الا القانون الذي يتولاه السلطان

في السياسة

في السياسة لينتظم امر المعيشة الدنيوية لا في منزل من منازل الطريق
كما سيفعل اما انت اذا كنت تنظر فيما ينفعك عند احد جبار
الجبابرة وسلطان السلاطين فلا تلتفت الى نقد احدها ان
مقصود الزكوة ازالة رذيلة البخل فانه مهلك كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه وهبة مال المزكوة لاجل درء الزكوة تجعل الشح
مطاعا فانه يصير مطاعا انما بعد الى ان يقتضيه وقبل هذا لم
يكن مطاعا فكيف يكون ذلك منجيا وكذا بد من يهب معاشرة
زوجته فتنفك له من المهر فلا يحل له المهر بينه وبين الله
عز وجل وان كان الفقيه يفتي بسقوط المهر وصحة الابراء لان
الله تعالى قال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الآية وليس هذا
طيبة النفس بل طيبة القلب والفقيه لا يميز بين الامرين
لان شغفه بقطع الخصومات الظاهرة والحجامة وشرب الدواء
البشع لا تطيب به النفس بل يطيب به القلب وكذلك كل ما يأباه
الطبع ويرتضيه العقل لمصلحة البدن في العاقبة وهذا باب طويل

واصلها ان لا تستحل مال الغير الا برضى مطلق صاف وينبغي ان لا
تاكل من السؤال فان سئلت فاحذر ان تسئل على الملاء فربما يعطي
بالحياء وذلك ليس متفق بالرضى وان المستحيي يوثر الم ازالة الملك
على الم الحياء ولا فرق بين ان تاخذ ماله بضرب ظاهر بالسوط
وبين ان تاخذ بضرب باطنه بسوط الحياء فالكل مصادرة واحذر
ايضا ان يعطيك بالدين وذلك بان يعطيك لظنه انك ورع تقي
فتاكل بالدين ومن شرط حله ان لا يكون في باطنك ما لو اطلع عليه
المعطي لامتنع من الاعطاء فلا فرق بين ان تاخذ بالصوفية والتقوى
وليس هو متصفا به بالطاء وبين ان يزعم انه علوي ليعطى وهو
كاذب وكل ذلك حرام عند ذوي البصائر وان افتى الفقيه بالحل
بناء على الظاهر **الفن الثاني** ان تراجع قلبك وان افتوك فان
الاثم حواز القلوب فالذي يتحرك ما حاك في قلبك ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان افتوك وافتوك وهذا
السر طويل ذكره ولكن لنعلم على الجملة ان الحذر من الحرام اظلام
القلب والمطلوب من الحلال تنويره وذلك يتشعب من اعتقادك

لان

لان نفس المعتقد من وطئ امراة على ظن انها اجنبية فاذا هي
منكوحته حصل اظلام القلب ولو وطئ اجنبية على ظن انها زوجته
لم يحصل وكذلك في النجاسات والطهارات المؤثر في تنوير القلب
ذلك واعتقادك فانما امرت بان تصلي وثوبك طاهر بل ان تصلي
وانت تعتقد انه طاهر فاستشعار الطهارة مؤثر في اشراق
القلب ان لم يكن على وفق الحال ولذلك نقول ان من صلى
ثم تذكر انه كان معه نجاسة فليس عليه الاعادة على الاصح لانه
صلى الله عليه وسلم خلع نعليه في صلوته لما اخبره جبريل عليه السلام
بان عليهما قذرا واستمر فيها ولذلك يتشدد الامر على الموسوس
فانه ما لم يطمئن قلبه باعتقاد الطهارة فيجب عليه الاستقصاء و
المعاودة اولئك قوم شددوا فشدد الله عليهم وهلكوا
باستقصائهم كما قال عليه السلام هلك المتنطعون فكذلك الحال
ان تعتقد ما يطمئن اليه قلبك لا بما يفتي به المفتي فاستفت
قلبك اياك ان تشدد على نفسك فتقول اموال الدنيا
كلها حرام واختلطتها الايدي العادية والمعاملات الفاسدة فاقنع

بالحشيش مترهباً أو آيساً ولكن الجمع متنوع لا أفضل فيه بين
حلال وحرام بل أعلم قطعاً أن الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما
أمور متشابهات كذلك كان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك
يكون أبداً الدهر فاستمد من السر الذي ذكرناه فإنك غير متعبد
بما سوى أنه حلال بل بما هو في اعتقادك حلال لا تعرف سبباً ظاهراً
في تحريمه وقد توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشرك وتوضأ
عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية ولو عطشوا لشربوا منه وشرب الماء
النجس حرام ولكن استصحبوا يقين الطهارة ولم يتركوها بالوهم من
النجاسة فكذلك كل مال صادفته في يد رجل مجهول عندك حاله
فلك أن تشتري منه وتأكل من ضيافته تحسيناً للظن بالمسلم فإن الأصل
أن ما في اليد فهو حلال وما صادفته في يد رجل عرفته بالصلاح فهو أولى
بأن تعتقد حله لأنه يجب الحذر مما تصادفه في يد سلطان ظالم
أو رجل عرفته بالربا أو بيع الخمر فيجب الحذر منه حتى تسأل وتستقصي
وتعرف أنه من أين حصل له فإن ظهر لك جهة حصوله وأنه حلال فلك
الأخذ والإقدام والاعتماد على العلامة الظاهرة وهي قرينة حاله وهذا
اذا

حرام مثل الربا وبيع الخمر

إذا كان أكثر أمواله كذلك فإن كان أكثرها حلالاً فلك أن تأكل منه
وإن تركته فذلك ورع فقد كتب بعض وكلاء ابن المبارك من البصرة
إليه يسأله عن معاملة رجل يعامل السلطان فقال إن كان لا يعامل
غير السلطان فلا تعامله وإن كان يعامل غيره أيضاً فعامله
وبالجملة الناس في حقك ستة أقسام أحدها أن يكون مجهولاً
فكل من ماله والحذر ليس بواجب بل هو محض الورع الثاني أن
تعرفه بالصلاح فكل منه ولا تتورع فالورع فيه وسوسة فإن أدى
إلى الأذى والإيحاش فهو معصية وحرام لما فيه من الإيذاء ولما فيه
من سوء الظن بالرجل الصالح الثالث أن تعرفه بالظلم والربا
حتى علمت أن كل ماله أو أكثره حرام كالسلاطين الظلمة وغيرهم
فما لهم حرام الرابع أن تعرف أن أكثر أمواله حلال ولكن لا يخلو
عن حرام كالرجل له تجارة وميراث وهو مع هذا في عمل السلطان
فلك الأخذ بالأغلب لكن الترك من الورع المهم الخامس أن يكون
مجهولاً عندك لكن ترى عليه علامة الظلم كالقباء والقلنسوة وهيئة
الأتراك والظلمة فهذه علامة ظاهرة توجب الحذر فلا تأكل من ماله

لا بعد للتفتيش السادس ان ترى عليه علامة الفسق او علامة
الظلم كطول الشارب وانفسام شعر الرأس قزعا او رأيته يشتم
غيره عنفا او ينظر الى المراة فان علمت له مالا موروثا او تجارة لم يحرم
ماله بذلك فان كان امره مجهولا عندك فهذا فيه خطر لان علامة الفسق
اضعف دلالة من علامة الظلم ولكن الاظهر عندي انه لا يحرم ماله لان
ظاهر اليد والاسلام يدل على الملك دلالة اظهر من دلالة هذه العلامة
على التحريم وليست هذه الدلالة اقوى من دلالة النصرانية والمجوسية
على نجاسة الماء ولم يلتفت اليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عمر
رضي الله عنه اما علامة الظلم فيقتضي ما اذا رأينا ظبية تبول في
ماء ثم وجدنا الماء متغيرا فاحتمل ان يكون من طول المكث واحتمل
ان يكون من البول فانه يجب اجتنابه احالة على السبب الظاهر
ثم وراء ذلك كله عليه ان يستفتي قلبه فان وجد في قلبه حزازة
فليجتنبه فالاثم حزاز القلوب وحكاكات الصدور ولكن
هنا دقيقة تغفل عنها اهل الورع وهي انه يجب ان يكون
الترك من الورع او من حزازة في النفس فلا يجوز الترك او السؤال

اي اضطراب القلب ... بفتح الحاء المهملة والزاي المعجمة

بحيث

بحيث يؤذي فالمجهول اذا قدم اليك طعاما فان سألته ايش اين
ساكنة استوحش وتأذى والايذاء حرام وسوء الظن حرام
وان سألت غيره بحيث يدري زاد الايذاء وان سألت
بحيث لا يدري فقد تجسست واسأت الظن وبعض الظن
اثم وتساهلت بالغيبة والتهمة وكل ذلك حرام وترك الورع
ليس بحرام فليس لك الا التكلف بالترك فان لم يكن الا بايذاء
فعليك ان تأكل فان تطييب قلب المسلم صيانة عن الايذاء من
الورع فاياك ان تكون من قراء المغرورين الذين لا يدركون
دقائق الورع فاعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل من
صدقة بريرة ولم يسأل عن المتصدق وكان صلى الله عليه وسلم يحمل
اليه الهدايا ولا يسأل نعم سأل في اول قدومه الى المدينة عما
حمل اليه انه صدقة او هدية لان ذلك ليس فيه ايذاء ولان قرينة
الحال كانت تقتضي الامكان في الصدقة والهدية على وتيرة واحدة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى الى الضيافات فيجيب ولا يسأل
ولم ينقل السؤال الا نادرا في محل الريبة فان قلت فان وقع

طعام حرام في سوق فهل يشتري من ذلك السوق فاقول ان تحققت
ان الحرام هو الاكثر فلا تشتروا الا بعد التفتيش وان علمت ان الحلال
الحرام كثير وليس بالاكثر فلك الشراء والتفتيش من الورع ولقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يشترون في اسفارهم من الاسواق
مع علمهم بان فيهم اهل الربا والغصب واهل الغلول في الغنيمة
وكانوا لا يتركون المعاملة معهم وهذا الباب يستدعي شرحا
طويلا فان رغبت فيه فطالع كتاب الحلال والحرام من كتب الاحياء
لتشهد عند مطالعتك بانه لم يصنف في فنه مثله في التحقيق و

الاصل الثامن

التحصيل والاحاطة بجميع التفاصيل **الاصل الثامن** في القيام
بحقوق المسلمين وحسن الصحبة معهم وهو ركن من اركان الدين
اذ الدين معناه السفر الى الله عز وجل ومن زاد كان المسافر حسن
الصحبة في منازل السفر مع المسافرين والخلق كلهم سفر يسير



بهم العمر سير السفينة براكبها واعلم ان الانسان يكون في الدنيا
اما وحده او يكون مع خواصه من اهل وولد وقريب وجار
او يكون مع عموم الخلق وهذه ثلثة احوال وعليه حسن الصحبة

واداء

واداء الحقوق في جميع هذه الاحوال **الحالة الاولى** ان يكون
وحده فليعلم انه بنفسه عالم وان باطنه يشتمل على اصناف من
الخلق مختلفي الطباع والاخلاق فان لم يحسن صحبتهم ولم يقم
بحقوقهم هلك واصناف جنود الباطن كثيرة وما يعلم جنود ربك
الا هو وقد استقصينا بعض ذلك في كتاب عجائب القلب
امر الجنود
ونذكر الان امراء الاجناد ورؤسها فنقول في قلبك شهوة
تجذب بها الى نفسك النافع وغضب تدفع به عن نفسك
الضار وعقل تدبر به الامور وتراعي به الرعية فانت
باعتبار غضبك كلب وباعتبار شهوتك بهيمة كالفرس
مثلا وباعتبار عقلك ملك وانت مامور بالعدل بينهم
والقيام بحقوقهم والاستعانة بهم لتقتنص بعونهم سعادة
الابد فان رضت الفرس وادبت الكلب وسخرتهما للملك
تيسر لك الظفر بما طلبت وان سخرت العقل في استنباط
حيل لتحصيل ما يقتضيه الكلب بغضبه وحاجة الفرس بحرصه
وجشعه او وقفت على العطب وضللت عن ادراك مقصود الطلب

آدمی زاد طرفه معجونست
از فرشته سرشته و زحیوان

نعمت منكوسًا معكوسًا فأنت ظالما لأن الظلم وضع الشيء في غير
موضعه ولو رأيت شخصًا جعل في طاعته ملك وكلبت وخنزير
فلم يزل يضطر الملك الى ان يسجد للخنزير والكلب فهل تراه
ظالما مستوجبا للعنة ولو كشفت حالك عند منامك او عند فنائك
عن نفسك كما وصفناه في الاستغراق بالله لرايت كل من اطاع
شهوته وغضبه ساجدًا للكلب او الخنزير اذ لم يكن الكلب
كلبا لصورته بل لمعناه وكذلك ترى نفسك بعد الموت لأن
المعاني في عالم الآخرة تستتبع الصور ولا تتبعها فيتمثل
كل شيء بصورة توازي معناه فيحشر المتكبرون في صور الذر
تطؤهم من اقبل وادبر والمتواضعون اعزاء واما هذا
العالم فعالم التلبيس فقد يودع معنى الخنزير والكلب
في صورة الانسان فلا تغتر به فان ذلك ينكشف يوم تبلى
السرائر فلعلك ان تحسن صحبة رفقائك الثلثة فتكسر
الشهوة بسورة الغضب وتقلل من غلواء الغضب بخداع الشهوة
وتسلط احدهما على الآخر فان ذلك بليغ جدا في تقويمهما

حتى ينقاد للعقل والشرع فيستعملها العقل بحيث ينتفع بهما كما يستعمل
الصائد الفرس والكلب ويسكنهما عند الاستغناء وشرح هذه الرياضة
والصيد طويل ذكرناه في كتاب الرياضة النفس **الحالة الثانية** صحبتك
مع عموم الخلق واقل درجات حق الصحبة كف الاذى عنهم قال
النبي عليه السلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وفوق ذلك
ان تنفعهم وتحسن اليهم قال النبي عليه السلام الخلق كلهم عيال الله فاحبهم
الى الله انفعهم لعياله وفوق ذلك ان تحتمل الاذى منهم وتحسن ذلك
اليهم وذلك درجة الصديقين قال رسول الله صلى الله عليه السلام لعلي
رضي الله عنه اذا اردت ان تسبق الصديقين فصل من قطعك واعط
من حرمك واعف عمن ظلمك فهذه جملة الامور وتفصيل هذه الحقوق
كثيرة ونقتصر من جملتها على عشرين وظيفة فمنها ان لا تحب للناس
الا ما تحب لنفسك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يزحزح
عن النار فلتأته منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وليأت الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه ومنها ان تتواضع
لكل احد ولا يفتخر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور وان تكبر عليه غيره

فليحتمل قال الله عز وجل خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين
ومنها أن يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال عم ليس منا من لم
يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا وقال عليه السلام من إجلال الله إكرام
ذي الشيبة المسلم وقال صلعم ما وقر شاب شيخا لسنه إلا قيض الله
له في شيبته من يوقره وهذا بشر بطول الحياة مع الأجر ومنها أن
يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه قال صلعم أتدرون على
من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال على الهين اللين السهل
القريب وقال صلعم إن الله يحب السهل الطلق ومنها إصلاح
ذات البين بين المسلمين ولو بالمبالغة والزيادة في الكلام قال صلعم
ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نمى خيرا وقال صلعم
ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا
بلى يا رسول الله قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي
الحالقة ومنها أن لا تسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ
بعضهم ما يسمع من بعض قال صلعم لا يدخل الجنة قتات وقيل من نم إليك
نم عليك ومنها أن لا يزيد في الهجر عند الوحشة على ثلاثة أيام قال صلعم

لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث وقال صلعم من أقال مسلما عثرته
أقاله الله تعالى عثرته يوم القيامة ومنها أن يحسن إلى كل أحد كان
أهلا لذلك أو لم يكن قال صلى الله عم اصنع المعروف إلى من هو أهله
فإن لم تصب أهله فأنت من أهله ومنها أن يخالق كل صنف بأخلاقهم
ولا تلتمس من الجاهل والغبي ما تلتمس من الورع العالم قال داود
عليه السلام إلهي كيف لي أن يحبني الناس وأسلم فيما بيني وبينك فأوحى
الله سبحانه إليه خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا وخالق أهل
الآخرة بأخلاق الآخرة ومنها أن ينزل الناس منازلهم فيزيد في
إكرامهم ذي المنزلة وإن كانت منزلته في الدنيا فإن رسول الله صلعم
يبسط رداءه لبعضهم وقال إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه ومنها
أن يستر عورات النساء المسلمين قال رسول صلى الله عم لا يرى امرؤ
من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة وقال صلى الله عم يا معشر
من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا
تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه المسلم يتتبع الله عورته
ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته ومنها أن يتقي مواضع

التهم وكلم صلى الله عم احدى نسائه صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن
والتنهم عن الغيب قال صلى الله عم اتقوا مواضع التهم وكلم صلى الله
عليه احدى نسائه فمر به رجل فقال يا فلان ان هذه زوجتي صفية فقال
يا رسول الله من كنت اظن فيه فاني لا اظن فيك فقال ان الشيطان
يجري من ابن آدم مجرى الدم ومنها ان يسعى في قضاء حوائج المسلمين
ولو بشفاعة قال صلى الله عم اشفعوا الي تؤجروا فاني اريد
الامر فاوخره كي تشفعوا الي فتوجروا وقال صلى الله عم
من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها
كان خيرا له من اعتكاف شهرين وقال صلى الله عم فيامشي مع اخيك
ساعة خير من اعتكاف سنة ومنها ان تبادر بالسلام على
كل مسلم وتصافحه ليكون لك فضل البداية قال رسول الله صلى الله
عم اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة
تسع وستون لاحسنهما بشرا ومنها ان ينصر اخاه في غيبته
ويرد عن عرضه وماله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم
ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه من عرضه وتستحل حرمته الا نصره الله

في موطن

موطن يحب نصرته ومنها ان يداري اهل الشر ليسلم منهم قالت
عائشة رضي الله عنها استاذن رجل على رسول الله صلى الله عم فقال
ائذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما دخل الان له القول حتى ظننت
ان له عنده منزلة فلما خرج راجعته في ذلك فقال يا عائشة ان
شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء
فحشه وقال صلى الله عليه وسلم ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة
وقال صلى الله عليه وسلم خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم بالقلوب ومنها
ان يحذر مجالسة الاغنياء ويكثر مجالسة المساكين قال صلى الله عم
اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن هم قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وسلم
اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين
وكان سليمان عليه السلام اذا راى في المسجد مسكينا جلس اليه وقال
مسكين جالس مسكينا وقال موسى عليه السلام الهي اين اطلبك قال
عند المنكسرة قلوبهم من اجلي ومنها ان لا يجالس الا من تفيده
في الدين فائدة او من تستفيد منه فاما اهل الغفلة فيتحذر
منهم قال صلى الله عم الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح

خير من الوحدة فان اكثر مجالسة اهل الغفلة فينتقص من دينه
بكل جلسة شي قليل قدر ان كل واحد منهم لو كان يأخذ منه في كل
جلسة شيئا لكان ثوبه او شعرة من شعر لحيته كيف كان يحذر خفيفة
ان يصير على القريب امرد عاريا على الحذر لاجل الدين اولى
ان يعود مريضهم ويشيع جنائزهم ويزور قبورهم ويدعو لهم
في الغيبة ويشمت العاطس وينصف الناس من نفسه وينصح اذا
استنصح لا عبرة لكم من حقوق كثرت فيها الاخبار والآثار وانما
الاختصار وجملتها ان تعمل في حقهم ما تحب ان يعمل في حقك من
احسان واهتمام وكف اذى **الثالثة** الصحبة مع من يدلي بسوى
عموم الاسلام خاصية كجوار او قرابة او ملك قال صلى الله
اول خصمين يوم القيامة جاران وقال صلى الله عم اذا رميت
كلب جارك فقد اذيته وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان فلانة
تصوم النهار وتصلي بالليل وتؤذي جيرانها فقال هي
في النار وقال صلى الله عليه وسلم اتدرون ما حق الجار ان استعان
بك اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر جدت عليه

وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته وان اصابه خير هنأته
وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح
الا باذنه واذا اشتريت فاكهة فاهد له وان لم تفعل فادخلها سرا
ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان
تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا
من رحمه الله **واما القرابة** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قال
الله تبارك وتعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي
فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال صلعم صلة الرحم تزيد
في العمر وقال صلى الله عليه وسلم يوجد ريح الجنة على مسيرة خمسمائة عام
ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع وقال صلعم بر الوالدين افضل من الصلوة
والصيام والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله عز وجل وقال صلعم بر
الوالدين على الوالد ضعفين وقال صلعم ساووا بين اولادكم بالعطية
واما المملوك فقد قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله فيما
ملكت ايمانكم اطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم
من العمل ما لا يطيقون فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم
اياكم

إياكم وقال صلعم اذا كفى احدكم مملوكه طعاما فانما حره وعلاجه وقربه
اليه فليجالسه وليأكل معه مملوكه ولياخذ لقمة فليروغها وليضعها
في يده وليقل كل هذه وسئل عن النبي صلعم كم نعفوا عن المملوك ان يترك
في طعمه وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ويعفو عن زلته ولا ينظر
اليه بعين الكبر والازدراء ويعلمه مهمات دينه واما حقوق
المنكوحة فتنزيلها على هذا اذ يجب لها من القيام بواجباتها حسن
المعاشرة والمطايبة قال رسول الله صلعم خيركم خيركم لاهله وانا
خيركم لاهلي وكان صلعم من افكه الناس مع نسائه والاخبار في ذلك
الكثر ان تحصى **فصل** في اصول الدين في امر الصحبة
اتخاذ الاخوان في الله عز وجل قال الله تعالى لبعض انبيائه اما زهدك
في الدنيا فقد استعجلت الراحة واما انقطاعك الي فقد تعززت
بي فهل واليت في وليا وهل عاديت في عدوا وقال صلعم يقول الله
تعالى يوم القيامة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل
الا ظلي واوحى الله سبحانه الى عيسى بن مريم عليه السلام لو انك عبدتني
بعبادة اهل السموات والارض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس

ما اغنى عنك ذلك شيئا وقال صلعم ان حول العرش منابر من نور عليها
قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم
النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله حلهم لنا فقال المتحابون في الله
والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله عز وجل واعلم ان كل حب لا يتصور
دون الايمان بالله واليوم الآخر فهو حب في الله ولكنه على درجتين
ادنيها ان تحبه لتنال منه في الدنيا نصيبا يوصلك الى الآخرة كحبك استاذك
وشيخك بل تلميذك الذي ينمو علمك بتعليمه بل خادمك الذي يفرغ
قلبك عن كنس بيتك وغسل ثوبك لتتفرغ بسببه لطاعة الله تعالى
بل المنفق عليك من ماله اذا كان غرضك من ذلك افراغ القلب لعبادة
الله تعالى الثانية وهي اعلى ان تحبه لانه محبوب عند الله عز
وجل ومحب لله تعالى وان لم يتعلق به غرض لك في الدنيا والآخرة
من علم او معونة على دين وغيره وهذا اكمل لان الحب اذا غلب تعدى
الى كل من هو من المحبوب بسبب حتى يحب الانسان محبوب محبوبه ومحبوب
محبوبه بل يميز بين الكلب الذي يسوق سكة محبوبه وبين سائر الكلاب
وانما مراية الحب بقدر غلبة الحب فمن احب لقاء الله لم يمكنه ان لا

يحب عباده الصالحين المرضيين عنده الا ان ذلك قد يقوى حتى يحمل
على ان يسلك بهم مسلك نفسه بل يؤثرهم على نفسه وقد يقصر عن ذلك
وفضلهم عند الله ينقسم بقدر درجته وقوته وكذلك يبغض لا محالة من
يعصيه ويخالف امره ويظهر اثر ذلك في مجانبته ومهاجرته وتقطيبه الوجه
عند مشاهدته ولذلك قال صلعم اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه
قلبي حذرا من ان يقدح ذلك في البغض في الله وبالجملة من لا يصادف
من نفسه الحب في الله والبغض في الله بهذه الاسباب فهو ضعيف الايمان
وهذا له تحقيق وتفصيل فاطلبه من كتاب الصحبة والاخوة في الله تعالى

الاصل التاسع في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال الله تعالى
ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن
المنكر وقال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال تعالى كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وقال ابو بكر الصديق رضي
الله عنه في خطبته ايها الناس انكم تقرؤون هذه الآية وتتأولونها
على خلاف تاويلها يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من

اي الزموا على انفسكم

ضل

ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلعم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي
وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا اوشك ان يعمهم الله
بعذاب من عنده وقالت عايشة رضي الله عنها قال صلى الله عليه وسلم
عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا اعمالهم اعمال الانبياء قالوا
يا رسول الله كيف ذلك قال لم يكونوا يغضبون لله عز وجل ولا يامرون
بالمعروف ولا ينهون عن المنكر **فصل** كل من شاهد منكرا ولم ينكره
وسكت عليه فهو شريك فيه فالمستمع شريك المغتاب ويجري هذا
في جميع المعاصي حتى في مجالسة من يلبس الديباج ويتختم بالذهب
ويجلس على الحرير والجلوس في دار او في حمام على حيطانها صور او فيها
اوان من ذهب او فضة او الجلوس في مسجد يسيء الناس الصلوة
فيه فلا يتمون الركوع والسجود والجلوس في مجلس وعظ يجري فيه ذكر
البدعة او في مجلس مناظرة او مجادلة تجري فيها الايذاء والايحاش
بالسفه والشتم وبالجملة من خالط الناس كثرت معاصيه وان كان
تقيا في نفسه الا ان يترك المداهنة ولا تاخذه في الله لومة لائم ويشتغل
بالحسبة والمنع وانما يسقط عنه الوجوب بامرين **احدهما** ان يعلم

ان بالمعروف او والنهي

انه لو انكر لم يلتفت اليه ولم يترك المنكر ونظر اليه بعين الاستهزاء
وهذا هو الغالب في منكرات يرتكبها الفقهاء ومن يزعم انه من
اهل الدين فيها فههنا يجوز السكوت ولكن يستحب الزجر باللسان
اظهارا لشعار الدين مهما لم يقدر على غير الزجر باللسان ويجب
ان يفارق ذلك الموضع فليس يجوز مشاهدة المعصية بالاختيار
فمن جلس في مجلس الشرب فهو فاسق وان لم يشرب ومن جالس مغتابا
او لابس حرير او آكل ربا او حرام فهو فاسق فليقم من موضعه
والثاني ان يعلم انه يقدر على المنع من المنكر بان يرى زجاجة
فيها خمر فيرميها فيكسرها او يسلب آلة الملاهي من يد صاحبها
ويضربها على الارض ولكن يعلم انه يضرب او يصاب بمكروه
فههنا مستحب الحسبة لقوله تعالى وانه عن المنكر واصبر على ما
اصابك ولا يجب الا ان المكروه الذي يصيبه له درجات كثيرة
ولطول النظر فيها ذكرناها في كتاب الامر بالمعروف من الاحياء وعلى
الجملة فلا يسقط الوجوب الا بمكروه في بدنه بالضرب او في ماله
بالاستهلاك او في جاهه بالاستخفاف به بوجه يقدح في مروءته

فاما

فاما الخوف من استيحاش المنكر عليه وخوف تعرضه له باللسان وعداوته
له او توهم سعيه في المستقبل بما يسوءه او يحول بينه وبين زيادة
خير يتوقعها فكل ذلك موهومات وامور ضعيفة لا يسقط الوجوب
بها فصل عمدة الحسبة شيئان احدهما اللطف والرفق و
البداية بالوعظ على سبيل اللين لا على سبيل العنف والترفع والادلال
بدالة الصلاح فان ذلك يؤكد داعية المعصية ويحمل العاصي
على المناكرة وعلى الايذاء ثم اذا آذاه ولم يكن حسن الخلق غضب لنفسه
وترك الانكار لله عز وجل واشتغل بشفاء غليله منه فيصير عاصيا
بل ينبغي ان يكون كارها للحسبة يود لو ترك العاصي المعصية بقول غيره
فاذا احب ان يكون هو المعترض كان ذلك لطلبه لذة الدالة الاحتساب
وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر
الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى
عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه ووعظ المأمون واعظ بعنف فقال
يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر مني
فامره بالرفق فقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى

وروى ابو امامة ان غلاما شابا اتى النبي عم اقربوه اقربوه ادن مني فدنا
منه فقال اتحبه لامك فقال لا جعلني الله فداك قال ولا الناس
يحبونه لامهاتهم ثم قال اتحبه لابنتك قال لا قال كذلك الناس
لا يحبونه لبناتهم حتى ذكر له الاخت والعمة والخالة ويقول كذلك الناس
لا يحبونه ثم وضع يده على صدره ثم قال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن
فرجه فلم يكن شيء ابغض اليه من الزنا وقال بعضهم للفضيل ان سفيان
بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال ما اخذ منهم الا دون حقه ثم
خلا به وعاتبه بالرفق فقال يا ابا علي ان لم نكن من الصالحين فانا
نحب الصالحين العمدة الثانية ان يكون المحتسب قد بدأ
بنفسه فهذبها وترك ما ينهى عنه اولا قال الحسن البصري اذا كنت
تامر بالمعروف فكن من اخذ الناس به والا هلكت فهذا هو الاولى
حتى ينفع كلامه والا انتهض به وليس هذا بشرط بل يجوز الاحتساب
للعاصي ايضا قال انس قلنا يا رسول الله لا نامر بالمعروف حتى نعمل به كله
ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله قال بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به
كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله وقال الحسن البصري يريد ان لا يظفر

الشيطان منكم بهذه الخصلة وهو ان لا تامروا بالمعروف حتى تاتوا به كله
يعني ان هذا يؤدي الى حسم باب الحسبة فمن ذا الذي يعصم عن المعاصي الاصل
العاشر في اتباع السنة اعلم ان مفتاح السعادات اتباع والاقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع مصادره وموارده وحركاته و
سكناته حتى في هيآت اكله وقيامه ونومه وكلامه لست اقول ذلك في
آدابه فقط لانه لا وجه لاهمال السنن الواردة فيها بل ذلك في جميع امور
العادات وبه الاتباع المطلق قال الله سبحانه قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله وقال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا فعليك ان تلبس السراويل قاعدا او تتعمم قائما وتبتدئ
باليمنى في تنعلك وتاكل بيمينك وتقلم اظفارك وتبتدئ بمسبحة اليد
اليمنى وتختم بابهامها وفي الرجل تبتدئ بخنصر اليمنى وتختم بخنصر اليسرى
وكذلك في جميع حركاتك وسكناتك ولقد كان محمد بن اسلم لا ياكل البطيخ
لانه لم ينقل كيفية اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم له وسها بعضهم
فلبس الخف فابتدأ باليسرى فكفر عنه بحنطة فلا ينبغي ان تتساهل
في امثال ذلك فتقول هذا مما يتعلق بالعادات ولا معنى للاتباع فيه لان

ذلك يغلق عليكم بابا عظيما من ابواب السعادة **فصل** لعلك الآن
الوقوف على السبب المرغب في الاتباع في هذه الافعال وتستبعد ان يكون تحت
امثالها مهم يقتضي هذا التشديد العظيم في المخالفة فاعلم ان ذكر السر في آحاد
ذلك طويل لا يحتمل هذا الكتاب شرحه لكن ينبغي ان تفهم ان ذلك ينحصر
في ثلثة انواع من الاسرار **الاول** انا نبهناك في مواضع على العلاقة
التي بين الملك والملكوت وبين الجوارح والقلب وكيفية تاثر القلب بعمل
الجوارح فان القلب كالمرآة لا تتجلى فيه حقائق الحق الا بتصقيله و
تنويره وتعديله اما تصقيله فبازالة خبث الشهوات وكدورة
الاخلاق الذميمة اما تنويره فبانوار الذكر والمعرفة ويعين عليه
العبادة الخالصة اذا اديت على كمال الحرمة بمقتضى السنة واما تعديله
فبان تجري جميع حركات الجوارح على قانون العدل اذ اليد لا تصل الى
القلب حتى تقصد بتعديله فيه هيئة معتدلة صحيحة لائقة واجلاء فيه
وانما التصرف في القلب بواسطة تعديل الجوارح وتعديل حركاتها
ولهذا كانت الدنيا مزرعة الآخرة ولهذا تعظم حسرة من مات قبل
التعديل لانسداد طريق التعديل بالموت اذ تنقطع علاقة القلب
قبل تعديل القلب

الجوارح

الجوارح فمهما كانت حركات الجوارح بل حركات الخواطر ايضا موزونة بميزان
العدل حدث في القلب هيئة عادلة مستوية يستعد لقبول الحقائق
على نعت الصحة والاستقامة كما تستعد المرآة المعتدلة لمحاكاة الصور
الصحيحة من غير اعوجاج ومعنى العدل وضع الاشياء مواضعها ومثاله ان
الجهات مثلا اربعة وقد خص منها جهة القبلة بالتشريف فالعدل ان
تستقبل في احوال الذكر والعبادة والوضوء وان تنحرف عنها
عند قضاء الحاجة وكشف العورة اظهارا لفضل ما ظهر فضله
وللیمین زيادة على اليسار غالبا لفضل القوة فالعدل ان
تفضلها على اليسار وتستعملها في بعض الاعمال الشريفة كاخذ
المصاحف والطعام وتترك اليسار للاستنجاء وتناول
القاذورات وقلم الظفر مثلا تطهير لليد وهو اكرام فينبغي ان
تبدأ بالاكرم والافضل وربما لا يستقل عقلك بالتفطن
للترتيب فيه وكيفية البداية فاتبع فيه السنة وابتدأ بالمسبحة
من اليمنى لان اليد افضل من الرجل واليمنى افضل من اليسرى والمسبحة
التي بها الاشارة في كلمة التوحيد افضل من ساير الاصابع ثم بعد ذلك

تدور من يمين المسبحة وللكف ظهر ووجه فوجهه ما يقابله فاذا جعل
الكف وجه اليد كان يمين المسبحة من جانب الوسطى وقدر اليدين
متقابلتين بوجهيهما وقدر الاصابع كانها اشخاص فتدور
بالمقراض من المسبحة الى ان تختم بابهام اليمين كذلك فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم والحكمة فيه ما ذكرناه فاذا انت تعودت رعاية
العدل في دقايق الحركات صار العدل والصحة هيئة راسخة
في قلبك واستوت [illegible] واستعد لقبول صورة السعادة
قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فروح الله عز وجل
مفتاح ابواب السعادة ولا يمكن نفخه الا بعد التسوية ومعنى
التسوية يرجع الى التعديل ووراء هذا سر طويل يطول شرحه
وانما نريد الرمز الى اصله فان كنت لا تقوى على فهم حقيقته
فالتجربة تنفعك فانظر الى من تعود الصدق كيف يصدق رؤياه
غالبا لان الصدق حصل في قلبه هيئة صادقة تتلقى اللوائح
[illegible] نظر [illegible] رؤيا الكذاب بل
رؤيا الشاعر لتعوده التخيلات الكاذبة فاعوج لذلك صورة قلبه

فان كـ

فان كنت تريد ان تلحظ جناب القدس فاترك ظاهر الاثم وباطنه
اترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن واترك الكذب حتى في حديث
النفس السر الثاني ان تعلم ان الاشياء المؤثرة في بدنك بعضها يعقل
تاثيرها بنوع من المناسبة الى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة
كقولك ان العسل يضر المحرورين وينفع البارد مزاجه ومنها ما لا يدرك
بالقياس ويعبر عنه بالخواص وتلك الخواص لم يوقف عليها بالقياس
بل مبدا الوقوف عليها وحي او الهام فالمغناطيس يجذب الحديد
والسقمونيا تجذب خلط الصفراء من اعماق العروق لا على القياس
بل بخاصية وقف عليها اما بالالهام او بالتجربة واكثر الخواص
عرفت بالالهام واكثر التاثيرات في الادوية وغيرها من
قبيل الخواص فكذلك فاعلم ان تاثيرات الاعمال في القلب تنقسم
الى ما نفهم وجه مناسبته كعلمك بان اتباع الشهوات الدنياوية
الدنيوية تؤكد علاقته مع هذا العالم فيخرج من العالم منكوس
الراس موليا وجهه الى هذا العالم اذ فيه محبوبه وكعلمك ان المداومة

تؤكد الانس بالله سبحانه وتوجب المحبة تعظم اللذة به عند فراق
الدنيا والقدوم على الله سبحانه اذ اللذة على قدر الحب والحب على قدر
المعرفة والذكر ومن الاعمال ما يؤثر في الاستعداد لسعادة الآخرة او
لشقاوتها بخاصية ليست على القياس لا يوقف عليها الا بنور النبوة فاذا
رايت النبي صلى الله عليه وسلم قد عدل عن احد المباحين الى الآخر واثره عليه
مع قدرته عليهما فاعلم انه اطلع بنور النبوة على خاصية فيه وكوشف به
من عالم الملكوت كما قال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله امرني ان اعلمكم
ما علمني وأؤدبكم مما ادبني فلا يكثرن احدكم الكلام عند المجامعة
فانه يكون منه العمى ولا يقبلن احدكم امرأته اذا هو جامعها فانه
يكون منه صمم الولد ولا يديمن احدكم النظر في الماء فانه يكون منه
ذهاب العقل فهذا امثال مما ذكرناه واوردناه تسهيلا على اطلاعه
على خواص الاشياء بالاضافة الى امور الدنيا لتقيس به اطلاعه
صلعم على ما يؤثر بالخاصية في السعادة والشقاوة فلا ترضى لنفسك
ان تصدق محمد بن زكريا الرازي المتطبب فيما يذكره من خواص الا

الاشياء في الحجامات والاحجار والادوية ولا تصدق سيد البشر محمد
بن عبد الله الهاشمي المكي المدني صلوات الله عليه وسلامه فيما يخبر عنه وانت
تعلم انه صلى الله عليه وسلم مكاشف من العالم الاعلى بجميع الاسرار وهذا ينبهك على
الاتباع فيما لا تفهم وجه الحكمة فيه على ما ذكرناه في السر الاول **السر الثالث**
ان سعادة الانسان في ان يتشبه بالملائكة في النزوع من الشهوات وكسر النفس
الامارة بالسوء ويبعد عن مشابهة البهيمة المهملة سدى التي تسترسل في اتباع الهوى
بحسب ما يقتضيه طبعها من غير حاجز ومهما تعود الانسان في جميع الامور ان يفعل
ما يشاء من غير حاجز الف اتباع مراده وهواه وغلب على قلبه صفة البهيمة
فمصلحته ان يكون في جميع حركاته ملجما بلجام يصده عن طريق الطبع كيلا تنسى
نفسه العبودية ولزوم الصراط المستقيم فيكون اثر العبودية ظاهرا عليه
في كل حركاته اذ لا يفعل شيئا بحكم طبعه بل بحكم الامر فلا ينفك في جميع احواله عن مصادمة
ايثار بعض الامور على بعض ومن القى زمامه في يد كلب مثلا حتى لم يكن تردده
بحكم طبعه بل بحكم غيره فنفسه اقوم لقبول الرياضة الحقيقية واقرب ممن جعل
زمامه في يد هواه يسترسل به استرسال البهيمة وهذا سر عظيم في تزكية
النفس وعنه فائدة يحصل بوضع الشارع صلى الله عليه وسلم نوعا وضبطا و

والفائدة الجلية والخاصية لا تتغير بالوضع وهذا تتغير بالوضع فإن المقصـ
أن لا يكون مخلا باختياره ولم يحصل المقصود بالميل إلى أحد الجانبين
إلى جانب كان وفي هذا يتصور أن تختلف الشرائع لأنه ثمرة الوضع فليتفكر في
فصل
التنبيهات الثلاث على فضل ملازمة الاتباع في جميع الحركات والسكنات
هذا التخصيص كله الذي ذكرناه إنما هو في العادات وأما في العبادات فلا أعرف
لترك السنة من غير عذر وجها إلا كفرا خفيا أو حمقا جليا بيانه أن النبي صلعم
إذ قال تفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة
فكيف تسمح نفس المؤمن بتركها من غير عذر نعم يكون السبب في ذلك إما
حمقا أو غفلة بأن لا يتفكر في هذا التفاوت العظيم ومن يسمح بحقه
إذا آثر واحدا على اثنين كيف لا يسمح بنفسه إذا آثر واحدا على
سبع وعشرين لا سيما فيما هو عماد الدين ومفتاح السعادة الأبدية
وأما الكفر فهو أن يخطر بباله أن هذا ليس كذلك وإنما ذكره للترغيب
في الجماعة وإلا فأي مناسبة بين الجماعة وبين هذا العدد المخصوص
من بين سائر الأعداد وهذا الكفر خفي قد ينطوي عليه الصدر و
صاحبه لا يعرفه وما أعظم حماقة من يصدق المنجم والطبيب

في أمور أبعد من ذلك ولا يصدق النبي صلعم المكاشف بأسرار الملكوت فإن
المنجم لو قال لك إذا انقضى سبعة وعشرون يوما من تحويل طالعك
أصابتك نكبة فاحترز في ذلك اليوم واجلس في بيتك فلا تزال
في تلك المدة تستشعر وتترك جميع أشغالك ولو سألت المنجم عن
سببه لتعلل لك أنا قلت ذلك لأن بين درجة الطالع وموضع زحل
سبعا وعشرين درجة فتتأخر النكبة في كل درجة يوما أو شهرا
فإذا قيل لك هذا هوس إذ لا مناسبة له فلا تصدقن به فلا يخلو
قلبك عن الاستشعار وتقول في أفعال الله عجائب لا تعرف
مناسبتها ولعل لها خواص لا تدرك وقد عرف بالتجربة أن ذلك
ربما يؤثر وإن لم تعرف مناسبته ثم إن آل الأمر إلى خبر النبوة
عن الغيب أنكرت مثل هذه الخواص وطلبت المناسبة الصريحة
فقل لهذا سبب الإشراك خفي لا بل كفر جلي إذ لا محمل له سواه
وسبب هذا التكاسل كله أنه لا يهمك أمر آخرتك فإن أمر دنياك
لما كان يهمك فتحتاط فيه بقول المنجم وبالاختلاج والفأل والأمور البعيدة
عن المناسبة غاية البعد وتنقاد إلى الاحتمالات البعيدة لأن

لان الشفيق بسوء الظن مولع ولو تفكرت لعلمت ان هذا الاحتياط
بالخطر الابدي اليق فان قلت فما اي حسن في الاعمال ينبغي ان تتبع
السنة فاقول في كل ما وردت فيه السنة والاخبار وفيه كثيرة
وذلك كقوله صلى الله عليه وسلم من احتجم يوم السبت والاربعاء
فاصابه برص فلا يلومن الا نفسه وقد احتجم بعض المحدثين
يوم السبت وقال هذا الحديث ضعيف فبرص وعظم ذلك عليه حتى
راى رسول الله صلعم في المنام فشكى اليه ذلك فقال لم احتجمت في
يوم السبت فقال لان الراوي كان ضعيفا فقال النبي ان قد
نقل عني فقال تبت يا رسول الله فدعا له رسول الله صلعم بالشفاء
فاصبح وقد زال ما به وقال صلى الله عليه وسلم من احتجم يوم الثلثاء
لسبعة عشر كان دواء السنة وقال صلعم من نام بعد العصر فاختلس
عقله فلا يلومن الا نفسه وقال صلعم اذا انقطع شسع نعل
احدكم فلا يمش في نعل واحدة حتى يصلح شسعه وقال صلعم اذا ولدت
امراة فليكن اول ما تاكل الرطب فان لم يكن فتمر فانه لو كان
افضل منه لاطعمه الله عز وجل مريم حين ولدت عيسى عليه السلام

وقال

وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتي احدكم بالحلواء فليصب منه واذا اتي احدكم
بالطيب فليمس منه وامثال ذلك في العادات كثيرة ولا يخلو شيء منها
عن سنة

خاتمة في ترتيب الاوراد وتنعطف على الاصول العشرة

اعلم ان هذه العبادات التي فصلناها منها ما يمكن الجمع بينها كالصوم
والصلوة والقراءة ومنها ما لا يمكن الجمع بينها كالقراءة والذكر والقيام
بحقوق الناس والصلوة فينبغي ان يكون من اهم امورك توزيع اوقاتك
على اصناف الخيرات من صباحك الى المساء او من مسايك الى صباحك وتعلم
ان مقصود العبادات تاكيد الانس بذكر الله عز وجل للانابة الى
دار الخلود والتجافي عن دار الغرور ولن يسعد في دار الخلود الا من
قدم على الله سبحانه محبا له ولا يكون محبا له الا من كان عارفا به مكثرا
لذكره والحصول المعرفة والحب الا بالفكر والذكر الدائم ولن يدوم
الذكر في القلب الا بالمذكرات وهي العبادات المستغرقة للاوقات
على التعاقب والاختلاف اصنافها زيادة تاثير في التذكير ومنع
الملال وسقوط اثره عن القلب بالدوام الذي ينتهي الى حد الاعتياد
نعم ان كنت والها بالله عز وجل مستغرقا به لم تفتقر الى ترتيب

حيران

الاوراد بل ورد واحد وهو ملازمة الذكر ومن اراد ان تكون كذلك فان
من اعز الامور فاذا لم تكن واليها مشتهيا فعليك ان ترتب اورادك
فاحد الاوراد هو من وقت انتباهك من النوم الى طلوع الشمس وينبغي
ان تجمع في هذا الوقت الشريف بعد الفراغ من الصلوة بين الذكر والدعاء
والقراءة والتفكر فان لكل واحد اثرا آخر في تنوير القلب و
تعرف كيفية ذلك وتفصيله في كتاب بداية الهداية وكتاب ترتيب
الاوراد وكذلك تفعل بين الطلوع والزوال وبين الزوال والعصر
وبين الغروب والعشاء فانها اشرف الاوقات لان النشاط انما
يتوفر بان يتنوع ورد كل وقت لتكون في كل وقت عبادة اخرى
تنتقل من بعضها الى البعض هذا ان كنت من العباد فان كنت معلما
او متعلما او واليا فالاشتغال بذلك اولى في بياض النهار وافضل
من العبادات البدنية لان اصل الدين العلم الذي به يحصل التعظيم
لامر الله سبحانه والنفع الذي يصدر من الشفقة على خلق الله وكذلك
ان كنت محترفا فالقيام بحق العيال بكسب الحلال افضل
من العبادة البدنية ولكن في جميع ذلك لا ينبغي ان تخلو ان تشتغل عن

ذكر

ذكر الله تعالى بل تكون كالمستهتر بمعشوقه المدفوع الى شغل من الاشغال
لضرورة وقته وهو يعمل ببدنه وهو غائب عن عمله حاضر بقلبه مع معشوقه
حكي عن ابي الحسن الجرجاني انه كان يعمل بالمساحاة دائما وكان يقول
اعطينا اليد واللسان والقلب فاليد للعمل واللسان للخلق
والقلب للحق ولنقتصر على هذا القدر في قسم الطاعات الظاهرة
ففيه الكفاية ان شاء الله

القسم الثالث في تزكية القلب عن الاخلاق المذمومة

قال الله تعالى قد افلح من تزكى وقال قد افلح من زكيها والتزكية
هي التطهير وقال رسول الله صلعم الطهور شطر الايمان فافهم منه
ان تمام الايمان بتزكية القلب عما لا يحبه الله عز وجل وتحليته بما يحبه
الله والتزكية شطر الايمان وكيف تشتغل بالطهارة من لا يعرف النجاسة
فلنذكر الاخلاق المذمومة وهي كثيرة ولكن يرجع شعبها الى عشرة
اصول **الاصل الاول** شره الطعام وهو من الامهات لان المعدة ينبوع
الشهوات ومنها تتشعب شهوة الفرج ثم اذا غلبت شهوة المأكول
والمنكوح تتشعب منه شهوة الجاه اذ يعسر كسب المال دونه
ثم عند حصول المال والجاه وطلبهما تزدحم الآفات كلها كالكبر و
تتشعب منها شهوة المال ولا يتوصل الى قضاء
الشهوتين الا به

ذلك

الرياء والحسد والحقد والعداوة وغيرها وضع جميع البطر فلهذا
عظّم رسول الله صلعم أمر الجوع فقال عليه السلام أحبّ إلى الله تعالى من الجوع و
العطش وقال لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقال سيد الأعمال
الجوع وقال الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال أفضلكم
عند الله تعالى أطولكم جوعا وتفكرا وأبغضكم إلى الله تعالى كل أكول نؤوم شروب
وقال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات
يقمن صلبه وإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه
وقال إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه
بالجوع والعطش وقال لعائشة رضي الله عنها أديموا قرع باب الجنة
يفتح لكم قالت وكيف ذلك يا رسول الله قال بالجوع والظماء وقال الأكل
والشرب في أنصاف البطون فإنه جزء من النبوة فصل لعلك
تشتهي أن تعلم السر في تعظيم الجوع وهنا نبين لطريق الآخرة فاعلم
أن له فوائد كثيرة ولكن يرجع أصولها إلى سبع أحدها صفاء القلب
ونفاذ البصيرة فإن الشبع يورث البلادة ويعمي القلب قال صلعم
من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه ولا يخفى أن مفتاح السعادة

المعرفة

المعرفة ولا تنال إلا بصفاء القلب فلذلك كان الجوع قرع باب الجنة
الثانية رقة القلب حتى يدرك به لذة المناجاة ويتأثر بالذكر و
العبادة وقال الجنيد يجعل أحدكم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام
ويريد أن يجد حلاوة المناجاة ولا يخفى عليك أن أحوال القلب مع الخشية
والخوف والرقة بالمناجاة والانكسار بالهيبة من مفاتيح أبواب الجنة
وإن كان باب المعرفة فوقه والجوع قرع لهذا الباب الثالثة
ذل النفس وزوال البطر والطغيان منها فلا تكسر النفس بشيء كالجوع
والطغيان داع إلى الغفلة عن الله تعالى وهو باب الجحيم والشقاوة والجوع
إغلاق لهذا الباب وفي إغلاق باب الشقاوة فتح باب السعادة
ولذلك لما عرضت الدنيا عليه صلعم قال لا بل أجوع يوما وأشبع يوما
فإذا جعت صبرت وتضرعت وإذا شبعت شكرت الرابعة أن البلاء
من أبواب الجنة لأن فيه مشاهدة طعم العذاب وبه يعظم الخوف من عذاب
الآخرة ولا يقدر الإنسان على أن يعذب نفسه بشيء كالجوع فإنه لا يحتاج فيه
إلى تكلف وترتبط به فوائد أخرى فيكون مشاهد البلاء الله تعالى على
الدوام الخامسة كسر سائر الشهوات التي هي منابع المعاصي قال علي

رضي الله عنه ما شبعت قط الا عصيت او هممت وقالت عائشة رضي الله عنها
اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلعم الشبع ان القوم لما شبعت
بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا السادسة خفة البدن للتهجد
والعبادة وزوال النوم المانع من العبادة فان راس مال السعادة
العمر والنوم ينقص العمر اذ يمنع من العبادة واصله كثرة الاكل قال ابو
سليمن الداراني من شبع دخل عليه ست فقد حلاوة العبادة
وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن
ان الخلق كلهم شباع وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان سائر
المؤمنين يدورون حول المساجد وهو يدور حول المزابل السابعة
خفة المؤنة وامكان القناعة بقليل من الدنيا وامكان ايثار الفقر
فان من تخلص من شره بطنه لم يفتقر الى مال كثير فيسقط عنه اكثر هموم
الدنيا فمهما اراد ان يستقرض لقضاء شهوة البطن استقرض من نفسه
وترك شهوته كان اذا قيل لابرهيم بن ادهم في شيء انه غال قال ارخصوه
بالترك فصل لعلك تقول قد صار الشبع والاكثار من الاكل عادة
فكيف الترك فاعلم ان ذلك يسهل على من اراده بالتدريج وهو ان ينقص

كل

كل يوم من طعامه لقمة حتى ينقص رغيفا في مقدار شهر فلا يظهر اثره
ويصير بالتقليل عادة ثم اذا اذعنت بالتقليل فلك نظر في الوقت
والقدر والجنس اما القدر فله ثلاث درجات اعلاها وهي درجة
الصديقين الاقتصار على قدر القوام وهو الذي يخاف من النقصان
منه على العقل والحياة وهو اختيار سهل التستري وكان يرى ان صلوته
قاعدا لضعفه بالجوع افضل من الصلوة قائما مع قوة الاكل الثانية ان تقنع
بنصف مد كل يوم وهو ثلث البطن وعلى ذلك كان عادة عمر رضي الله عنه
وجماعة من الصحابة اذ كان قوتهم في الاسبوع صاعا من شعير الثالثة
المد الواحد وما جاوز ذلك فهو مشاركة مع اهل العادة وميل عن
طريق السالكين المسافرين الى الله تع وقد يؤثر في المقادير اختلاف
الاحوال والاشخاص وعند ذلك فالاصل فيه ان يمد اليد اذا صدق
جوعه ويكف وهو بعد صادق الاشتهاء وعلامة صدق الجوع ان
تشتهي الخبز كان من غير ادم فاذا استثقل الاكل بغير ادم فهو علامة
الشبع واما الوقت ففيه ايضا ثلث درجات اعلاها ان يطوى
ثلثة ايام فما فوقها فقد كان الصديق رضي الله عنه يطوي ستة ايام

والبرهيم بن ادهم والثوري سبعا وبعضهم انتهى الى اربعين يوما وقيل
من طوى اربعين يوما ظهرت له لا محالة اشياء من عجائب الملكوت ولا
يمكن ذلك الا بتدريج واما الاوسط بان ينطوي يومين والادنى ان
ياكل كل يوم مرة واحدة فمن اكل مرتين لم تكن له حالة الجوع اصلا
فيكون قد ترك فضيلة الجوع واما الجنس فاعلاه خبز البر مع الادام
وادناه خبز الشعير بلا ادام والمداومة على الادام مكروه جدا قال
عمر رضي الله عنه لولده كل مرة خبزا ولحما ومرة خبزا وسمنا ومرة
خبزا ولبنا ومرة خبزا وملحا ومرة خبزا قفارا وهذا
تنبيه على الاحسن في اهل العادة واما السالكون الطريق فقد
بالغوا في ترك الشهوات جملة حتى كان بعضهم يشتهي الشهوة عشر سنين
وعشرين سنة وهو يخالف نفسه ويمنعها شهوتها وقد قال النبي عم
شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليها اجسادهم وانما
همتهم الوان الطعام وانواع اللباس ويتشدقون في الكلام
وقد شرحنا طريق السلف في ترك الشهوات في كتاب كسر الشهوتين
الاصل الثاني شره الكلام وذلك لان من فطنه فان الجواد بطنا يؤدي به

اعمالها

اعمالها القلب لكن اللسان اخص به لانه يؤدي من القلب ما فيه من الصور
فينقبض لكل كلمة صورة في القلب مخالفة ايضا فلذلك اذا كان كاذبا حصل
في القلب صورة كاذبة واعوج به وجه القلب واذا كان في شيء من
الفضول منقطع عنه اسود به وجه القلب واظلم حتى ينتهي كثرة
الكلام الى اماتة القلب ولذلك عظم رسول الله صلعم امر اللسان فقال
من يتوكل لي بما بين لحييه ورجليه اتوكل له بالجنة وسئل عن اكثر
ما يدخل النار فقال الاجوفان الفم والفرج وقال وهل يكب
الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم وقال من صمت نجا
وقال لمعاذ اي الاعمال افضل فاخرج لسانه ووضع عليه يده وقال
ان اكثر خطايا ابن آدم في لسانه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليقل خيرا او ليصمت وقال من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه
كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه فالنار اولى به ولهذا كان الصديق
يضع حجرا في فيه ليمنع نفسه من الكلام فصل اعلم ان للسان عشرين
آفة شرحنا في كتاب آفات اللسان ويطول ذكرها ويكفيك العمل
باية واحدة قال الله تع لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او

معدود في الآية معناه أن لا تتكلم فيما لا يعنيك وتقتصر على المهم ففيه
النجاة قال أنس رضي الله عنه استشهد غلام منا يوم أحد فوجد
على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت
هنيئا لك الجنة يا بني فقال رسول الله صلعم وما يدريك لعله كان يتكلم
فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وحد ما لا يعنيك أن تتكلم بما لو سكت عنه لم تأثم
به ثوابه ولم تتضرر به ضررا ومن اقتصر من الكلام على المهم قل كلامه
فليحاسب العبد نفسه عند ذكر ما لا يعنيه أنه لو ذكر الله بدل
تلك الكلمة لكان ذلك كنزا من كنوز السعادة فكيف يضيع القفل ويترك
كنزا مكنوزا ويأخذ مدرة هذا لو لم يكن فيه إثم فإن كان إثما فقد ترك
ترك كل كنز وأخذ شعلة من النار ومن جملة ما لا يعني حكاية الأسفار
وأحوال أطعمة البلاد وعاداتهم وأحوال الناس وادرار الأسعار
والتجارات ومن جملة ما ترى الناس يخوضون فيه **فصل** لعلك
تريد أن تعرف تفصيل بعض هذه الآفات فاعلم أن الغالب على
الألسنة من جملة العشرين آفة خمسة الكذب والغيبة والمماراة
والمدح والمزاح **الأولى** الكذب وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد

يكذب

ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقال صلعم ويل للذي يحدث
فيكذب ليضحك الناس ويل له ويل له وقيل يا رسول الله أيزني المؤمن
قال قد يكون ذلك فقيل له أيكذب فقال لا إنما يفتري
الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر
الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فقعد وقال ألا وقول
الزور وقيل كل خصلة يطبع الله عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب
فصل اعلم أن الكذب حرام في كل شيء إلا لضرورة حتى قالت امرأة
لولدها الصغير تعال حتى أعطيك فقال النبي صلعم وما إذا كنت تعطينه
قالت تمرة قال أما لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة فليحذر الإنسان
الكذب في التخيل وحديث النفس فإن ذلك ينبت في النفس صورة معوجة
حتى تكذب للرؤيا فلا ينكشف في النوم أسرار الملكوت والتجربة تشهد
بذلك نعم إنما يرخص في الكذب إذا كان الصدق يفضي إلى محذور آخر
أشد من الكذب فيباح كما يباح الميتة إذا أدى تركها إلى محذور أشد
من الهلاك وهو في ثلاث للحرب قالت أم كلثوم رضي الله عنها ما رخص رسول الله
صلعم في شيء من الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول

القول في الحرب والرجل يحدث امراته وهذا لان اسرار الحرب لو وقف
عليها العدو اجتراه واسرار الزوج لو وقفت عليها المراة ثار منها
فساد اعظم من فساد الكذب وكذلك المتخاصمان تدوم بينهما البغضة و
العداوة واذا امكن الاصلاح بكذب فذلك اولى فهذا ما ورد فيه الخبر
في معناه كذب الانسان ليستر ماله عن ظالم وانكاره لسره عن غيره
بل انكاره لمعصية نفسه عن غيره فان المجاهرة بالفسق وابدائها حرام
وانكاره جناية نفسه على غيره ليطيب قلبه وانكاره مع زوجته ان تكون
ضرتها احب اليه وكل ما يرجع الى دفع المضرات والابتغاء لحب زيادة
مال وجاه وفيه يكون كذب اكثر الناس ثم اذا اضطر الى الكذب
فليعدل الى المعاريض ما امكن حتى لا يعتاد نفسه الكذب كان ابرهيم
اذا طلب في الدار يقول لخادمته قولي اطلبه في المسجد وكان الشعبي
يخط دائرة ويقول لخادمته ضعي الاصبع فيها وقولي ليس هاهنا
وكان بعضهم يعتذر عند الامير ويقول منذ فارقتك ما رفعت جنبي
من الارض الا ما شاء الله تعالى وكان بعضهم ينكر ما قال فيقول ان
الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيتوهم النفي بحرف ما وهو يريد غير

ذلك

ذلك وتباح المعاريض لغرض ضعيف كقوله عم لا يدخل الجنة عجوز
ويحملك على ولد البعير وفي عيني زوجك بياض لان هذه الكلمات اوهمت
خلاف ما اراد فيباح مثل ذلك مع النساء والصبيان لتطييب قلوبهم
بالمزاح وكذلك من يمتنع عن الطعام فلا ينبغي ان يكذب فيقول لا
اشتهي اذا كان يشتهي بل يعدل الى المعاريض قال النبي عم لامراة
قالت ذلك لا تجمعي كذبا وجوعا **الآفة الثانية** الغيبة قال الله تع
ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال النبي صلعم
الغيبة اشد من الزنا واوحى الله تع الى موسى عليه السلام من مات تائبا
من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من
يدخل النار وقال صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون
وجوههم باظفارهم فقيل لي هؤلاء الذين يغتابون الناس واعلم ان
حد الغيبة كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تذكر لاخاك بما يكرهه
لو بلغه وان كنت صادقا سواء ذكرت نقصانا في نفسه او عقله او ثوبه
او فعله او نسبه او داره او دابته او شيء مما يتعلق به حتى قولك انه
واسع الكم او طويل الذيل حتى ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل

فقيل له ما اعجزه فقال اغتبتموه واشارت عائشة رضي الله عنها بيدها الى
امراة انها قصيرة فقال اغتبتيها فبهذا يعلم ان الغيبة لا تقتصر
على اللسان بل لا فرق بان يحصل التفهيم باليد او بالرمز او بالاشارة
او بالحركة او المحاكات او التعريض المفهم كقولك ان بعض اقربائنا او
بعض اصدقائنا كذا واعلم ان اخبث الغيبة غيبة القراء يقولون مثلا
الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان لطلب الدنيا او
نعوذ بالله من قلة الحياء وهم يفهمون المقصود بذلك يقولون ما احسن
احوال فلان لولا انه بلي بمثل ما ابتلي به امثالنا وهو قلة الصبر
عن الدنيا فنسل الله ان يعافينا وغرضهم من ذلك الغيبة فيجمعون
بين الغيبة والرياء واظهار التشبه باهل الصلاح في التحرز من الغيبة
وهذه جنايات يغترون بها وهم يظنون انهم تركوا الغيبة
وكذلك قد يغتاب واحد فيغفل عنه الحاضرون فيقول سبحان الله
ما اعجب هذا حتى ينتبه القوم الى الاصغا فيستعمل ذكر الله تعالى حقيقة
خفي يقول قلبي مشغول بفلان تاب الله علينا وعليه وليس
غرضه الدعا بل التعريف ولو قصد الدعاء لاخفاه ولو اغتم قلبه

لاجله

لاجله لكتم عيبه ومعصيته وكذلك المستمع قد يظهر التعجب من كلام المغتاب حتى
يزيد نشاطه في الغيبة والمستمع احد المغتابين كذلك قال رسول الله
صلعم فكيف اذا اجرى نشاطه بالتعجب وكذلك يقول دع غيبة الناس
وهو بالقلب غير كاره لغيبته انما غرضه ان يعرف بالتورع وذلك
لا يخرجه عن اثم الغيبة ما لم يكرهها بقلبه ويورطه في اثم الرياء بل
يخرج من الاثم بان يكرهه قلبه ويكذب المغتاب ولا يصدقه عليه
لانه فاسق يستحق التكذيب والمسلم المذكور بالغيبة يستحق احسان
الظن به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه
وماله وان يظن به ظن السوء فالغيبة بالقلب حرام كما انه باللسان
حرام الا ان يضطر الى معرفة بحيث لا يمكنه التجاهل فصل
انما يرخص في الغيبة في ستة مواضع الاول عند التظلم يذكر ظلم الظالم
عند سلطان ليدفع ظلمه فلما اغتيب الحجاج عند بعض السلف فقال ان
الله لينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه الثاني الاستعانة
على تغيير المنكرات يجوز ان يذكره ايضا الثالث
المستفتي اذا افتقر الى ذكر السؤال كما قالت هند ان ابا سفيان

رجل متبجح لا يستطيع ما يكفيني وهذه كلمة شكاية ولكن انما يحل اذا كان
فيها فائدة الرابع تحذير المسلم من شر الغير اذا علم انه لو لم يذكره لقبل
شهادته كما يذكر المزكي اذ يعامل و يناكح فيتضرر به فيذكر ليتقي
ضرره به فقط الخامس ان يكون معروفا باسم فيه عيبه كالاعمش
والاعرج فالعدول الى اسم آخر اولى السادس ان يكون مجاهرا بذلك
العيب لا يكرهه ان يذكر كالمخنث وصاحب الماخور وقال الحسن ثلثة
لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بالفسق والامام
الجائر وهولاء يجمعهم انهم مجاهرون ولا يكرهون الذكر والصحيح
ان ذكر الفاسق بمعصية يخفيها ويكره ذكرها لا يجوز من غير عذر
فصل علاج النفس في كف لسانها عن الغيبة ان يتفكر في الوعيد الوارد
فيها وفي قوله صلى الله عليه وسلم ان الغيبة اسرع في حسنات العبد من
النار في اليبس وورد ان حسنات المغتاب تنقل الى ديوان المظلوم
بالغيبة فينظر في قلة حسناته وكثرة غيبته والذي ينتهي الى افلاسه على القرب
ثم يتفكر في عيوب نفسه فان كان فيه عيب فيشتغل بنفسه عن غيره فان
كان فذا رتب صغير فيعلم ان ضرره صغيره لنفسه اكثر ضرره من

كبيرة غيره فان لم يكن فيه عيب فيعلم ان جهله بعيوب نفسه اعظم عيب ومتى
يخلو الانسان عن عيب ثم ان خلا عنه فليشكر الله تعالى بدلا عن الغيبة
فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب فليحذر عنه ثم مهما
سبق لسانه الى الغيبة فينبغي ان يستغفر الله تعالى ويذهب الى المغتاب
ويقول ظلمتك فاعف عني فيستحله فان لم يصادفه فليكثر الثناء
عليه ومن الدعاء له ومن الحسنات حتى اذا انتقل بعضها الى ديوان المظلوم
بقي له ما يكفيه فهي كفارة الغيبة الآفة الثالثة المراء والجدال قال
صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة
ومن تركه وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وهذا لان الترك على
الحق اشد وقال لا يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء
وهو محق وحد المراء هو الاعتراض على كلام الغير باظهار خلل
فيه اما في اللفظ واما في المعنى والباعث عليه مادة الترفع باظهار
الفضل وسببه خبث الدعوى واما السبعية التي في الطبع المتشوفة
لتنقيص الغير وقهره فالمراء والمجادلة تقوية لهذين الخبيثين
فهلس بل الواجب ان يصدق ما سمعه من الحق ويسكت عما سمعه

من الحمق الخفا الا اذا كان في ذكره فايدة دينية وكان سمع منه فيذكره
برفق لا بعنف الآفة الرابعة المزاح والافراط فيه يكثر الضحك
ويميت القلب ويورث الضغينة ويسقط المهابة والوقار قال صلعم
ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه فيهوي بها ابعد من الثريا
وقال لا تمار اخاك ولا تمازحه واعلم ان اليسير منه في بعض الاوقات
لا باس به لاستمالة النساء والصبيان تطييبا لقلوبهم نقل ذلك رسول
الله صلعم لكنه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا ويعسر على غيره ضبط
ذلك وقد روي انه سابق عايشة رضي الله عنها بالعدو وقال العجوز لا
يدخل الجنة عجوز اي لا يبقى في الجنة عجوز وقال لصبي يا ابا عمير ما فعل
النغير والنغير ولد العصفور كان يلعب به الصبي وقال صلعم لصهيب
وهو ياكل التمر اتاكل التمر وانت رمد وقال انما اكل بالشق الآخر
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا وامثاله من المفاكهة لا باس بها
اذا لا يتخذها عادة الآفة الخامسة المدح كما جرت به عادة الناس
عند زيارة المحتشمين من ابناء الدنيا وكما جرت به عادة القصاص
والمذكرين فانهم يمدحون من يحضر مجالسهم الاغنياء وفي المدح

ست

ست آفات اربع على المادح واثنتان على الممدوح اما المادح فالآفة
الاولى فيه انه قد يفرط فيذكره بما ليس فيه فيكون كذابا الثانية
انه يظهر له من الحب ما لا يعتقد فيكون منافقا مرائيا الثالثة
انه يقول ما لا يتحققه فيكون مجازفا كقوله انه عدل وانه ورع وغير ذلك
مما لا يتحقق مدح رجل بين يدي رسول الله صلعم رجلا فقال ويحك
قطعت عنق اخيك صاحبك ان كان لا بد من كون احدكم مادحا اخاه
فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى
انه كذلك الرابعة انه يفرح الممدوح به وربما كان ظالما فيعصي بادخال
السرور على قلبه قال صلعم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وقال
الحسن من دعا للفاسق بالبقاء فقد احب ان يعصى الله وقال
فالظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليفتر رغبته في الظلم والفسق واما
الممدوح فاحدى الآفتين فيه انه يحدث فيه كبرا او اعجابا وهما مهلكان
ولذلك قال قطعت عنق صاحبك الثانية انه يفرح فيه فيفتر عن العمل
ويرضى عن نفسه قال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان
خيرا له من ان يثني عليه في وجهه واما اذا سلم المدح عن الآفا

في المادح والممدوح فلا بأس به وربما يندب اليه قال صلعم لو وزن
ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح وقال لو لم ابعث لبعثت يا عمر
لعدانني على كثير من الصحابة اذ علم ان ذلك يزيد في نشاطهم ولا يورثهم
عجبا **فصل** حق على الممدوح ان يتأمل في خطر الخاتمة ودقائق الرياء
وآفات الاعمال ويتذكر ما يعرفه من نفسه من القبائح الباطنة لا سيما
في افكاره وحديث نفسه ما لو عرفه المادح لكف المادح وينبغي ان
يظهر كراهة المدح ويكرهه بالقلب واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
احثوا التراب في وجوه المداحين وقال بعضهم لما اثني عليه اللهم
ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك وانا اشهدك على مقته وقال
علي رضي الله عنه لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني
بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون **الاصل الثالث** في الغضب
اعلم ان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع
على الافئدة ومن غلب عليه فقد نزع العرق للشيطان فانه خلق
من النار وكسر شدة الغضب من المهمات في الدين قال صلى الله عليه وسلم
ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال

الغضب

الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال ما غضب احد قط
الا اشفى على جهنم وقال رجل يا رسول الله اي شيء اشد فقال غضب الله
قال فما يبعدني من غضب الله قال ان لا تغضب وقال رجل لرسول الله صلعم
مرني بعمل واقلل فقال عم لا تغضب فاعاد عليه مرارا وهو يقول
لا تغضب فكيف لا تعظم آفة الغضب ومنه يحدث في الظاهر الضرب والشتم
واطالة اللسان وفي الباطن الحقد والحسد واظهار الشماتة
والعزم على افشاء السر وهتك الستر والفرح بمصيبة المغضوب
عليه والغم بمسرته وكل واحد من هذه الخبائث مهلك **فصل** عليك
في صفة الغضب وظيفتان احدهما كسره بالرياضة وليست داعيه بكسره ازالته
فانه لا يزول اصله ولا ينبغي ان يزول بل ان زال وجب تحصيله لانه
آلة القتال مع الكفار والمنع من المنكرات وكثير من الخيرات وهو
ككلب الصائد انما رياضته في تأديبه حتى ينقاد للعقل والشرع فيهيج
باشارة العقل والشرع ويسكن باشارتهما لا بحاله لها كما ينقاد الكلب
للصائد وهذا ممكن بالمجاهدة وهو اعتياد الحلم والاحتمال مع
التعرض للمغضبات **الثانية** ضبط الغضب عند الهيجان بالكظم

ويعصى عليه علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم انه لا سبب لغضبه الا انه انكر
ان يجري الشيء على مراده لا على مراد الله وهذا غاية الجهل والآخر ان يعلم
ان غضب الله عليه اعظم من غضبه وان فضل الله اكبر وكم عصاه وخالف
امره فلم يغضب عليه ان خالفه غيره فليس امره على عبده واهل
وفقته من امر الله عليه واما العمل فهو ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
اذ يعلم ان ذلكم من الشيطان فان لم يسكن فليجلس ان كان قايما وليضطجع
ان كان قاعدا كذلك ورد الخبر فلعلا في الحال انه يؤثر في التسكين وان
لم يسكن فليتوضأ قال صلعم ان الشيطان خلق من النار وانما تطفى النار
بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ وقال الا ان الغضب جمرة في قلب ابن
آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيا
فليلصق خده بالارض وهذه اشارة الى تمكين اعز الاعضاء من
اذل المواضع لينكسر الكبر فانه السبب الاعظم في الغضب ليعلم انه عبد
ذليل فلا يليق به الكبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك
بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا وما يملك الا اهل
بيته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه

امضا

امضاه ملأ الله قلبه يوم القيمة امنا وايمانا وقال صلعم ما من جرعة احب
الى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله
عز وجل جوفه ايمانا **الاصل الرابع** في الحسد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال ثلث لا ينجو منهن
احد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت
فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وقال دب
اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة وقال
زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير
راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي واعلم ان الحسد حرام وهو ان
تحب زوال النعمة عن غيرك او تحب نزول مصيبة به ولا تحرم المنافسة
وهو ان تغبطه وتشتهي لنفسك مثله ولا تحب زوالها منه ويجوز
ان تحب زوال النعمة ممن يستعين بها على الظلم والمعصية لانك لا
تريد زوال النعمة وانما تريد زوال الظلم وعلامته انه لو ترك الظلم
والمعصية لم تحب زوال نعمته وسبب الحسد اما الكبر واما
العداوة واما خبث النفس اذ يبخل بنعمة الله على عباده من غير غرض

فصل اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلب ومرض القلب
لا يداوى الا بمعجون العلم والعمل فاما العلاج العلمي فهو ان تعلم ان
الحسد يضرك ولا يضر محسوده بل ينفعه اما انه يضرك فلانه
يبطل حسناتك ويعرضك لسخط الله عز وجل اذ يسخط قضاء الله وتشح
بنعمته التي وسعها من خزائنه على عباده وهذا ضرر في دينك واما ضرره
في دنياك فانك لا تزال في غم دائم وكمد لازم وذلك مراد عدوك فانه من اهم
اغراض عدوك والمراد النعمة عليه حزن حاسده فقد كان يريد
المحنة لعدوك فحصلت لك والحسود لا يخلو من الغم والمحنة اذ لا يزال اعداؤه
او واحد منهم في نعمة واما انه ينفع عدوك ولا يضره فلان النعمة لا تزول
بحسدك وانه يضاعف حسناته اذ ينقل حسنات الحاسد اليه لا سيما
اذا تطاول اللسان فيه فانه مظلوم من الحاسد فقد طلب الحاسد
زوال نعمة الدنيا منه فاضاف اليه نعمة الآخرة وحصل لنفسه مع عذاب
الدنيا عذاب الآخرة فهو كمن رمى عدوه بحجر فلم يصب عدوه و
عاد الى عينه فاعماها وزادت عليه شماتة عدوه ابليس به فانه
فاتته النعمة وفاته الرضا بالقضاء ولو رضي به لكان له فيه ثواب لا

بتمنيها الحسد على العلم والورع فان ذلك الاثم لا كالحسد بل تعظيم
العلم يعظم ثوابه واما العمل فهو ان يعرف حكم الحسد وما يقتضاه
من قول وعمل فيخالفه ويعمل بنقيضه فيثني على المحسود ويظهر الفرح
بنعمته ويتواضع له ويبذل لك يعود المحسود صديقا له ويزول الحسد
ويتخلص عن الغم والمحنة قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم فصل لعل نفسك لا تطاوعك
على التسوية بين عدوك وصديقك بل تكره مساءة الصديق دون
العدو وتحب نعمة الصديق دون العدو ولست مكلفا بما لا
تطيق فان لم تقدر على ذلك فتتخلص من الاثم بامرين احدهما ان
لا تظهر الحسد بلسانك وجوارحك واعمالك الاختيارية بل تخالف
موجبها والثاني ان تكره من نفسك حبها زوال نعمة الله عن
عبد من عباده فاذا اقترنت الكراهة من باعث الدين بحب زوال
النعمة الذي اقتضاه الطبع اندفع عنك الاثم وليس عليك تغيير الطبع
فان ذلك لا تقدر عليه في اكثر الاحوال وعلامة الكراهة ان تكون
بحيث لو قدرت على ازالة نعمته لم تقدم على الازالة [illegible]

ولو قدرت على شيء ينفعه في دوام نعمته أو في زيادتها لفعلت ... لم اهتم
لذلك فاذا انت كذلك فلا اثم عليك فيما تستفاضه لطبعك وان الطبع
انما يصير مقهورا في حق المستهترين بالله تعالى الذي انقطع نظره عن
الدنيا وعن الخلق بل يعلم ان المنعم عليه ان كان في النار فما وقع هذه
النعمة وان كان في الجنة فاي نسبة لهذه النعمة الى الجنة بل يرى كل
الخلق عباد الله تعالى فيحبهم لانهم عباد محبوبه ويحب ان يظهر اثر
نعمة محبوبه على عباده وهذه حالة نادرة لا تدخل تحت التكليف

الاصل الخامس البخل وحب المال واعلم ان البخل من
المهلكات العظيمة قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله
الآية وقال الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل وقال صلى الله
عليه وسلم اياكم والبخل فانه اهلك من كان قبلكم وقال صلى الله عليه وسلم السخاء
شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار
فلا يلج النار الا بخيل وقال ثلث مهلكات شح مطاع وهوى
متبع الحديث وقال شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع

وقال

وقال ان الله تعالى يبغض البخيل في حياته ويحب السخي عند موته وقال السخي
الجهول احب الى الله تعالى من العابد البخيل وقال خصلتان لا تجتمعان في مؤمن
البخل وسوء الخلق فصل اعلم ان اصل البخل حب المال وهو مذموم
اذ من الاموال من لا يظهر بخله بالامساك ولكن يظهر حب المال ورب
رجل سخي لكنه يحب المال ويسخو به ليذكر بالسخاء فذلك ايضا
مذموم لان حب المال يلهي عن ذكر الله عز وجل ويصرف وجه القلب
الى الدنيا ويحكم علاقته فيها حتى يثقل عليه الموت الذي فيه
لقاء الله تعالى قال الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم
ولا اولادكم وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى الهاكم
التكاثر وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا فقيل
للنبي صلعم اي امتك اشر فقال الاغنياء وقال من اخذ من الدنيا
فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يدري وقال رجل يا رسول الله
اني لا احب الموت فقال هل لك مال قال نعم قال قدم مالك فان
قلب الرجل مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان اخره احب
ان يتخلف وقال اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس

مزرعة

ما خلف وقال تعس عبد الدرهم وتعس عبد الدينار تعس وانتكس
واذا شيك فلا انتقش **فصل** اعلم ان المال ليس مذموما من كل
وجه وقد قال رسول الله صلعم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال
الدنيا مزرعة الآخرة وكيف يكون مذموما مطلقا والعبد مسافر
الى الله تعالى والدنيا منزل من منازله سفره وبدنه مركبه ولا
يمكنه السفر الى الله الا به ولا يبقى البدن الا بمطعم وملبس ولا وصول
اليهما الا بالمال لكن من فهم فائدة المال وعلم انه آلة علف الدابة
لسلوك الطريق لم يعرج عليه ولم ياخذ منه الا قدر الزاد فان اقتصر
على ذلك سعد به كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها اذا
اردت اللحاق بي فاقنعي من الدنيا بزاد الراكب ولا تخلعي قميصا
حتى ترقعيه وقال اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وان زاد
على قدر الكفاية هلك كما قال عليه السلام من اخذ من الدنيا فوق
ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر به ولذلك المسافر اذا اخذ ما يزيد
على زاد الطريق مات تحت ثقله ولم يبلغ مقصد سفره فالزائد
على قدر الكفاية مهلكة من ثلثة اوجه احدها ان يدعو الى المعاصي

فانها

٥١

فانها تكمن فيها ومن العصمة ان لا تقدر وفتنة السراء اعظم من فتنة
الضراء والصبر مع القدرة اشد والثاني انه يدعو الى التنعم
بالمباحات وهو اقل الدرجات فينبت على التنعم جسده ولا يمكنه
الصبر عنه وذلك لا يمكن استدامته الا بالاستعانة بالخلق والالتجاء
الى الظلمة وذلك يدعو الى النفاق والكذب والرياء والعداوة و
البغضاء ويتشعب منه جملة المهلكات ولذلك قال صلعم حب
الدنيا راس كل خطيئة والثالث ان يلهي عن ذكر الله تعالى الذي هو
اساس السعادة الاخروية اذ يزدحم على القلب خصومة
الفلاحين ومحاسبة الشركاء والتفكر في تدبير الحذر منهم وتدبير
استنماء المال وكيفية تحصيله اولا وحفظه ثانيا واخراجه ثالثا
وكل ذلك مما يسود القلب ويزيل صفاءه ويلهي عن الذكر كما قال
الهاكم التكاثر الى آخر السورة **فصل** لعلك تشتهي ان تعرف
مقدار الكفاية وتقول ما من غني الا ويدعي انه في حد دون
مقدار الكفاية فاعلم ان الضروري انما تدعو الى الطعم والملبس
فقط فان تركت التجمل في الملبس فيكفيك في السنة ديناران

بيتا لك وسنبل فتتخذ بها ثوبا خشنا يدفع عنك الحر والبرد وان
تركت التنوق في طعامك والشبع من الطعام في جميع احوالك فيكفيك
في كل يوم مد فيكون في السنة خمسمائة رطل ويكفيك الا اذا اهل ان
لم تتوسع فيه واقتصرت على اليسير منه في بعض الاوقات ثمنه دنانير على التقريب
في السنة عند رخاء الاسعار فاذا يبلغ كفايتك خمسة دنانير وخمسمائة رطل
وهو القدر الذي نفرض اذ فرضنا نفقة العزب فان كنت معيلا تأخذ لكل
واحد منهم مثل ذلك وان كنت كسوبا وكسبت في اليوم ما يكفيك ليومك
فانصرف واشتغل بعبادتك وان طلبت الزيادة صرت من اهل الدنيا
وان لم تكن كسوبا وكنت مشغولا بالعلم والعبادة واقتنيت ضيعة يدخل
منها هذا القدر دائما فارجو ان لا تصير بذلك من اهل الدنيا لا سيما في هذه
الاعصار وقد تغيرت القلوب واستولى عليها الشح وانصرفت الهمم عن تفقد
ذوي الحاجات فاقتناء هذا اولى من السؤال وهذا بشرط ان تكون بودك
ان تتخلص من التعرض للجوع والبرد لتطرح الضيعة وتتركها فلا
تكون كارها للموت ولا محبا للضيعة ولتكن الضيعة وهي مدخل طعامك
كالخلاء الذي هو موضع فراغك وانما تريده للضرورة وبودك لو تخلصت

اسباب المعيشة كالارض

منه فتخرج عن النهي في قوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا
فانك اذا قصدت القعود للاستعانة بها على الدين كنت متنزها واشارا
لا متوجها على الضيعة وربما لا يحتمل بعض الانحطاط القناعة بالقدر الذي
ذكرت لا سيما ومتنو لا حرج في الدين ان زاد لضعيفه هذا القدر
اذ لا تصير من ابناء الدنيا والخروج من حزب ابناء الآخرة والمسافرين الى الله
ما دام يفضل بين يديك دفع الم الشاغل عن الذكر والعبادة دون التلذذ والتنعم
في الدنيا ثم ما فضل من الطعام صرفه الى اللباس والادام والاوامل فلا تبقى
بعد هذه الرخصة داعية الى الزيادة الا للتنعم والتصدق او للاستظهار
لنوائب المال آفة اما للتنعم فاعراض عن الله تعالى واشتغال بالدنيا
واما للتصدق فترك المال افضل منه قال عيسى صلوات الله عليه يا طالب
الدنيا لتبر فتركك الدنيا ابر وابر واما الاستظهار بالخوف افتتم
فذلك لامر له وهو سوء الظن لا اخر له بل ينبغي ان تدفع ذلك بحسن
الظن بتدبير الله عز وجل وهو انك تتصور ان تصيب المال آفة
من حيث لا يتوقع فيتصور ان تنفتح للرزق اضعاف باب الخيبة
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وان فرض على

على الندور وخلافه ولا ينبغي ان يعتقد العبد ان سلامته طول عمر ليزداد
محتوم محفوظ بل البلاء هو الذي يستقبل النفس ويزلّه ومخاصمة الحاجات كلها
ولهذا كان سوط البلاء على الانبياء ثم الاولياء فالامثل فالامثل على تفضيل
لا يصيبك الا ما فيه خيرك وخيرتك فان الله مدبر الملك والملكوت العليم
بمصالحك. فصل هذا الطمع مخصص ذلك ثم تعرف يمكن الزيادة عليه
والنقصان منه بالاجتهاد في بعض الاشخاص وفي بعض الاحوال ولكن تعتقد
قطعا ان المال كالدواء النافع منه قدر مخصوص والافراط فيه قاتل والقليل
من الافراط ممرض ان لم يقتل فما امكن التقليل والحذر من الافراط والرفاهية
فذلك قد يكون لكن خطر عظيم ليس في التقليل الا مشقة قليلة في ايام قلائل
وذو الحزم لا يشق عليه ان يجوع نفسه لوليمة الغد وليس يعلم ان اللذة
على قدر الجوع. فصل لعلك ترغب في معرفة حد البخل اذ الشخص
الواحد قد يشك في انه بخيل ام لا ويختلف الناس فيه فاعلم ان حد البخل
منع ما يوجبه الشرع او المروة واقطن ان من سلم الى زوجته وولده
ما فرضه القاضي وضايق وراء ذلك في لقمة فهو بخيل وان من رد حبة
او لحم الى الخباز والقصاب لنقصان قدر حبة يسير فهو بخيل وان كان ذلك

٥٣

فان منع الشرع

الشرع فهو من الامور قطع خصومة البخلاء مقدار ما يطيقه البخيل ولذلك
قال تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا بل لا بد من مراعاة المروة ودفع قبح الاحدوثة
وذلك يختلف بالاشخاص وقدر المال فمن له مال وامكنه ان يقطع هجو شاعر
ودفعه عن نفسه بقدر يسير فلم يفعله فهو بخيل وان لم يكن ذلك واجبا عليه
اذ قال صلى الله عليه وسلم ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة والتحقيق فيه ان
المال خلق لغاية لاجلها يمسك وفي بذله ايضا فايدة فمهما ظهر له ان فايدة
البذل اعظم من فائدة الامساك ثم شق عليه البذل فهو بخيل محب للمال والمال
لا ينبغي ان يحب لذاته بل لفايدته ثم عليه فيه الى اقوى فايدة وحفظ المروة
افضل واقوى من التنعم بالاكل الكثير مثلا وقد يحمله البخل وحب المال على ان
يجهل اقوى الفايدتين ولا يميز وذلك غاية البخل فان علم وعسر عليه البذل
فهو بخيل ايضا وان بذل بتكلف بل انما يبرأ عن البخل بان يسهل عليه
بذل المال فيما ينبغي ان يبذل فيه عقلا وشرعا واما درجة السخاء فلا
تنال الا ببذل ما يزيد على واجب الشرع والمروة جميعا. فصل لعلك تريد ان
تفهم علاج البخل فاعلم انه داء مجون مركب من العلم والعمل فالعلم
هو ان تعلم ان آفة البخل من الهلاك في دار الاخرة والمذمة في الدنيا ونعم

أن المال لا ينبغي أن يبقى إلى القبر وقال إياك تدخر لكي تنفقه بل لتصرفه إلى أهم أمور
ويعلم أن إمساك المال إن كان للتمتع بالشهوات فحسن الأحدوثة وثواب الآخرة
الدنيا فقضاء الشهوة سجية البهائم وهذه سجية العقلاء وإن كان لينفقه
لولده فولده ينفق بعده ولعله يخير يقدم ما تركه بشر وهذا عين الجهل
كيف وولده إن كان صالحا فالله يكفيه وإن كان فاسقا فيستعين
به على المعصية ويكون عليه منها فيفزع منه ويستوفي وأما
العبد فهو أن يجد نفسه على البذل تكلفا ولا يزال يفعل ذلك حتى يصير له عادة
ومن دوافعه حيلة بيان يخدعه بحسن الاسم وتوقع المكافاة حتى ترغب في
البذل وبعد ذلك يتبرع بالبذل الواقع هذه الصفات **الأصل السادس**
الرعونة وحب الجاه قال الله سبحانه تلك الدار الآخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين الآية وقال
عم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل
وقال عليه السلام ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فسادا
من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم وقال عم في مدح الخمول
رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره وقال عم إن أهل

الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا
على الأمراء لم يؤذن لهم وإن خطبوا النساء لم ينكحوا وإذا قالوا لم ينصت
لهم حوائج أحدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس
لوسعهم وقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول أبي بن كعب نمشي خلفه
إذ رآه عمر رضي الله عنه فعلاه بالدرة فقال انظر يا أمير المؤمنين
ما تصنع فقال إن هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وقال الحسن إن
خفق النعال خلف الرجل قل ما تثبت معه قلوب الحمقى وقال أبو أيوب
والله ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه وقد عرفت بذلك
مذمة الشهرة والجاه إلا أن تشتهر من غير طلب منه
كما اشتهر الأنبياء والعلماء والخلفاء الراشدين والأولياء **فصل**
حقيقة الجاه هي ملك القلوب لتسخير أرباب الجاه على حسب إرادته وتطلق
اللسان بالثناء عليه وتسعى في حاجته كما أن معنى المال ملك الدراهم
ليتوصل بها إلى الأغراض فكذلك معنى الجاه ملك القلوب
لكن الجاه أحب لأن التوصل به إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى
الجاه ولأنه محفوظ عن أن يسرق أو يغصب أو يتعرض له الآفة ولأنه يسري

وينمو من غير تكلف فان من ملك قلبه باعتقاد التعظيم فلا يزال
ينمي ويقتنص قلوب سائر الناس لصاحبه وفيه سر آخر وهو ان
الجاه معناه العلو والكبرياء والعز وهي من الصفات الالهية و
محبوبة للانسان بالطبع بل هو الذ الاشياء عنده وذلك لسر خفي
في مناسبة الروح للامور الالهية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح
من امر ربي فهو امر رباني في شغفه من حيث الطبع للاستبداد والانفراد
بالوجود وهو حقيقة الالهية اذ ليس مع الله موجود بل الموجودات
كلها كالظل من نور القدرة فلها رتبة التبعية لا رتبة المعية
فليس في الوجود من مع الله تعالى غيره وكان الانسان يشتهي ذلك بل
في كل نفس ان تقول انا ربكم الاعلى لكن اظهره فرعون واخفاه غيره
لكن ان فاته الانفراد بالوجود فيشتهي ان لا يفوته الاستعلاء والاستيلاء
على الموجودات كلها ليتصرف فيها على حسب مراده وهو الالهية لكن
تعذر على الانسان ذلك في السموات والكواكب والملائكة والبحار والجبال
فاشتهى الاستيلاء على جميعها بالعلم لان العلم نوع استيلاء
كما ان من عجز عن وضع الاشياء العجيبة فيشتهي ان يعرف كيفية الوضع

ولذلك يشتهي ان يعرف عجايب البحر وما تحت الجبال ويتصور ان يتسخر
له الاعيان التي هي على وجه الارض من الحيوان والمعادن والنبات بحيث ان يتسخر
بواسطة قلبه ويملك قلبه بالقاء التعظيم فيه ويحصل التعظيم بان يعتقد فيه
كمال الخصال فان الاجلال يتبع اعتقاد الكمال فلهذا احب الانسان ان ينتشر
جاهه وينتشر صيته حتى الى البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطأها ولا يرى اهلها
لان كل ذلك يناسب صفات الربوبية وكل ما صار اكثر كانت هذه
الصفة عليه اغلب وشهوات البهيمة فيه اضعف **فصل** لعلك تقول
فاذا كان كذلك فلم كان طلب الرفعة مذموما وهو من نتايج العقل وخواص
الروح المناسبة للامور الربانية فاعلم ان الرفعة الحقيقية طلبها
محمود غير مذموم اذ المطلوب الكل هو القرب من الله عز وجل وذلك
هو الرفعة والكمال الذي هو عز لا ذل فيه وغنا لا فقر معه وبقاء لا فناء
بعده ولذة لا كدورة لها وطلب ذلك محمود وانما المذموم طلب الكمال الوهمي
دون الحقيقي والكمال الحقيقي يرجع الى العلم والحرية والقدرة وهو
ان لا يكون مقيدا اسيرا والمتصور للعبد حقيقة القدرة فان قدرته
بالكون بالمال والجاه وذلك كمال وهمي فانه من عارض الانقضاء والاخير

الى القدرة بالمال والجاه

فيما لا بقاء له بل قيل اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا
كيف وهذه اللذة العارضة مع سرعة انقضائها بالموت وبافاتها
قبله لا تصفو عن الكدورات فمن توهمها كمالا فقد ذهل عن الكمال الباقي
الصالحة التي تنال بها القرب من الله سبحانه ولا تزول بالموت بل تتضاعف
تضاعفا غير محدود وذلك هو المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى وصفاته
وافعاله وهو العلم الكلي بالموجودات اذ ليس في الوجود الا الله تعالى و
افعاله لكن ينظر فيها الناظر لا من حيث انها افعال الله تعالى كالذي ينظر في
التشريح لغرض الطب وينظر في هيئة العالم لمعرفة الاستدلال
باحكام النجوم فهذا الاقدار هو من الكمال الحقيقي للحرية وهو انقطاع علاقة
عن جميع علائق الدنيا بل عن كل ما يفارقه بالموت والاقتصار في الانتفاع
الى اللازم الذي لا بد لك منه وهو الله تعالى كما اوحى الله الى داود يا داود انا
بدك اللازم فالزم بدك والعلم والحرية من الباقيات الصالحات
وهما الكمالان الحقيقيان والمال والبنون زينة الحيوة الدنيا وهي
كمالات وهمية والمنكوسون هم الذين عكسوا الحقيقة فاعرضوا
عن طلب الكمال الحقيقي واشتغلوا بطلب الكمال الوهمي فهم الذين يخسرون

الاولى فيظهرون انهم خسروا الدنيا والآخرة واما الآخرة
فلانهم لم يطلبوها ولم يحصلوا اسبابها من المعرفة والحرية واما الدنيا
فلانها [illegible]هم وانقلبت الى اعدائهم وهم ووديهم ولا تظنن ان العلم
والايمان يفارقانك بالموت فالموت لا يهدم محل العلم اصلا وليس
الموت عدما حتى تظن انك اذا عدمت عدمت صفاتك بل معنى
الموت قطع علاقة الروح من البدن الى ان تعاد اليه واذا تجرد
عن البدن فهو على ما كان عليه قبل الموت من العلم والجهل وفهم هذا طويل
وتحته اسرار لا يحتمل هذا الكتاب كشفها فصل اذا عرفت حقيقة
الجاه وماهيته وانه كمال وهمي فقد عرفت ان طريق العلاج في قمع
حب الجاه من القلب اذ علمت ان اهل الارض لو سجدوا لك مثلا لما بقي الا
مدة قريبة لا الساجد ولا المسجود لك فكيف وسيفسخ الدهر عليك بان
يسلم لك الملك في محلتك فضلا عن قريتك او بلدتك فكيف ترضى ان
تترك ملك الابد والجاه الطويل العريض عند الله تعالى وعند ملائكته
جاهك الحقير المنغص عند جماعة من الخلق لا يشفعون لك ولا لانفسهم
ولا يملكون لكم موتا ولا حيوة ولا رزقا ولا اجلا بل هم ملك القلوب
ولا نشورا

الأعيان وأنت محتاج منه إلى قدر يسير [illegible] نفسك عن الظلم
العدوان وعما يشوش عليك سلامتك وفراغك التي تستعين
بها على دينك فطلبك لهذا القدر مباح بشرط أن [illegible]
وبشرط أن لا تكتسبه بالمراياة وذلك حرام كما سيأتي
وأن لا تكتسبه بالتلبيس بأن تظهر من نفسك ما أنت خال عنه ولا فرق
بين من يملك القلوب بالتلبيس وبين من يملك الأموال به فلو حصل
الجاه بطريق مفيد واقتصرت على قدر الحاجة من الأعيان ومن حيث
إلا أنك على خطر عظيم أكثر من خطر المال لأن قليل الجاه يدعو إلى كثيره فإن
أكثر من المال فلذلك لا يسلم الدين فالسلامة في الخمول مجهولا لا يعرف
كما فهمت ذلك من الأخبار **فصل** في البواعث على طلب الجاه حب
المدح فإن الإنسان يتلذذ به من ثلاثة أوجه أحدها أنه يشعر صاحبه
بكمال نفسه والشعور بالكمال لذيذ لأن الكمال من الصفات الإلهية
الثاني أنه يشعر بملك قلب المادح وقيام الجاه عنده وكونه مسخرا
له الثالث يشعر صاحبه بأن المادح يصغي إلى مدحه فينتشر بسببه جاهه
فلذلك إذا صدر المدح من بصير بصفات الكمال واسع الجاه والقدر

أي من أهل الجاه بصير

في نفسه وكان على ملأ من الناس تضاعفت لذة المدح وتزول اللذة الأولى
بأن يصدر من غير أهل البصيرة فإنه لا يشعر بالكمال وتزول الثانية
بأن يصدر عن خسيس لا قدر له لأن ملك قلبه لا يحقق به وتزول الثالثة
بأن يمدح في الخلوة لا في الملأ إلا من حيث يتوقع أنه أيضا ربما يمدح في
الملأ وأما الذم فإنه مكروه لنقيض هذه الأسباب وأكثر الخلق
أهلكهم حب المدح وكراهية الذم وحملهم ذلك على المداهنات وفنون
المعصية وعلاج ذلك أن تتفكر في اللذة الأولى فإن مدح بكثرة
المال والجاه فيعلم أنه كمال وهمي وهو سبب فوات الكمال الحقيقي فهو
جدير بأن يحزن لأجله لا أن يفرح به وإن مدح بكمال العلم والورع
فينبغي أن يكون فرحه بوجود تلك الصفات وبنعمة الله عليه بها
لا بذكر غيره هذا إذا كان متصفا بها وأما إن كان غير متصف بها
ففرحه بحماقة كفرح من يثني عليه غيره بقوله ما أطيب العطر الذي
في أحشائك وأمعائك وهو يعلم ما فيها من الأقذار والأنتان وهذا حال
من يفرح بالمدح بالورع والزهد والعلم وهو يعلم من باطن نفسه أنه
خال عنه وأما اللذة الثانية والثالثة وهو قوله الجاه عند المادح وغيره

لأجل المدح بكثرة المال وغيره لأنه كمال وهمي وهو سبب

چیست دنیا از خدا غافل بودن نی قماش و نقره و فرزند و زن

فعلاج ما ذكرناه في حب الجاه الأصل السابع حب الدنيا واعلم أن
حب الدنيا رأس كل خطيئة وليس الدنيا عبارة عن الجاه والمال فقط بل
هما حظان من حظوظ الدنيا وشعبتان من شعبها [illegible]
[illegible] إنسان [illegible] قبل الموت إلا [illegible]
والدنيا [illegible] ما لك فيه حظ قبل الموت [illegible] إلا العلم
والمعرفة والحرية وما يبقى معك بعد الموت [illegible]
نعم المصابرة [illegible] الدنيا [illegible] فانه في الدنيا [illegible]
الحظوظ الدنيوية ثلاثة [illegible] وتعلق بما فيه حظ وتعلق بالقلب
المتعلقة [illegible] اصلاحها وهي ترجع إلى الأعيان الموجودة [illegible]
حظك منها والاشتغال في اصلاحها أما الأعيان فهي الأرض وما
عليها قال الله تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها الآية ومطلوب
الآدمي من الأرض إما عينها فللمسكن والحرث وإما نباتها فللتداوي
والاقتيات وإما معادنها فللنقود والأواني والآلات وإما
حيوانها فللمركب والمأكل وأما الآدميون فللاستخدام والاستمتاع
وقد جمع الله سبحانه ذلك في قوله زين للناس حب الشهوات
أي المذكورات

٥٦

من النساء والبنين الآية وأما حظ القلب منها فهو ما عبر القرآن الكريم عنه بالهوى
لنهيه ونهى النفس عن الهوى وقال تعالى تفصيلا له إنما الحياة الدنيا لعب
ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد الآية وذلك
يندرج فيه جميع المهلكات الباطنة من الغل والكبر والحسد والرياء
والنفاق والتفاخر والتكاثر وحب الدنيا وحب الثناء وهي الدنيا
الباطنة وأما الأعيان فهي الدنيا الظاهرة وأما شغلك في اصلاحها
فهي جميع الحرف والصناعات التي الخلق مشغولون بها وقد نسوا
فيه أنفسهم ومبدأهم ومعادهم لاستغراقهم باشتغالهم وانما
أنساهم العلاقتان فان علاقة القلب بحب حظوظها وعلاقة
البدن بشغل اصلاحها فهذه حقيقة الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة وانما
خلقت للتزود منها إلى الآخرة ولكن لكثرة اشتغالها وفنون شهواتها
أنست الجميع سفرهم ومقصدهم وقصدوا عليها همتهم وكانوا
كالحاج في البادية يشتغل بتعهد الناقة وعلفها وتسمينها فيتخلف
عن الرفقة حتى تفوته الحج وتهلكه سباع البادية فصل هذه
الدنيا المذمومة المهلكة التي بعضها مزرعة الآخرة حق من عرفها

اذ يعرف انها منزل من منازل السائرين الى الله عز وجل ومعبر بالابنى
على الطريق اعني فيها العلف والزاد واسباب السفر فمن تزود
منها لآخرته واقتصر منها على قدر الضرورة التي ذكرناها في المطعم والملبس
والمنكح وساير الضرورات فقد حرث وبذر وسيحصد في الآخرة ما
زرع ومن عرج عليها واشتغل بلذاتها هلك ومثل الخلق فيها
كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج
لقضاء الحاجة وخوفهم المقام واستعجال السفينة فتفرقوا فيها
فبادر بعضهم وقضى حاجته ورجع الى السفينة فوجد مكانا خاليا
واسعا ووقف بعضهم فنظر الى ازهار الجزيرة وانوارها وطرائف
اشجارها وعجائب غياضها ونغمات طيورها فرجع الى السفينة
فلم يجد الا مكانا ضيقا حرجا واكب بعضهم بعضهم على تلك الاصداف
والاحجار واعجبه حسنها فلم تسمح نفسه الا بان يستصحب شيئا منها
فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة ثقلا وضيقا
فلم يقدر على حفظها ولم يجد لها مكانا فحملها على عنقه وندم على
باخذها وتوغل بعضهم الغياض ونسي المركب واشتغل بالتفرج
في تلك

في تلك الازهار والتناول من تلك الثمار وهو في تفرجه غير خال من خوف
السباع والحذر من السقطات والنكبات فلما رجع الى السفينة فلم
يصادف فيها احدا فبقي على الساحل فافترسته السباع ومزقته الهوام
فهذه صورة اهل الدنيا بالاضافة الى الدنيا والآخرة فتأملها
واستخرج وجه الموازنة منها ان كنت ذا البصيرة **فصل** من عرف
نفسه وعرف ربه وعرف ذمية الدنيا وعرف الآخرة شاهد بنور
البصيرة وجه عداوة الدنيا للآخرة اذ ينكشف له قطعا ان لا
سعادة في الآخرة الا لمن قدم على الله سبحانه عارفا به محبا له وان
المحبة لا تنال الا بدوام الذكر وان المعرفة لا تنال الا بدوام
والفكر ولا يتفرغ لهما الا من اعرض عن اشغال الدنيا ولا
تتيسر المعرفة والحب على القلب ما لم يفرغ من حب غير الله تعالى
ففراغ القلب عن غير الله ضرورة لاشتغاله بحب الله تعالى ومعرفته
ولن يتصور ذلك الا بالعرض عن الدنيا فالاخذ منها بقدر الزاد
والضرورة فان كنت من اهل البصيرة فقد صرت من اهل الذوق في
المشاهدة وان لم تكن كذلك فكن من اهل التقليد والايمان وانظر

الى ... الله سبحانه اياكم بالكتاب والسنة وقد قال عز وجل من كان يريد
الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها الاية وقال تعالى ذلك بانهم
استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة الاية وقال عز وجل فاما من
طغى وآثر الحياة الدنيا الاية ولعل ثلث القرآن في ذم الدنيا و
ذم اهلها وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان
لله منها وقال صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو
يسعى لدار الغرور وقال الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها
فناظر كيف تعملون وقال ان الله عز وجل لم يخلق خلقا ابغض اليه
من الدنيا وانه لم ينظر اليها منذ خلقها وقال من اصبح والدنيا
اكبر همه فليس من الله في شيء والزم قلبه اربع خصال هما لا ينقطع
عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا واملا
لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا
اريك الدنيا جميعها فقلت نعم فاخذ بيدي الى مزبلة فيها رؤوس
اناس وعذرات وخرق وعظام فقال يا ابا هريرة هذه الرؤوس
كانت تحرص حرصكم وتامل املكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد

ثم تصير رمادا وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث
اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق
البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام
عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا
على الدنيا فليبك وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن اقوام يوم القيامة واعمالهم كجبال
تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون
ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا
وثبوا عليه وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والاخرة في قلب مؤمن
كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وقال نبينا صلعم احذروا الدنيا
فانها اسحر من هاروت وماروت وقال عيسى عم يا معشر الحواريين ارضوا
بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة
الدنيا وقال عيسى عليه السلام للحواريين اكل الخبز الشعير بالملح الجريش
ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والاخرة
وروي ان عيسى عم كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز شوهاء
عليها من كل زينة فقال لها كم نكحت فقالت لا احصيهم فقال افكلهم طلقوك

اوما نواعنك فقالت لا بل قتلت كلهم فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك
الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين **فصل** اعلم ان من ظن انه
يلابس الدنيا ببدنه ويخلو عنها بقلبه فهو مغرور قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل صاحب
الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء الا ان تبتل قدماه
وكتب علي رضوان الله عليه الى سلمان الفارسي رضي الله عنه مثل الدنيا مثل
الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك
منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن اسر ما تكون
بها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمان منها الى سرور
اشخصته عنه مكروه وقال عيسى عليه السلام مثل الدنيا مثل شارب
ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله واعلم ان من اطمان
الى الدنيا وهو يتيقن انه يرحل عنها فهو في غاية الحماقة بل مثل
الدنيا مثل دار هيأها صاحبها وزينها لضيافة الواردين
والصادرين فدخل اليه واحد داره فقدم اليه طبقا من ذهب عليه بخور
وريحان ليشمها ويتركها لمن يلحقه لا ليتملكه فجهل رسمه وظن انه
وهب ذلك له فلما تعلق به قلبه استرجع منه فضجر وتوجع ومن كان

عالما

عالما برسمها انتفع بها وشكر ووده بطيبة قلب وانشراح صدر فكذلك
سنة الله في الدنيا ما هي الا دار ضيافة على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا
منها ما ينتفعون به كما ينتفع بالعارية ثم يتركونها لمن يلحق بعدهم
بطيبة نفس من غير تعلق القلب بها لكن يتعلق القلب بها **الاصل
الثاني** في الكبر قال الله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى
فبئس مثوى المتكبرين وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء
ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه
مثقال ذرة من خردل من الكبر وقال يحشر الجبارون والمتكبرون
يوم القيامة في صور الذر يطأهم الناس لهوانهم على الله عز وجل
وقال صلى الله عليه وسلم لبلال ان في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله سبحانه
ان يسكنه كل جبار فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال اللهم اني
اعوذ بك من نفخة الكبر وقال لا ينظر الله تعالى الى من جر ثوبه خيلاء وقال
من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان
وقال في فضيلة التواضع ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع
احد لله الا رفعه الله وقال طوبى لمن تواضع من غير مسكنة و[illegible]

الى موضع ما اقبل ممن تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي والزم
قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال نبينا
صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد لله رفعه الله الى السماء السابعة وقال
ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله وقال انه
ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لاهله يدفع به الكبر
عن نفسه فصل حقيقة الكبر ان يرى نفسه فوق غيره في صفات الكمال
فيحصل فيه نفخة من تخيل الرذيلة والعقيدة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
اعوذ بك من نفخة الكبرياء ولذلك استاذن بعضهم عمر رضي الله عنه ليعظ
الناس بعد الصبح فقال لا اني اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا ثم هذه
النفخة يصدر منها افعال على الظاهر كالترفع في المجالس والتقدم
في الطرق والنظر بعين التحقير والغضب اذا لم يبدأ بالسلام وتقر
في قول الحق وتعظيمه ويحاجي على ان يانف اذا وعظ ويعنف اذا وعظ
وعلى جحد الحق اذا ناظر وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير
فما اعظم آفة الكبر لا يدخل الجنة من في قلبه ذرة منه لانه ثلثة
انواع من الخبائث العظمة اولها انه منازعة الله تعالى في خصوص صفته

اذ

٦٢

اذ الكبرياء رداؤه تعالى فان العظمة لا تليق الا بالله ولا تليق العظمة
بالعبد الذليل الذي لا يملك من امر نفسه شيئا فضلا عن امر غيره الثانية
انه يحمل على جحد الحق وازدراء الخلق كما قال صلى الله عليه وسلم في بيان الكبر
الكبر سفه الحق وغمص الناس الا يغمض الحق فتغلق باب السعادة
كذا الحق والخلق وقال بعضهم ان الله سبحانه خبأ ثلثا في
ثلث خبأ رضاه في طاعته فلا تحقرن شيئا منها لعل رضاء الله فيه وخبأ
سخطه في معصيته فلا تحقرن شيئا منها صغيرة كانت او كبيرة فلعل
سخط الله تعالى فيها وخبأ وليته في عباده فلا تحقرن احدا منهم
فلعله ولي الله تعالى الثالثة انه يحول بينه وبين جميع الاخلاق المحمودة
لان المتكبر لا يقدر ان يحب للناس ما يحب لنفسه ولا يقدر على التواضع
وعلى ترك الانفة والحسد والغضب ولا يقدر على كظم الغيظ ولا على
اللطف في النصح وعلى ترك الرياء وبالجملة فلا يبقى خلق مذموم
الا ويضطر المتكبر الى ارتكابه ولا خلق محمود الا ويضطر الى تركه
فصل العلاج العلمي لقمع رذيلة الكبر ان يعرف الانسان
نفسه وان اوله نطفة مذرة واخره جيفة قذرة وهو فيما بين

ذلك تحمل العزة ويفهم قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء
خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره فقد
انه خلق من كتم العدم فانه لم يك شيئا مذكورا فلا شيء اقل من العدم
ثم خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ليس لها سمع ولا بصر
وحياة وقوة ثم خلق له ذلك كله وهو بعد على غاية النقصان يسلط
عليه الامراض والعلل وتتضاد فيه الطبائع فيهدم بعضها بعضا
فيمرض كرها ويجوع كرها ويعطش كرها ويريد ان يعلم الشيء
فيجهله ويريد ان ينسى الشيء فيذكره ويكره الشيء وينفعه ويشتهي
الشيء ويضره لا يامن في لحظة من ان تختلس روحه او عقله او صحته
او عضو من اعضائه ثم آخره الموت والتعرض للعقاب والحساب
فان كان من اهل النار فالخنزير خير منه فمن اين يليق به الكبر
وهو عبد مملوك لا يقدر على شيء قال الحسن البصري لبعض من يتبختر
في مشيته ما هذه المشية من في بطنه الخراء فكيف يليق الكبر
بمن يغسل العذرة بيده مرتين في كل يوم وهو حامل لها على
الدوام **فصل** علاج الكبر على التفصيل بالنظر الى ما به التكبر

وهي اربع خصال **الاولى** العلم قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء وقال
لا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم وقل ما يخلو العالم
من آفة الكبر فانه يرى نفسه فوق الناس بالعلم الذي هو اشرف
فضيلة عند الله عز وجل فيتكبر بانه في الدين بان يرى نفسه
عند الله عز وجل افضل من غيره وبانه في الدنيا بان يرى حقه
واجبا على الناس ويتعجب منهم انه لم يتواضعوا له وهذا بان يسمى
جاهلا اولى لان العلم الحقيقي لا يعرفه من يجهل ربه ونفسه
وخطر المنة وحجة الله عز وجل عليه ويلاحظ الخاتمة ولا يرى
جاهلا الا ويقول انه عصى الله تعالى بجهل وانا اعصيه بعلم فحجة
الله علي اوكد قال ابو الدرداء رضي الله عنه من ازداد علما و
ازداد وجعا قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم يكون قوم يقرؤون القرآن فلا يجاوز
حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم
منا ثم التفت فقال اولئك منكم ايها الامة اولئك هم وقود
النار ومن هذا اشتد حذر السلف حتى انه صلى حذيفة مرة

رحم الله بقوم فلما سلم قال لتنتهن اما ما غيري او لتصلن وحدانا
اني رايت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني وينبغي ان يتذكر الا
انه كم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه واستحقره لكان خاتم
عمر كما كانت وذلك المسلم لعله ارتد والعياذ بالله بعد فكان المسلم
من اهل النار والمتكبر عليه من اهل الجنة وما من عالم الا ويتصور ان
يختم له بالسوء ويختم للجاهل بالسعادة فكيف يلوح التكبر مع
معرفة ذلك وصح قال صلعم يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى
في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف
به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت امر بالخير ولا اتيه
وانهى عن الشر واتيه فاي عالم يسلم من ذلك فلم لا يشغله خوفه
عن التكبر وقد قال تع في بلعم بن باعوراء وهو من اكابر العلماء فمثله
كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث الاية لانه اخلد
الى الشهوات وقال تع لعلماء اليهود كمثل الحمار يحمل اسفارا فلينظر
في الاخبار التي وردت في علماء السوء حتى يغلب خوفه كبره
وانما يبقى الكبر مع هذا لمن اشتغل بعلوم غير نافعة في الدين

الا لمن اشتغل

كالجدل واللغة وغيرهما او لمن اشتغل بالعلم وهو خبيث الباطن
وازداد خبثه بسببه **السبب الثاني** الورع والعبادة ولا يخلو
المتعبد في باطنه عن كبر وقد تنتهي الحماقة ببعضهم الى ان يحمل مصائب
الناس ومضراتهم على كرامته في اذاه ومات او مرض قال قد
رايتم ما فعل الله بكم سبحانه به وربما يتوقع عند الايذاء ستروون
بالجزاء عليه وليس يدري الاحمق ان جماعة من الكفار ضربوا الانبياء
واذوهم ثم تمتعوا في الدنيا فلم ينتقم منهم بل ربما اسلم بعضهم فسعد
في الدنيا والاخرة وكانه يرى نفسه افضل من الانبياء ومؤذيه اخس
من الكفار وحق العابد اذا نظر الى عالم ان يتواضع له لجهله وان نظر
الى فاسق فيقول لعل فيه خلقا باطنا يستر معاصيه الظاهرة
ولعل في باطني حسدا او رياء او خبثا خفيا مقتني الله سبحانه عليه
فلا يقبل اعمالي الظاهرة فان الله سبحانه ينظر الى القلوب لا الى
الصور ومن خبث الباطن الكبر اذ روي ان رجلا في بني اسرائيل
يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده جلس الى عابد بني اسرائيل
وقال لعل الله تع يرحمني ببركته فقال العابد في نفسه كيف يجلس

معه مثل هذا الفاسق وقال اليهم تجمع عني فاوحى الله سبحانه الى نبي زمانه
مرهما ليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد
ويروى ان رجلا وطئ رقبة عابد من بني اسرائيل وهو ساجد فقال
له ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله سبحانه اليه ايها المتألي
علي بل انت لا يغفر الله لك فالاكياس يحذرون من ذلك ويقولون
ما كان يقوله عطاء السلمي مع شدة ورعه كان اذا هبت ريح او
عاصفة او صاعقة يقول ما يصيب الناس من ذلك الا بسببي ولو مات
عطاء لتخلصوا وقال بعضهم في عرفات انا ارجو الرحمة لجميعهم
لولا كوني فيهم فانظروا كم بين من يخلص العمل والورع ثم يخاف على
نفسه وبين من يتكلف اعمالا ظاهرة لعلها لا تخلو عن الرياء والآفات
ثم يتمنى على الله سبحانه نعمه **السبب الثالث** الكبر بالنسب وعلاجه
ان ينظر في نسبه فان اباه نطفة مذرة وجده التراب ولا اقذر
من النطفة ولا اذل من التراب ثم المفتخر بالنسب يفتخر بخصال غيره
ولو نطق اباه لقالوا من انت في نفسك انما انت دودة
من بول من له خصلة حسنة ولذا قيل لئن فخرت بآباء

ذوي نسب لقد صدقت ولكن بئسما ولدوا وكيف يتكبر بنسب ذوي الدنيا ولعلهم
صاروا حممة في النار يودون لو كانوا خنازير وكلابا وتخلصوا مما هم فيه وكيف يتكبر
بنسب اهل الدين وهم في انفسهم ما كانوا يتكبرون وكان شرفهم بالدين ومن الدين التواضع
وكان يقول احدهم ليتني كنت تبنة وليتني كنت طائرا كلهم قد شغلهم خوف العاقبة عن الكبر
مع عظم علمهم وعملهم فكيف يتكبر بنسبهم من هو عاطل عن خصائلهم **السبب الرابع** الكبر
بالمال والجمال والاتباع والكبر بهما جهل فانها امور خارجة عن الذات اعني المال والاتباع
وكيف يتكبر بخصلة يمتد اليها يد الغاصب وكيف يتبجح بالجمال وحمى شهر يفسده والجدري
يزيله بل ولو تفكر الجميل في اقذار باطنه لادمنه ذلك عن الزهو بظاهره ولو لم يتعهد
الجميل بدنه اسبوعا بالغسل والتنظيف لصار اقذر من الجيفة من تغير النكهة والصنان
ورائحة العذرة وكراهية الوسخ والمخاط والغمص فمن اين للمزبلة ان تتبجح بجمالها والانسان
بالحقيقة مزبلة فانه منبع الاقذار والمزبلة ~~الاصل~~ التاسع
العجب قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم الآية وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا وقال تعالى ولا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى الآية وقال النبي عليه السلام ثلث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال ابن مسعود رضي الله عنه
الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان القانط لا يطلب
السعادة لقنوطه والمعجب لا يطلب السعادة لظنه انه قد ظفر بها وقال صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت
عليكم ما هو اعظم من ذلك العجب العجب وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا
ظن انه محسن ونظر رجل الى بشر بن منصور وهو يطيل الصلوة ويحسن العبادة فلما فرغ

قال لا يغرنك ما رأيت مني فان ابليس عبد الله ثم آلاف من السنين
وصلى آلاف سنين ثم صار الى ما صار اليه فصل
حقيقة العجب استعظام النفس وفضائلها التي هي من النعم والركون اليها
مع نسيان اضافتها الى المنعم والامن من زوالها فان انضاف اليه ان رأى
لنفسه عند الله حقا ومكانا سمي ذلك ادلالا وفي الخبر ان صلوة المدل
لا ترتفع فوق رأسه وعلامة الادلال ان يتعجب من رد دعائه ويتعجب من
استقامة حال من يؤذيه والعجب هو سبب





والعجب هو سبب الكبر ولكن الكبر يستدعي متكبرا عليه والعجب
مقصور على الانفراد واما من رأى نعمة الله تعالى على نفسه بعمل
او علم او غيره وهو خائف على زواله وفرح بنعم الله تعالى عليه من حيث
انها من الله فليس بمعجب بل المعجب ان يامن وينسى الاضافة الى
المنعم فصل العجب جهل محض فعلاجه العلم المحض فانه ان اعجب
بقوة او بمال او امر مما ليس يتعلق باختياره فهو جهل اذ ليس
ذلك اليه فينبغي ان يعجب بمن اعطاه ذلك من غير استحقاق وينبغي
ان يتفكر في زوال ذلك المخوف على القرب بادنى مرض وضعف
وان اعجب بعلمه وعمله ومما يدخل تحت اختياره فينبغي ان يتفكر
في تلك الاعمال بماذا تيسرت له وانها لا تتيسر الا بعضو وقدرة
وارادة ومعرفة وان جميع ذلك من خلق الله عز وجل واذا
خلق الله العضو والقدرة وسلط الدواعي وصرف الصوارف
كان حصول الفعل ضروريا وليس للمضطر ان يعجب بما يحصل
منه اضطرارا وهو مضطر الى اختياره فانه يفعل ان شاء ولكن ان
يشاء ان شاء الله او لم يشأ فهما خلقت فيه المشيئة قال الله سبحانه

وتعالى وتقدس عن ذلك الا ان يشاء الله يحتاج العمل الجزاء المستقبل
وانصراف الدواعي الصارفة مع كمال القدرة والاعضاء وكل ذلك
بيد الله تع ارايت لو كان بيد ملك مفتاح خزانة فاعطاك اياه
فاخذت منها اموالا اتعجب بجوده اذ اعطاكم المفتاح بغير استحقاق
او بمالك في اخذه واي حال لك في الاخذ بعد التمكين **فصل**
ان يعجب العاقل بعلمه وعقله حتى يتعجب اني افقره الله تع واغنى
بعض الجهال ويقول كيف وسع النعمة على الجاهل وحرمني فيقال له
كيف رزقك العلم والعقل وحرمهما الجاهل فهذه عطية منه
افتجعلها سببا لاستحقاق عطية اخرى بل لو جمع لك بين
العقل والغنى وحرم الجاهل عنهما جميعا كان ذلك اولى بالتعجب
وما تعجب العاقل منه الا كتعجب من اعطاه الملك فرسا ثم اعطى
غيره غلاما فيقول كيف يعطي الغلام لفلان ولا فرس له ويحرمني وانا
صاحب الفرس وانما صار صاحب الفرس بعطاء الاول فيجعل عطاءه
سببا لاستحقاق عطاء آخر وهو عين الجهل بل العاقل يكون
ابدا تعجبه من فضل الله تع وجوده من حيث اعطاه العلم والعقل

ووفقه

ووفقه للعبادة من غير تقديم استحقاق منه وحرم غيره ذلك
وسلط عليه دواعي الفساد واخطر اليه صرف دواعي الخير عنه
وذلك بغير جريمة سابقة منه وانك اذا شاهدت ذلك تحقيقا غلب
عليك الخوف اذ قد تعرف حقا انعم الله على اهل الدنيا من غير وسيلة
وخصصه به بغير سبب فيه وشكر ان يعذب ويسلب النعم
ايضا بغير جناية وسبب فماذا تصنع ان كان ما افاضه عليك
عليك للتعجب او استدراجا كما قال الله تع فتحنا عليهم ابواب
كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وكما قال تع
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون **الاصل العاشر في الرياء**
قال الله تع فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
الذين هم يراؤون وقال تع انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا
شكورا وقال تع فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا
ولا يشرك بعبادة ربه احدا الآية واراد به الاخلاص وقال صلى الله عليه وسلم
ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قيل وما هو قال الرياء
يقول الله تعالى يوم القيمة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الذين

كنتم تراؤون فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال عم في حديث
طويل يقال للغازي والعالم والمنفق اذا قال فعلت كذا يقال كذبت
كنت اردت ان يقال فلان عالم او شجاع او جواد فيذهب به
الى النار وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما
هو قال واد في جهنم اعد للقراء المرائين وقد قال تع من عمل
لي عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى
الاغنياء عن الشرك وقال عم لا يقبل الله عملا فيه مقدار
ذرة من الرياء وقال عليه السلام ان ادنى الرياء الشرك وقال
عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته
ويمسح شفتيه لكيلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه
فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله تع يقسم
الثناء كما يقسم الرزق ولهذا قال عمر رضي الله عنه لرجل طأطأ
رقبته يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب
وانما الخشوع في القلوب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ان المرائي
ينادى يوم القيمة باربعة اسماء يا مرائي يا غاوي يا فاجر

يا خاسر

يا خاسر اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال
قتادة اذا راءى العبد يقول الله تع انظروا الى عبدي يستهزئ بي
وقال الحسن صحبت اقواما ان كان احدهم ليعرض له الحكمة لو
نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا الشهرة
فصل حقيقة الرياء طلب المنزلة في قلوب الناس بالعبادات
واعمال الخير وما يرائي به ستة اصناف **الاول** الرياء من جهة البدن
وهو اظهار النحول والصفار ليظن به السهر والصيام واظهار
الحزن ليظن به انه شديد الاهتمام بامر الدين واظهار شعث
الشعر ليظن انه لشدة استغراقه بالدين ليس يتفرغ لنفسه
واظهار ذبول الشفتين ليستدل به على صومه وخفض الصوت
ليستدل به على ضعفه من شدة المجاهدة **الثاني** الرياء بالهيئة
كحلق الشارب واطراق الرأس في المشي والهدوء في الحركة وابقاء
اثر السجود على الوجه وتغميض العينين ليظن انه في الوجد والمكاشفة
وغائص في الفكر **الثالث** الرياء في الثياب كلبس الصوف والثوب
الخشن وتقصيره الى قريب من الساق وتقصير الكمين وترك الثوب

تخرقا ويسمى ليظن انه مستغرق الوقت عن الفراغ له ولبس المرقعة
والسجادة ليظن انه من الصوفية مع افلاسه عن حقائق التصوف ولبس
الدراعة والطيلسان وتوسيع الاكمام ليظن انه عالم والتقنع فوق
العمامة بازار ولبس الجوارب ليظن انه متقشف لشدة ورعه من
غبار الطريق ثم منهم من يطلب المنزلة في قلوب اهل الصلاح فيلازم
الثوب الخلق ولو كلف لبس ثوب جديد حسن مما يباح في الشرع
ولبسه السلف لكان عنده كالذبح اذ يخاف ان يقول الناس قد بدا له
في الزهد ومنهم من يطلب المنزلة من السلاطين والتجار ولو لبس
خلقان الثياب لازدروه ولو لبس الفاخر الثياب لم يعتقدوا
زهده فيطلب المرقعة المصبوغة والفوطة الدقيقة والاصواف
الرقيقة فيكون ثيابهم في القيمة والنفاسة كثياب الاغنياء وفي
اللون والهيئة كثياب الصلحاء ولو كلفوا ان يلبسوا الخلق
لكان عندهم كالذبح خيفة عن السقوط من اعين الاغنياء ولو
كلفوا لبس الخز والقصبي والدبيقي ومما يباح لبسه وقيمته
دون قيمة ثيابهم لاشتد عليهم خوفا من سقوط منزلتهم في قلوب

الصلحاء

الصلحاء اذ يقولون بدا له من الزهد الرابع الريا بالقول كرياء
اهل الوعظ والتذكير وتحسين الالفاظ وتسجيعها والنطق
بالحكمة والاخبار وكلام السلف مع ترقيق الصوت واظهار الحزن
مع الخلو عن حقيقة الصدق والاخلاص في الباطن ليظن بذلك
وكادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والمبادرة الى الحديث
انه صحيح او سقيم ليظن به غزارة العلم وكتحريك الشفتين
بالذكر والامر بالمعروف بمشهد الناس مع خلو القلب عن التفجع
بالمعصية وكاظهار الغضب على المنكرات والاسف عن المعاصي مع
خلو القلب عن التألم به الخامس الريا بالعمل كتطويل القيام
وتحسين الركوع والسجود واطراق الرأس وقلة الالتفات والتصدق
والصوم والحج والاخبات في المشي مع ارخاء الجفون مع ان الله يعلم
باطنه لو كان خاليا لما فعل شيئا من ذلك بل تساهل في الصلوة وتسرع
في المشي وقد يفعل ذلك في المشي فاذا شعر باطلاع غير عليه عاد
الى السكينة كي يظن به الخشوع السادس الريا بكثرة التلامذة
والاصحاب وكثرة ذكر الشيوخ ليظن انه لقي شيوخا كثيرة ولمن

يحب أن يزوره العلماء والسلاطين ليقال إنه ممن يتبرك به فهذه
مجامع ما يرائي به في الدين وكل ذلك حرام بل هو من الكبائر وأما
طلب المنزلة في قلوب الناس بأفعال ليست من العبادات وأعمال
الدين فليست بحرام ما لم يكن فيه تلبيس كما ذكرناه في طلب الجاه
فأهل الدنيا قد يطلبون الجاه بكثرة المال والغلمان وحسن
الثياب الفاخرة وحفظ الأشعار وعلم الطب والحساب والنحو
واللغة وغير ذلك من الأعمال والأموال ولم يحرم ذلك ما لم ينته إلى الإيذاء
بالتكبر والأخلاق أخرى مذمومة وإنما استقصينا أقسام الرياء
لأنه أغلب الأخلاق الذميمة على النفوس ومن لا يعرف الشر
ومواقعه لا يمكنه أن يتقيه **فصل** الرياء على درجات أحدها
أن لا يكون بالأمور الدينية والعبادات كالذي يلبس عند الخروج
ثيابا حسنة خلاف ما يلبسه في الخلوة وكالذي ينفق في الضيافات
وعلى الأغنياء أموالا ليعتقدوا أنه سخي لا ليعتقدوا أنه ورع
صالح فهذا ليس بحرام فإن تلذذ القلوب كتملك الأموال ثم القليل
منه صالح نافع والكثير منه يلهي عن ذكر الله تعالى كالكثير من المال ومهما

انصرفت

انصرفت الهمة إلى السعة في الجاه فبمجرد ذلك إلى الغفلة والمعاصي فيكون
محذورا لذلك لا لنفسه وأما إظهار الشمائل التي ذكرناها ليعتقد
الناس فيه الدين والورع فحرام لشيئين أحدهما أنه تلبيس إذا أراد
أن يعتقد الناس أنه مخلص مطيع لله تعالى محب وهو بهذه النية
فاسق ممقوت عند الله تعالى ولو سلم الرجل إلى جماعة دراهم لي
جماعة يخيل إليهم أنه يجود عليهم بها وإنما ديون لازمة عليه
لتلبيسه وإن لم يطلب أن يعتقد صلاحه لأن ملك القلوب
بالتلبيس حرام **الثاني** أنه إذا قصد بعبادة الله خلق الله
فهو مستهزئ ومن وقف بين يدي ملك في معرض الخدمة
وليس غرضه ذلك بل غرضه ملاحظة عبد من عبيد الملك
أو جارية من جواريه فانظر ماذا يستحقه من النكال للاستهزاء
بالملك فكأنه إذا قصد العباد بالعبادة فقد اعتقد أن العباد
الله أقدر على نفعه وخير من الله تعالى إذ عظمة العباد في قلبه دعته
إلى أن يتجمل عندهم بعبادة الله تعالى ولهذا سمي الرياء الشرك الأصغر
ثم يزداد الإثم بزيادة فساد القصد والنية ومن المرائين من يطلب

الا بحضرة الجماعة ومنهم من يطلب ان يودع الودائع ويوقف الاوقاف
ومال الايتام ليختزل منها او ذلك اخبث لا محالة ومنهم من يرائي
ليقصد اليه النسوة والصبيان ليتمكن من الفجور او ليكثر عنده
المال ليصرفه الى الخمر والملاهي وهذا اسوء الاقسام اذ جعل عبادة الله تعالى
وسيلة للمخالفة والعياذ بالله فصل لما يعظم الرياء بعظم المراءى به يتغلظ
اثمه بسبب اختلاف الغرض الباعث عليه يعظم ايضا بما به المراءاة
وبقوة قصد الرياء اما ما به المراءاة فهي على ثلث درجات اغلظها
ان يرائي باصل الايمان كالمنافق يظهر انه مسلم وليس بمسلم
كالملحد ومعتقد الاباحة يظهر انه مستديم الاسلام وقد انسلخ
منه باطنه الثانية الرياء باصل العبادات كمن يصلي ويخرج
الزكوة بين يدي الناس والله يعلم من باطنه انه لو خلا بنفسه
لم يفعل ذلك الثالثة وهي ادناها ان لا يرائي بالفرائض ويرائي
بالنوافل كالذي يكثر النافلة ويحسن هيئة الفريضة ويخرج
الزكوة من اجودها او ليتهجد او يصوم يوم عرفة وعاشوراء
والله يعلم من باطنه انه لو خلا بنفسه لم يفعل شيئا من ذلك وهذا ايضا

باصول الايمان

حرام وان كان لا تنتهي شدة العقوبة فيه الى الرياء بالاصول واما
منوطه بدرجات القصد فهو انه قد يتجرد قصد الرياء حتى يصلي
منه على ظهرانى لاجل الناس ويصوم ولو خلا بنفسه لافطر وقد
ينضاف اليه قصد العبادة ايضا وله ثلث احوال احدها
ان يكون العبادة باعثة مستقلة لو خلا بنفسه ولكن زاده
رؤية غيره نشاطا وخف عليه العمل بسببه فارجو ان لا يحبط
ذلك القدر عمله بل تصح عبادته ويثاب عليها ويعاقب على قصد
الرياء او ينقص من ثوابه الثانية ان يكون قصد العبادة
ضعيفا بحيث لو انفرد عن الناس ما استقل بالحمل على العبادة
فهذا لا تصح عبادته والقصد الضعيف لا ينفي عنه شدة المقت
الثالثة ان يتساويا القصدان بحيث يستقل كل بالحمل لو
انفرد او لا ينبعث للفعل باحدهما بل بمجموعهما فهذا قد افسد
شيئا واصلح مثله فالغالب انه لا يسلم راسا براس ويحتمل
ان ينال له اذا تساوى القصدان فاحدهما لغا ثم بالآخر وقوله انا
اغنى الاغنياء عن الشرك يدل على انه لا يقبله ولا يثيب عليه اما انه

يراقب عليه فغير نظر فالأغلب عندي والعلم عند الله أنه لا يخلو
عن إثم وعقاب. **فصل** اعلم أن بعض الرياء جلي وبعضه أخفى
من دبيب النمل. أما الجلي فهو ما يبعث على العمل حتى لولاه لم يرغب
في العمل، وأخفى منه أن لا يستقل بالحمل عليه ولكن يخفف العمل ويزيد
في نشاطه كالذي يتهجد كل ليلة وإذا كان عنده ضيف زاد
نشاطه، وأخفى منه أن لا يزيد نشاطه ولكن لو اطلع عليه غيره
على تهجده قبل فراغه أو بعده فرح به ووجد في نفسه مسرة
وذلك يدل على أن الرياء كان مستكنا في باطن القلب استكنان
النار تحت الرماد حتى ترشح منه السرور عند الاطلاع وقد كان
غافلا عنه قبله، وأخفى منه أن لا يسر بالاطلاع لكن يتوقع أن
يبدأ بالسلام ويوقر ويتعجب ممن يقصر في حقه ولا يسامحه
في المعاملة و[illegible] وذلك يدل على أنه يمن على الناس بعمله
وكأنه يتوقع احترامهم وتوقيرهم بعبادته مع إخفائه عنهم
وأمثال هذه الخفايا لا تخلو عنها إلا الصديقون، وفي جميع ذلك
إثم ويخاف منه إحباط العمل، نعم لا بأس أن يفرح باطلاع غيره عليه

إذا كان فرحه بالله تعالى من حيث أظهر منه الجميل وستر عنه القبيح مع أنه قصد
سترهما جميعا فيفرح بلطف صنع الله تعالى، وكذلك يفرح لأنه يستبشر عاجلا
بأنه حيث أحسن صنعه في الدنيا فكذلك يصنع في الآخرة، أو يفرح
ليقتدي به من يراه أو يطيع الله بحمل له عليه، وعلامة هذا أن
يفرح أيضا إذا اطلع على غيره ممن يرجى قدوته، ومن أجل إخفاء
أبواب الرياء وشدة استيلائه على الباطن احترز أولو الحزم
فأخفوا عباداتهم وجاهدوا أنفسهم، وقد قال علي رضي الله عنه إن
الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة ألم يكن يرخص عليكم في
السعر أولم تكونوا تبدؤون بالسلام ألم تكن تقضى عليكم الحوائج
لا أجر لكم فقد استوفيتم أجوركم، فاجتهد أن تدرك الخلاص
أن يكون الناس عندك كالبهائم والصبيان ولا تفرق في عبادتك
بين وجودهم وعدمهم وعلمهم بها وغفلتهم عنها وتقنع بعلم الله
في عمرك وتطلب الأجر منه فإنه لا يقبل إلا الإخلاص ليلا تحرم عن
وأين أنت أحوج أوقاتك إليه. **فصل** لعلك تقول ما أقدر على الانفكاك
عن الرياء الخفي كما وصفته فإن قدرت على الرياء الجلي فهل تنعقد عبادتي

العمل

مع ذلك واعلم ان وارد الرياء لا يخلو اما ان يرد اول العقد او في
دوامه او بعد الفراغ منه اما ما يقارن الابتداء فيبطله ويمنع
انعقاده ان صار باعثا مؤثرا في الحمد على العمل بل اول العقد يجب
ان يكون خالصا وانما يبطل بالرياء الباعث على اصل العمل واما
اذا لم يحمل الا على المبادرة في اول الوقت مثلا فاظن والعلم عند الله
ان اصل الصلوة تصح وانما تفوته فضيلة المبادرة ويعصي بقصد
المرائات ولكن يسقط الفرض عنه واما ما يرد في دوام الصلوة
ان ابطل باعث الصلوة فيبطل صلوته مثاله ان يحضر في اثناء الصلوة
نظارة او يتذكر نسيانا ولو خلا لقطع الصلوة لكنه اتم حياء
من الناس فهذا لا يسقط الفرض عنه لان النية قد انقطعت و
انقطع باعث العبادة واما اذا لم ينقطع نيته لكن صار مغمورا
مغلوبا لحال الوحض قوم فيغلب على قلبه الفرح باطلاعهم وانغمر
باعث العبادة فغالب الظن انه ان انقطع ذكرت ولم يعاوده الباعث
الاصلي فسدت صلوته انا نستصحب نية البداية بشرط ان لا يطرأ
ما هو اقوى منه ابتداؤها لمنع وان لم يغمر باعث العبادة ولكن حصل

عبادة المنع الصلوة

مجرد

٧٣

مجرد سرور ولم يؤثر في العمل بل في تحسين الصلوة فقط فغالب الظن
ان الصلوة لا تفسد ويتأدى الفرض واما ما يطرأ بعد الصلوة
من ذكر وسرور ومراآت فلا ينعطف على ما مضى ولكن يعصي
به ويأثم ويكون عقابه بقدر قصده واظهاره ومهما ظهرت له داعية
ذلك العبادة اما بالتصريح واما بالتعريض فذلك يدل على ان
الرياء كان خفيا في باطنه **فصل** اذا عرفت حقيقة الرياء ولكن في
مداخله فعليك بالتشمر لمعالجته وعلاجه في دفع الاسباب الباعثة
عليه وهي ثلثة حب وخوف الذم والطمع اما حب المدح — المدح
كمن يهجم على صف القتال ليقال انه شجاع او يظهر العبادات ليقال
انه ورع فعلاجه ما تقدم في علاج حب الجاه وسواه نعلم انه
كان وهمي لا حقيقة له وعلاجه في الرياء خاصة ان يتيقن في
نفسه ما فيه من الضرر وان العمل وان كان اذ يذ فاذا علم ان
فيه ما يشهد ترك له فليقدر على نفسه انه يقال له في يوم فتن
بسبب ريائه يا فاجر يا غاوي استهزيت بالله عز وجل
وراقبت العباد وتحببت اليهم واشتريت حمد صم بذم الله تع
وطلبت رضاهم بسخط الله اما كان احد اهون عليك من الله فلوم

الله

الا العذاب
يكن الا هذا الخزي والخجلة لكان كافيا في المنع عنه كيف وقد انضم
اليه العقوبة واحباط العبادة وانه ربما يترجح به كفة السيئات بسبب الرياء
بعد ان قاربت كفة الحسنات فيكون سبب هلاكه وليقرر على
نفسه ان رضى الناس غاية لا تدرك ومن طلب رضى الناس
بسخط الله تعالى اسخطهم عليه فكيف يترك رضى الله بما لا يطمع في
حصوله واما الباعث الثاني وهو الخوف من ذمهم فيقرر على
نفسه ان ذمهم لن يضر ان كان محمودا عند الله عز وجل فلم يتعرض
لذم الله ومقته خوفا من ذم الخلق ويلقنه ان الناس
لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء لمقتوه ويابى الله الا ان يكشف
ستره حتى يعرف نفاقه فيمقته الناس ايضا بعد ان مقته مقت الله
الله عز وجل ولو اخلص واعرض بقلبه عنهم وجرد نظره الى
الله تعالى لكشف لهم اخلاصه لو احبوه **الباعث الثالث** وهو
الطمع فيدفعه بان يعلم ان ذلك امر موهوم وفوات رضى الله
تعالى ناجز ويعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب وان من طمع في الخلق خاص
لم يخل عن الذل والمهانة والمنة ومن اعرض عن الطمع في الخلق كفاه

الله

الله تعالى وسخر له القلوب واذا احضر في قلبه نعيم الآخرة والدرجات
الرفيعة وعلم ان ذلك يفوت بالرياء اعرض قلبه عن الخلق
واجتمع همه وفاضت عليه انوار الاخلاص وامده الله سبحانه بعونه
وتوفيقه **فصل** لعلك تقول اني قررت هذا كله على نفسي ونفر
عن الرياء قلبي ولكن ربما هجم علي وارد الرياء بغتة في بعض العبادات
عند اطلاع الخلق فما العلاج عند هجومه فاعلم ان اصل هذا
العلاج ان تخفي عبادتك كما تخفي فواحشك ففيه السلامة روي ان
بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال له
اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعد هذا و
اخفاء العبادة انما يشق في البداية فاذا صار عادة الف الطبع
لذة المناجاة في الخلوة ومهما هجم وارد الرياء فعلاجه ان
تجدد على قلبك ما رسخ فيه من قبل من المعرفة في التعرض لمقت
الله عز وجل مع عجز الناس عن منفعتك ومضرتك حتى تنبعث
منه كراهية لداعية الرياء ثم الشهوة تدعو الى اجابة الرياء
بتحسين العمل والفرح به والكراهية تدعو الى الرد والاعراض عنه

وتكون اليد للاقوى فان قويت الكراهية حتى تمكنك من الركون الى الحكم
واستصحبت حالتك التي كنت عليها فلم تزد ولم تنقص ولم تتكلف
اظهار الفعل وايثاره فقد اندفع عنك الاثم ولم تكلف اكثر
ذلك واما دفع الخواطر ودفع الطبع عن الميل الى اقوال الناس فلا
يدخل تحت التكليف وانما منتهى التكليف الكراهة والاباء عن اجابة
الدواعي **فصل** يجوز اظهار الطاعات لاجل اقتداء الناس وترغيبهم
اذا صحت النية ولم يكن معه شهوة خفية وعلامته ان يقدر ان
الناس لو اقتدوا باحد اقرانه وكفي مؤنة الترغيب واخبر
بان اجره في الاسرار كاجره في الاظهار فان كان ميله الى ان يكون
هو المقتدى به اكثر ففيه داعية الرياء لانه ان كان يطلب
سعادة الناس وخلاصهم فقد حصل ذلك بغيره ولم يفته
الا اظهاره نفسه وكذلك يجوز كتمان المعاصي والذنوب ولكن بشرط
ان يكون غرضه ان لا يعتقد فيه الورع بل لا يعتقد فيه الفسق
والناس يفرحه باستتار معاصيه وحزنه بانكشافها
اما فرحا بستر الله عليه واما فرحا بموافقة امر الله تعالى فانه تعالى
يحب

يحب كتمان المعاصي ونهى عن المجاهرة بها ولانه يكره ان يذم فيتالم به
اذ التالم بذم الناس ليس بحرام بل يوجبه الطبع انما الحرام صون القدح
بمدح الناس اياه بالعبادة فان ذلك كاجر ياخذه على العبادة
واما لانه يخاف ان يقصد بسوء اذا عرفت معصيته واما لانه
يستحي من ظهورها والحياء غير الرياء ولكن قد يمتزج به واما ترك
الطاعة خوفا من الرياء فلا وجه له قال الفضيل الرياء ترك العمل خوفا
من الرياء اما العمل لاجل الناس فهو شرك بل ينبغي ان يعمل ويخلص الا
اذا كان العمل مما يتعلق بالخلق كالقضاء والامامة والوعظ
فاذا علم من نفسه انه بعد الخوض فيه لا يملك نفسه بل يميل الى دواعي
الهوى فيجب عليه الاعراض والهرب كذلك فعل جماعة من السلف واما
الصلوة والصدقة فلا يتركهما الا اذا لم تخطر اصلا نية العبادة
بل لو تجرد دنية الرياء فلا يصح عمله فليتركه واما اذا اعتاد فعله
فخطر خاطر يخاف على نفسه الرياء فلا ينبغي ان يتركه بل ينبغي ان
يستمر على عبادته ويجتهد في دفع باعث الرياء خاتمة في مجامع
الاخلاق ومواقع الغرور فيها اعلم ان الاخلاق الذميمة كثيرة

ولكن ترجع اصولها الى ما ذكرناه ولا يكمل تزكية النفس ببعضها
حتى تزكى عن جميعها ولو تركت واحدا منها غالبا عليك فقد تكون يدعو
الى البقية لان بعض هذه يرتبط بالبعض وتتقاضى بعض الاخلاق
الذميمة بعضا ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم والسلامة المطلقة
لاتنال بدفع بعض الامراض بل انما تنال بالصحة المطلقة كما ان
الحسن لا يحصل بحسن بعض الاعضاء ما لم يحسن جميع الاطراف والخصال
القل في حسن الخلق وقد قال صلى الله اثقل ما يوضع في الميزان خلق
حسن وقد قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقيل

له ما الدين قال الخلق الحسن وقال حسن الخلق خلق الله تعـ
وقال افضل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا وقد كثرت الاقاويل
محمد في حقيقته وبيان حده والاكثرون تعرضوا لبعض ثمراته ولم
يحيطوا بالجميع تفصيلا والذي يطلعك على حقيقته ان تعلم ان الخلق
والخلق عبارتان فيراد بالخلق الصورة الظاهرة وبالخلق
الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد يدرك
بالبصر ومن روح ونفس يدركها البصيرة لا بالبصر ولكل واحد منهما

هيئة

الا الروح

هيئة اما قبيحة واما حسنة والنفس المدركة بالبصيرة اعظم
قدرا ولذلك اضافه الله عز وجل الى نفسه واضاف البدن الى الطين
فقال اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
ووصف الروح بامر رباني فقال قل الروح من امر ربي واعني
بالروح والنفس هاهنا معنى واحدا وهو الجوهر العارف المدرك
للانسان بالهام الله تعالى كما قال ونفس وما سواها فالهمها
فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها
وكما ان للحسن الظاهر اركانا كالعين والانف والفم والخد
ولا يوصف الظاهر بالحسن ما لم يحسن جميعها فكذلك الصورة
الباطنة لها اركان لابد من حسن جميعها حتى يحسن الخلق وهي اربعة
معان قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل
بين هذه القوى الثلث فاذا استوت هذه الاركان الاربعة
واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق اما قوة العلم
فاعتدالها وحسنها ان تصير بحيث يدرك بها الفرق بين
الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات

وبين الجميل والقبيح في الاعمال فاذا انصلحت هذه القوة كذلك
حصلت منها ثمرة الحكمة وهي رأس الفضايل ومن يؤت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب واما قوة الغضب
فاعتدالها ان يحصل انقباضها وانبساطها على موجب اشارة
الحكمة والشرع وكذلك قوة الشهوة واما قوة العدل فهي في ضبط
قوة الغضب وقوة الشهوة تحت اشارة الدين والعقل فالعقل
منزلته منزلة الناصح وقوة العدل وهي القدرة ومنزلتها
منزلة المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب والشهوة وهما
الاشارة اللذان تنفذ فيهما امرها كالكلب والفرس للصياد فان حسن
بعض هذه دون بعض كان كما لو حسن بعض اعضاء الوجه دون
يطلق اسم الحسن له الا اذا حسن الجميع واعتدل فاذا حسنت
واعتدلت انشعب منه جميع الاخلاق واما قوة الغضب فيعبر
عن اعتدالها بالشجاعة والله يحب الشجاعة وان مالت الى طرف
الزيادة تسمى تهورا وان مالت الى النقصان تسمى جبنا وينشعب
من اعتدالها خلق الكرم والنجدة والشهامة والحلم والثبات
وكظم

وكظم الغيظ والوقار والتؤدة واما افراطها فيحصل منه خلق التهور
والصلف والبذخ والاستشاطة والكبر والعجب واما تفريطها
فيحصل منه الجبن والمهانة والذلة والخساسة وعدم الغيرة
وضعف الحمية على الاهل وصغر النفس واما الشهوة فيعبر عن
اعتدالها بالعفة وعن افراطها بالشره وعن تفريطها وضعفها
بالجمود فيصدر من العفة السخاء والحياء والصبر والسماحة و
القناعة والورع والمساعدة والظرف وقلة الطمع ويصدر عن افراطها
الحرص والشره والوقاحة والتبذير والتقتير والرياء والهتكة
والمجانة والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار
الفقراء وغير ذلك واما قوة العقل فيصدر من اعتدالها حسن
التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي واصابة الظن والتفطن
لدقايق الاعمال وخفايا آفات النفس واما افراطها فيحصل منه
الجربزة والدهاء والمكر والخداع ويحصل من تفريطها وضعفها
البله والحمق والغمارة والبلادة والانخداع فهذه روابط الاخلاق وانما
معنى حسن الخلق في الجميع وسط بين الافراط والتفريط فخير الامور اوساطها

وكلا طرفي قصد الامور ذميم ولذلك قال عز وجل ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم
ومهما مال واحد من هذه الجملة الى الافراط او التفريط فبعد لم يكمل حسن
الخلق فصل طريق اصلاح هذه الاخلاق كلها المجاهدة والرياضة
نفسك بحكم
ونعني بالمجاهدة ان تكلف النفس المفرطة الغالبة خلاف مقتضاها
فتحملها بنقيض موجبها فان غلب البخل فلا تزال تتكلف البذل بالجهد
وتداوم عليه مرة بعد اخرى حتى يسهل عليك البذل في محله
وان غلب التبذير فلا تزال تتكلف الامساك حتى يصير عادة
فيسهل عليك الامساك في محله وكذلك في خلق الكبر وساير
الاخلاق وقد ذكرناه في كتاب رياضة النفوس على التفصيل وينبغي
ان تعلم ان من يبذل تكلفا فليس بسخي وان من يتواضع تكلفا
وهو ثقيل على نفسه فهو عاطل عن خلق التواضع بل الخلق
عبارة عن هيئة النفس يصدر عنها الافعال بسهولة من غير روية
وتكلف لكن التكلف هو طريق تحصيل الخلق فانه لا يزال

يتكلف

يتكلف اولا حتى يصير ذلك طبعا وعادة فتفهم من هذا ان البخيل قد
يبذل رياء والسخي قد يبخل فلا تنظر الى الفعل بل الى الهيئة الراسخة
التي تصدر منها الافعال بيسر من غير تكلف واعلم ان تفاوت الناس
في الحسن الباطن كتفاوتهم في الحسن الظاهر ولن يسلم الحسن المطلق
الاعلى للندور وانما سلم ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
اثنى الله سبحانه عليه فقال وانك لعلى خلق عظيم وليست النجاة
موقوفة على الكمال البالغ لكن على ان يكون الميل الى الحسن اكثر
فان القبيح المطلق في الظاهر ممقوت والحسن المطلق معشوق
وما بينهما درجات والقريب من الحسن المطلق اسعد في الدنيا
من القريب الى القبيح المطلق وكذلك تتفاوت سعادة الآخرة بحسب
تفاوت حسن الصورة الباطنة فصل اعلم انك قد تظن بنفسك
حسن الخلق وانت عاطل عنه فاياك ان تغتر وينبغي ان تحكم نفسك
فيه غيرك عند فقد صديق بصير الا اذا هنك وبالجملة اذا غيرك
الاسعد الخلق [illegible] تكون كذلك لان اكثر الاخلاق يتعلق
بالغير [illegible] ان تقهر نفسك بموافقة الغرور فيه مثلا ان الغضب يقتضي

انك تغضب لله تعالى وتظهر العبادة وتظن انك تظهر للاقتداء او لكف
عن الاكل او طلب الدنيا او تكظم الغيظ واما يهون عليك ذلك ان
تعرف به فيكون للرياء فهو الباعث على الجميع وكذلك يكثر مواقع
الغرور فيه على ما ذكرناه في كتاب الغرور فان هذا الكتاب لا يحتمل
استقصاءه **فصل** ينبغي ان تتفقد هذه الاخلاق من قلبك فتبدا
بالاهم فالاهم فتقبل على اغلب هذه الصفات عليك فتكسرها على التدريج
فاظن ان الاغلب عليك حب الدنيا وساير المعاصي والاخلاق
الذميمة تتبعها ولا يمكنك الخلاص من حب الدنيا الا بان تطيل خلوتك
خاليا وتتفكر في سبب اقبالك على الدنيا واعراضك عن الآخرة
فلا تجد له سببا الا محض الجهل والغفلة فان اقصى عمرك في الدنيا
ماية سنة فهب انك ملكت وجه الارض تسلم لك من المشرق الى المغرب مملكة تم
في ماية سنة أليس يفوتك بها المملكة في مدة لا آخر لها وهي
مملكة الآخرة فان كان لا يدخل في خيالك طول الابد فقدر الدنيا
مملوة ذرا او قدر طايرا ياخذ في كل الف الف سنة حبة واحدة
فيفنى الذر ولم ينقص من الابد شي لان الباقي ابدا لا نهاية له

كان قبله في ذلك وانت ترى نفسك ترضى بتعب الاسفار اما في تجارة
او طلب رياسة وهذا التعب الناجز لاجل شي موهوم ربما يدركك
الموت قبله وربما لا يصفو لك ان ظفرت به وانما ترضى بذلك لانك
تستحقر التعب سنة مثلا بالاضافة الى بقية العمر وجملة عمرك بالاضافة
الى الابد اقل من سنة بالاضافة الى عمرك بل لا اضافة بينهما فتفكر فيه
ليكشف لك ما يحملك على الغرور ولعلك تقول انما افعل ذلك على توقع العفو
فان الله كريم رحيم فاقول ولم لا تترك الحراثة والتجارة وطلب المال على
توقع العثور على كنز في خراب فان الله تعالى كريم لا ينقص من ملكه شي لو
عرفك في منامك كنزا من الكنوز حتى تاخذ فان قلت ذلك نادر وان
كان داخلا في قدرة الله تعالى فاعلم ان توقع العفو مع خراب الاعمال والاخلاق
كتوقع الكنز في خراب بل ابعد منه وانذر وقد تكفل الله سبحانه عليه
فقال وان ليس للانسان الا ما سعى وقال ام نجعل الذين امنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين في الارض الآية وتكفل لك بطلب المال فقال الله تعالى
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فانك تكذب بكرمه في الدنيا
ولا تتكل عليه ثم تخدع نفسك بالكرم في الآخرة وانت تعلم ان رب

الدنيا والآخرة فصل لعلك تقول عواقب امور الدنيا قد انكشفت
بالعيان واما انت فقلد فيهما واما الآخرة فلم اشاهدها وليست
اجد التصديق الحقيقي بها في قلبي ولكن فقيمت رغبتي في ترك الدنيا نقدا
باخرى موعود نسيئه ولست اليق بهذا قول لو كنت من ارباب البصائر
لانكشف لك امر الاخرة بصريا كما انكشف امر الدنيا وان لم يكن من
اهله فلكن [illegible] اقاويل ارباب البصائر فان الناس في امر الآخرة اربعة
اصناف صنف اثبتوا الجنة والنار كما ورد به القرآن وقد سمعت
انواع نعيمها والآم جحيمها وصنف لم يثبتوا اللذات والآلام
الحسية بل اثبتوها على سبيل التخيل كما في المنام حتى يكون كل
واحد في جنته [illegible] وزعموا ان [illegible] لما ثمر
الحقيقه لان [illegible] والمخلص [illegible] التنبه وذلك
في الآخرة دائم لا انقطاع له وصنف ثالث اثبتوا الآخرة عقلية
ولذات عقلية وزعموا ان ذلك اعظم من الحسية ومثلوا ذلك باستشعار
لذة الملك واستشعار [illegible] وان زوال الملك [illegible]
بدنية على ما يلتذ به على من يلقد بين عدوه وناحر مملكته

لا يولم

٨٠

لا يؤلم [illegible] وهو الاهم اصناف النظار اعني الاصناف الثلثة ثم الاربع
والاول [illegible] انهم اتفقوا على اثبات سعادة مؤبدة وشقاوة مؤبدة
وان السعادة [illegible] الامثال [illegible] فيها لعصيان الله عز وجل ولو مرضت
ولم تكن [illegible] الصحيح في طب [illegible] ورأيت [illegible] اهلي
لم تتوقف في اتباعهم وصنف رابع لم [illegible] الالهية
بل [illegible] الاطباء والمنجمين اقتصر نظرهم على الطبائع الاربع [illegible] وقالوا
قوام [illegible] بحقيقة الروح الآتي
الحقيقي الذي [illegible] بالجنة بل لم يهتد [illegible] في الجنان
[illegible] القلب [illegible] وفي الصوارف
الجسم [illegible] الروح التي توجد للبهائم
ايضا [illegible] الروح الخاص الانساني المنسوب الى الله سبحانه حيث قال
ونفخت فيه من روحي فلم يتفطنوا له فظنوا ان الموت عدم وانه يرجع
الى فساد المزاج وانت في حق هولاء بين امرين اما ان تجوز غلطهم
[illegible] قطعا صحة قولهم وان جوزت خطاهم [illegible] الاعراض
[illegible] كنت صادق الجوع وطرق بطعام

حرارت برودت
رطوبت يبوست

وهممت بأكله فأخبرك صبي أن فيه سمّاً وأن حية ولغت فيه فاسيت
لوح وتركت الاكل لانك تقول ان كان كاذبا فليس تفوتني الا لذة
الاكل وان كان صادقا ففيه الهلاك ومتى هذه الاحتمال الا يمكن الهجوم
عليه فليت شعري احتمال الخلود في النار كيف يستجيز العاقل الهجوم
عليه وكيف لا يكون كاليقين التام في الحذر منه حتى تنبه الشاعر
ح دكالة عقله فقال زعم المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الاموات
قلت اليكما ان صح قولكما فلست بخاسر ان صح قولي فالخسار عليكما
وان قلت اني اعلم ضرورة صدق قولها وان الموت عدم
وانه لا عقاب ولا ثواب وان الانبياء والاولياء مغرورون
او ملبسون والعالم الذي انكشف له حقيقة الحق هو هذا البحيث
الجاهل وزعمت اني اعلم ذلك كما اعلم ان الاثنين اكثر من الواحد
لا يخالجني فيه ريب فيدل هذا على فساد المزاج وكفاية العقل واليأس
عن قبول العلاج ولكن مع هذا يقال لك ان كنت تطلب الراحة في الدنيا
فقد ينقاص كذلك ايضا مجاهدة الشهوات وكسرها فان الراحة
في الحرية والخلاص من اسر الشهوات لا في اتباعها فانها اذا تسلطت على النفس

فهي

61

فهي الالام بالمعرة تحمل النفس على احتمال كل ذل ومشقة وما للمتنعم في
الدنيا الايثار لها والزاهد فيها وان تاملتها فلا يزال المنهمك في عناء
والمعطل ايضا ان عقل قليلا ترك الدنيا لكثرة عنائها وسرعة فنائها
وخسة شركائها فان لم تكن في امر الآخرة على يقين وان زمننا هذا آفات
الدنيا على نفس فما انت الا من الحمقى المغرورين ولتعلمن نبأه بعد
حين ولذلك يقال ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف
يعلمون القسم الرابع في الاخلاق المحمودة وهي ايضا عشرة اصول
الاصل الاول التوبة فانها مبدأ طريق السالكين ومفتاح سعادة
المريدين قال الله عز وجل ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
وقال تع وتوبوا الى الله جميعا وقال النبي صلعم التائب حبيب الله
والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال عم لله افرح بتوبة عبده
المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته فانفلتت عنه
وعليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد
ذهبت راحلته فطلبها حتى اشتد عليه الجوع والعطش او ما شاء الله
عز وجل قال ارجع الى المكان الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع

رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده
وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته
وزاده ۝ فصل حقيقة التوبة الرجوع عن طريق البعد الى طريق
القرب ولكن لها ركن ومبدأ وكمال اما مبدأها فهو الايمان ومعناه
سطوع نور المعرفة على القلب حتى يتضح فيه ان الذنوب سموم مهلكة
فيشتعل منه نار الخوف والندم وينبعث من هذه النار صدق
الرغبة في التلافي والحذر اما في الحال فبترك الذنوب واما في الاستقبال
فبالعزم على الترك واما في الماضي فبالتلافي على حسب الامكان وبذلك
يحصل الكمال ۝ فصل اذا عرفت حقيقة التوبة انكشف لك انها واجبة
على كل احد وفي كل حال ولذلك قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا
فخاطب الجميع مطلقا اما وجوبها فلان معناها معرفة كون
الذنوب مهلكة والانبعاث لتركها وهو جزء من الايمان ففي
هذه المعرفة فكيف لا تجب واما وجوبها على كل احد فهو ان الانسان
مركب من صفات بهيمية وسبعية وشيطانية وربوبية حتى يصدر
من البهيمية الشهوة والشره والفجور ومن السبعية الغضب والحسد

والع

والعداوة والبغضاء ومن الشيطانية المكر والحيلة والخداع ومن الربوبية
الكبر والعز وحب المدح والاستيلاء واصول هذه الاخلاق هذه
الاربع وقد عجنت في طينة الانسان عجنا محكما يكاد لا يتخلص منها
وانما ينجو من ظلماتها بنور الايمان المستفاد من العقل والشرع فاول
ما يخلق في الآدمي البهيمية فيغلب عليه الشره والشهوة في الصبا ثم يخلق
فيه السبعية فيغلب عليه المعادات والمنافسة ثم يخلق فيه الشيطانية
فيغلب عليه المكر والخداع اذ تدعوه البهيمية والسبعية الى ان
يستعمل كياسته في حيل قضاء الشهوة وتنفيذ الغضب ثم تظهر فيه
بعد ذلك صفات الربوبية وهو الكبر والاستيلاء وطلب العلو
ثم بعد ذلك يخلق العقل الذي يظهر فيه نور الايمان وهو من حزب الله
وجنود الملائكة وتلك الصفات من جنود الشيطان وجنود العقل
يكمل عند الاربعين ويبدو اصله عند البلوغ واما سائر جنود
الشيطان فيكون قد سبق الى القلب قبل البلوغ واستولى عليه
والفته النفس واسترسلت في الشهوات متابعة لها الى ان يرد
نور العقل فيقوم القتال والتطارد بينهما في معركة القلب فان ضعف

يعني الاربع هي البهيمية والسبعية والشيطانية
والربوبية

جند العقل ونور الايمان لم يتوقع ازعاج جنود الشيطان فيبقى جنود
الشيطان مستقرة اخرا كما سبق الى النزول اولا ووطنهم للشيطان
مملكة القلب فهذا القتال ضروري في فطرة الادمي اذ لا يتسع لخلقه
الولد لما لا يتسع لخلقه الاب وانما حكى لك حال ادم صلوات الله عليه
لتتنبه ان ذلك كان مكتوبا عليه وهو مكتوب على جميع اولاده في القضاء
الازلي الذي لا يقبل التبديل فاذا لا يستغنى احد عن التوبة فصل
واما وجوبها على الدوام في كل حال فلان الانسان لا يخلو في جميع احواله عن ذنب
في جوارحه او في قلبه ولا يخلو عن خلق من الاخلاق الذميمة مما يوجب
تزكية النفس عنه فانه مبعد عن الله والاشتغال
باماطته توبة لانه رجوع عن طريق البعد الى طريق القرب فان خلا
عن جميع ذلك فلا يخلو عن غفلة عن الله وذلك ايضا طريق البعد و
يلزمه الرجوع عنه بالذكر ولذلك قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت
وان كان حاضرا على الدوام وانى يتصور ذلك فلا يخلو عن ملازمة
مقام نازل عن المقامات الرفيعة وراءه وعليه ان يترقى عنه الى
ما فوقه ومهما ترقى عنه استغفر عن مقامه الذي خلفه لانه تقصير

بالاضافة

الى ما ادركه وذلك لا نهاية له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم وانه
ليغان على قلبي حتى استغفر الله تعالى في اليوم والليلة سبعين مرة
ولذلك كان توبة هؤلاء فالان توبة العوام من الذنوب الظاهرة وتوبة
الصالحين من الاخلاق الذميمة الباطنة وتوبة المتقين عن مواقع الريبة
وتوبة المحبين عن الغفلة المنسية للذكر وتوبة العارفين عن الوقوف
على مقام يتصور ان يكون وراءه مقام والمقامات في القرب
الى الله تعالى لا نهاية لها فتوبة العارف لا نهاية لها ايضا فصل التوبة
اذا استجمعت شرائطها مقبولة لا محالة ولا يخفى عليك ذلك
اذا فهمت معنى القبول فمعنى القبول ان يحصل في قلبك استعداد
القبول لتجلي انوار المعرفة في قلبك وانما قلبك كالمراة تحجبه
عن التجلي كدورات الشهوة والرغبة فيها ويرتفع من كل ذنب
ظلمة اليه ومن كل حسنة نور اليه فالحسنات تصقل النفس ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها ونور التوبة
للقلب كالصابون للثوب فلا بد ان يزول عنه الوسخ
اذا استعمل على شرطه ومن تاب فانما يشك في قبول التوبة

لانه ليس يستيقن تمام شروطها كالان من شرب المسهل الاتيه
حصول الاسهال به لانه لا يدري وجود تمام الشرايط في الادوية او
لو تصور ان يعلم ذلك لتصور ان يعلم القبول في حق الشخص المعين
ولكن هذا الشك في الاعيان لا يشككنا في ان التوبة في نفسها
طريق القبول لا محالة **فصل** علاج التوبة حل عقدة الاصرار
فانه لا مانع منها سوى الاصرار ولا حامل عليه سوى الغفلة والشهوة
وذلك مرض في القلب وعلاجه كعلاج امراض البدن لكن هذا
المرض اكثر من مرض الابدان لثلثة اسباب احدها انه مرض
لا يعرف صاحبه انه مريض وهو كبرص على وجه من لا مرآة
له فانه لا يعالجه لانه لا يعرفه ولو اخبره غيره ربما لم يصدقه الثاني
ان عاقبة هذا المرض لم يشاهدها الانسان ولم يجربها فلذا
تراه يتكل على عفو الله ويجتهد في علاج مرض البدن غاية الجهد
الثالث وهو الداء العضال فقد الاطباء فان الطبيب هو
العالم العامل وقد مرض العلماء في هذه الاعصار مرضا
عسر عليهم علاج انفسهم لان الداء المهلك هو حب الدنيا وغلب

ذلك

ذلك على العلماء فاضطروا الى الكف عن تحذير الخلق من الدنيا كيلا
تنكشف فضيحتهم فانصب الخلق الى الانبساط على الاقبال على الدنيا
والتجاذب لها والتكالب عليها فبهذا السبب عم الداء وانقطع
الدواء واشتغل الاطباء بفنون الاغواء فليتهم اذ لم يصلحوا
لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا بل صار كل واحد كانه
صخرة في فم الوادي لا هي تشرب ولا تترك الماء يشربه غيرها
وجملة القول في علاجه ان ننظر في سبب الاصرار وهو يرجع الى
خمسة اسباب **اولها** ان العقاب الموعود ليس بنقد والطبع
يستهين بما لا يأخذه في الحال وعلاجه ان يتفكر ليعلم
ان ما هو آت قريب وان البعيد ما ليس بآت وان الموت
اقرب الى كل احد من شراك نعله فما يدريه لعله في آخر ايامه
وفي آخر سنة من عمره ثم يتفكر انه كيف يتعب في الاسفار
فيركب الاخطار خوفا من الفقر في الاستقبال **الثاني** ان اللذات
والشهوات اخذت بمخنقه في الحال فليس يقدر على قلعها
وعلاجه ان يتفكر انه لو ذكر له طبيب نصراني بان شرب

المال البارد يبصّره ويسوقه الى الموت وهو الذ الاشياء عنده
كيف يتركه فيعلم ان الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم اصدق من الطبيب
من الطبيب النصراني والخلود في النار اشد من الموت بالمرض وليقرر
على نفسه انه اذا كان يشق عليه ترك اللذات اياما قلايل فكيف
لا يشق عليه ملابسة النار والحرمان عن الفردوس ونعيمه ابد
الدهر الثالث انه يسوف بالتوبة يوما فيوما وعلاجه ان
يتفكر ويعلم ان بناء خطر السعادة والشقاوة على ما ليس
اليه فهل يعلم انه يبقى الى ان يتوب وان اكثر صياح اهل
النار من التسويف لانهم سوفوا حتى فاجأهم مرض ساقهم
الى الموت كيف وانما يسوف لانه يعجز عن قمع الشهوات في الحال
فان كان ينتظر يوما يسهل فيه قمع الشهوات فهذا يوم لم
يخلق اصلا بل مثاله مثال من امر بقلع شجرة فعجز عنها
لضعفه وقوة رسوخ الشجرة فيؤخرها الى السنة القابلة و
هو يعلم ان الشجرة تزداد كل يوم رسوخا وقوته تزداد كل
يوم قصورا ونقصانا وذلك غاية الجهل الرابع ان يعد نفسه

بالكرم

٨٥

ابدا ت

بالكرم والعفو وذلك غاية الحمق وردها الشيطان في معرض الدين
قال النبي عم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق
من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى الخامس ان يكون والعياذ
بالله شاكا في الآخرة وقد ذكرنا علاجه في خاتمة اخلاق الذميمة
فصل التوبة عن الذنوب كلها مهمة واجبة ومن الكباير اهم
والاصرار على الصغيرة ايضا كبيرة فلا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة
مع رجوع واستغفار وتواتر الصغاير عظيم التأثير في
تسويد القلب وهو كتواتر قطرات الماء على حجر فانه يحدث
فيه حفرة لا محالة مع لين الماء وصلابة الحجر وتعظم الصغيرة
باسباب احدها ان يستصغرها العبد ويتهاون بها
فلا يغتم بسببها قال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد
ليت كل شي عملته مثل هذا الثاني السرور بها والتبجح بسببها
واعتقاد التمكن منها نعمة حتى ان المذنب ليفتخر فيقول
اما رأيتني كيف شتمته وكيف مزقت عرضه وكيف خدعته
في المعاملة وذلك عظيم التأثير في تسويد القلب الثالث ان

امر في

يتهاونون بستر الله عليه ويظنون ان ذلك لكرامة عند الله تع والدرك
انه معفوة وقد امهلهم ليزدادوا اثما فيلونه في الدرك الاسفل من النار الرابع
ان يجاهر بالذنب ويظهره او يذكره بعد فعله وفي الخبر كل الناس
معافى الا المجاهرون الخامس ان يصدر الصغيرة من عالم يقتدى
به فذلك عظيم لانه تبقى بعد موته فطوبى لمن مات وماتت معه ذنوبه
ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة
وروي ان بعض علماء بني اسرائيل تاب عن ذنوبه وبدعته فاوحى الله
تع الى نبي زمانه ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرت لك ولكن
كيف بمن اضللت من عبادي فادخلتهم النار وعلى الجملة لا باعث
على التوبة الا الخوف الصادر عن البصيرة والمعرفة فلنذكر حقيقة
الخوف الاصل الثاني في الخوف وقد جمع الله تع للخائفين الهدى
والرحمة والعلم والرضوان وناهيك بذلك فضلا فقال تع هدى ورحمة
للذين هم لربهم يرهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقال صلعم راس الحكمة
مخافة الله وقال عم من خاف الله خاف منه كل شيء ومن خاف غير الله

خوفه

خوفه الله من كل شيء وقال عليه السلام قال الله تع وعزتي وجلالي لا اجمع
على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم
القيمة واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيمة فصل اعلم ان حقيقة
الخوف هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد
يكون ذلك الخوف من جريان ذنوب وقد يكون الخوف من الله بمعرفة صفاته
التي توجب الخوف لا محالة وهذا اكمل واتم لان من عرف الله خافه
بالضرورة ولذلك قال تع انما يخشى الله من عباده العلماء وقد اوحى الله تع الى داود
عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري ولذلك قال النبي عم انا
اخوفكم لله تع واعلم ان الواقع في مخالب السبع انما لا يخافه اذا لم يعرف
السبع فاذا علم ان من صفة السبع ان يهلكه ولا يبالي فان تركه لم يكن له
للرقة عليه وشفقته فانه احقر عنده من ان يشفق عليه فلا بد من ان يخاف
ولله المثل الاعلى وصفوا العبد من الحكم ولكن من عرف انه لو اهلك الاولين
والآخرين لم يبال ولم ينقص شيء من ملكه قل فمن يملك من الله شيئا
ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا وكم اهلك
عبادا في الدنيا وعرضهم لانواع العذاب ولم تاخذه رقة والشفقة

فإن ذلك محال عليه تعالى بل أن يخاف معرفة الجلال والعزة والاستغناء
يورث الهيبة بالضرورة وهذا أكمل أنواع الخوف وأفضلها
علاج الخوف وتحصيله على رتبتين إحداهما معرفة الله تعالى فإنها توجب
الخوف بالضرورة فإن الواقع في مخالب السبع لا يحتاج إلى علاج ليخاف
إن كان يعرف السبع ومن عرف جلال الله تعالى واستغناءه وأنه خلق
الجنة وخلق لها أهلاً وخلق النار وخلق لها أهلاً وأنه تمت
كلمته بالسعادة والشقاوة في حق كل أحد صدقاً وعدلاً وأن ذلك
لا يتصور تغييره ولا يصرفه عن تنفيذ قضائه الأزلي صارف وهو
لا يدري ما الذي سبق به القضاء في حقه ولا يدري ما الذي ختم
له به واحتمل عنده أن يكون مقضياً له بشقاوة الأبد فهذا لا يتصور
أن لا يخاف وأما من يعجز عن حقيقة المعرفة فعلاجه النظر إلى الخائفين
ومشاهدة أحوالهم أو سماع ذلك فإن أخوف خلق الله الأنبياء
والأولياء والعلماء وأهل البصيرة وأعظم الخلق أمناً الغافلون
الأغبياء الذين لا يلتفتون لا إلى السابقة ولا إلى الخاتمة
ولا إلى معرفة جلال الله تعالى وهذا كما أن الصبي لا يخاف الحية

ما لم ينظر إلى أبيه يخافها ويهرب منها ويرتعد فرائصه إذا رآها
فينظر إليه فيقلده ويستشعر خوفه وإن لم يعرف بالحقيقة صفة الحية
وقد صلى الله عليه وسلم ما جاءني جبريل عليه السلام قط إلا وهو يرتعد فرائصه فرقاً
من النار وقيل لما ظهر على إبليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل يبكيان
فأوحى الله سبحانه إليهما ما لكما تبكيان قالا يا رب ما نأمن مكرك فقال
تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكري ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون و
وقيل لما خلق الله تعالى النار طارت أفئدة الملائكة عليهم السلام فلما
خلق بني آدم عادت وكان أزيز قلب إبراهيم عليه السلام يسمع في الصلوة
من ميل وبقي داود عليه السلام أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه
حتى نبت المرعى من دموعه وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لطائر ليتني
مثلك يا طائر لم أخلق وقال أبو ذر رضي الله عنه وددت لو أني شجرة
تعضد وقالت عائشة رضي الله عنها وددت لو أني نسياً منسياً
وقد حكيت أحوال الخائفين في كتاب الخوف فليتأمل القاصر عن ذوق
معرفة أحوال الأنبياء والأولياء والعارفين ليعلم أنه أحق بالخوف
منهم وإذا تأمل ذلك بالحقيقة غلبه خوفه فصل الخوف سوط يسوق

العبد الى السعادة ولا ينبغي ان يفرط بحيث يورث القنوط فذلك
مذموم بل اذا غلب ينبغي ان يمزج الرجاء به ينبغي ان يغلب الخوف
الرجاء ما دام العبد مقارفا للذنوب فاما المطيع المتجرد لله
فينبغي ان يعتدل خوفه ورجاؤه مثل عمر رضي الله عنه حيث قال لو نودي
ليدخلن الجنة جميع الخلق الا رجل واحد لخفت ان اكون ذلك الرجل
ولو نودي ليدخلن النار جميع الخلق الا رجل واحد لرجوت ان اكون
انا ذلك الرجل واما اذا قرب الموت فالرجاء وحسن الظن بالله اولى
به قال عليه السلام لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه والرجاء
مخالف التمني فان من لا يتعاهد الارض ولا يبث البذر ثم ينتظر
الزرع فهو متمني مغرور وليس براج وانما الراجي من تعهد الارض
وسقاها وبث البذر وحصل البذر كل سبب يتعلق باختياره
ثم بقي يرجوا ان يدفع الله الصواعق والقواطع وان يمكنه من الحصاد
بعد الانبات ولذلك قال عز وعلا ان الذين امنوا والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور
رحيم وبالجملة فثمرة الرجاء الترغيب في الطلب وثمرة الخوف الترغيب

في الهرب

في الهرب ومن رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه واقل درجات
الخوف ما يحمل على ترك الذنوب والاعراض عن الدنيا وما لا يحمل
على ذلك فهو حديث نفس وخواطر لا اثر لها تشبه رقة النساء
ولا ثمرة لها بل الخوف اذا تم اثمر الزهد في الدنيا فلنذكر الزهد
ومعناه **الاصل الثالث في الزهد** وقد قال الله تعالى ولا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم
فيه ورزق ربك خير وابقى وقال من كان يريد حرث الاخرة نزد له
في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من
نصيب وقال في حق قارون فخرج على قومه في زينته قال الذين
يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو
حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل
صالحا فتبين ان هذا الزهد من ثمرات العلم وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح
وهمته الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره
بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمته الاخرة
جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا
ضيعته
في حاله وضيعته

ومن دائمة ولما سئل صلعم عن قوله من يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وعن
معنى الشرح قال النور اذا دخل القلب انشرح الصدر وانفسح
قيل وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال استحيوا من الله
حق الحياء قيل انا نستحيي فقال لا تبنون ما لا تسكنون وتجمعون
ما لا تاكلون وقال من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه وانطلق بها
لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار
السلام وقال لا يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يكون ان لا
يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشيء احب اليه من
كثرته وقال اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في
الآخرة وبصره بعيوب نفسه وقال ازهد في الدنيا يحبك الله تع
وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال من اراد ان يؤتيه
الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا

فصل

للزهد في الدنيا حقيقة واصل وثمرة اما حقيقته فهو عزوف النفس

وانزواؤها عنها طوعا مع القدرة عليها واصلها العلم والنور الذي
يشرق في القلب حتى ينشرح به الصدر ويتضح فيه ان الآخرة خير
وابقى وان نسبة الدنيا الى الآخرة اقل من نسبة خزفة الى جوهرة و
ثمرتها القناعة من الدنيا بقدر الضرورة وهو قدر زاد الراكب
والاصل نور المعرفة فيثمر حال الانزواء ويظهر على الجوارح بالكف الا
عن قدر الضرورة فزاد الطريق والضروري من زاد الطريق مسكن وملبس
ومطعم واثاث اما المطعم فله طول وعرض اما طوله فبالاضافة الى
الزمان واقصر درجاته الاقتصار على دفع الجوع في الحال فاذا دفع
غداء لم يدخر شيئا لعشائه واوسطه ان يدخر لشهر الى اربعين
يوما وادناه ان يدخر لسنة فان جاوز ذلك خرج عن جميع ابواب
الزهد الا ان لا يكون له كسب ولا يأخذ من الايدي كداود الطائي فانه
ملك عشرين دينارا فامسكها وقنع بها عشرين سنة فذلك لا يبطل
مقام الزهد ودرجته في الآخرة الا عند من شرط التوكل في الزهد
واما عرضه فاقله نصف رطل واوسطه رطل واعلاه مد و
الزيادة عليه تبطل رتبة الزهد واما الجنس فاقله ما يقوت ولو

[illegible] الرطل مائة و ثلاثون درهما

النخاله واوسطه خبز الشعير واعلاه خبز البر غير منخول فان نخل فهو
تنعم لا زهد واما الادام فاقله الخل والبقل والملح واوسطه الادهان
واعلاه اللحم وذلك في الاسبوع مرة او مرتين فان دام لم يكن صاحبه
زاهدا قالت عايشة رضي الله عنها كان ياتي اربعون ليلة وما توقد
في بيت رسول الله صلعم مصباح ولا نار وقيل ما شبع رسول الله صلعم منذ
قدم المدينة ثلثة ايام من خبز البر واما الملبس فاقله ما يستر
العورة ويدفع الحر والبرد واعلاه قميص وسراويل ومنديل من
الجنس الخشن ويكون بحيث ان غسل ثوبه لم يجد غيره فان كان صاحب
قميصين لم يكن زاهدا قال ابو ذر اخرجت عايشة رضي الله عنها كساء
ملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلعم في هذين وصلى
رسول الله صلعم في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه
اذهبوا بها الى ابن جهم الحديث وكان شراك نعله قد اخلق فابدل
بسير جديد فلما سلم عن صلوته قال اعيدوا الشراك الخلق فاني
نظرت اليه في الصلوة وكان قد احتذى نعلين جديدين فاعجبه
حسنهما فخر ساجدا فقال اعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية

ان يمقتني

ان يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى اول مسكين راه وقد عد في قميص
عمر رضي الله عنه اثنا عشر رقعة بعضها من ادم واشترى علي رضي الله عنه
في خلافته ثوبا بثلثة دراهم وقطع كمه من الرسغين وقال الحمد لله الذي
هذا من رياشه وقال بعضهم قومت سفيان ثوبيه ونعله بدرهم واربع
دوانق وقال علي رضي الله عنه ان الله عز وجل اخذ على
ائمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا
يزري بالفقير فقره واما المسكن فادناه ان يقنع بزاوية مسجد
او رباط كاهل الصفة واعلاه ان يطلب لنفسه موضعا خاصا او
حجرة اما بشراء او اجارة بشرط ان لا يزيد سعة على قدر الحاجة
ولا يرفع بنايه ولا يهتم بتجصيصه وفي الاثر من رفع بناءه
فوق ستة اذرع ناداه مناد الى اين يا افسق الفاسقين
ومات رسول الله صلعم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على
قصبة وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه مر بنا رسول الله صلعم ونحن
نعالج خصا فقال ان الامر اعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام
بيتا من خص فقيل له لو شئت لاتخذناه من الطين فقال هذا كثير

لمن يموت وقال صلى الله عليه وسلم من بنا فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيمة
وقال كل بناء وبال على صاحبه يوم القيمة الا ما اكن من حر وبرد
واما اثاث البيت ففيه ايضا درجات وادناها حال عيسى عليه السلام
اذ لم يكن معه الا مشط وكوز فرأى انسانا يمشط باصابعه فرمى المشط و
رأى آخر يشرب بيديه فرمى الكوز واوسطه ان يستعمل الجنس
الخشن واحدا لكل غرض ويجتهد ان يستعمل واحدا في اغراض وقال
عمر رضي الله عنه لعمير بن سعيد وهو امير حمص ما معك من الدنيا فقال
معي عصاي اتوكأ عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي
احمل فيها طعامي ومعي قصعتي آكل فيها واغسل رأسي وثوبي ومعي مطهرتي
احمل فيها شرابي وطهوري للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي
فقال صدقت وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم
الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا وكان فراش رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسادة من ادم حشوها ليف وعباءة خشنة فهذه سيرة — الذي ينام عليه
الزهاد في الدنيا فمن حرم هذه الرتبة فلا اقل من ان يتحرى عن قربها
ويجتهد ان يكون قربه منهم اكثر من قربه من المتنعمين في الدنيا فصل

الزهد

الزهد على درجات احداها ان يزهد ونفسه مائلة الى الدنيا و
لكنه يجاهدها وهذا المتزهد ليس بزاهد ولكن بداية الزهد التزهد
الثانية ان تنفر نفسه عن الدنيا ولا تميل اليها لعلمه بان الجمع بينها
وبين نعيم الآخرة غير ممكن فتسخى نفسه بتركها كما تسخى نفس من يبذل
درهما ليشتري جوهرة وان كان الدرهم محبوبا عنده وهذا زهد
الثالثة ان لا تميل نفسه الى الدنيا ولا تنفر عنها بل يكون وجودها
وعدمها عنده بمثابة واحدة ويكون المال عنده كالماء وخزائن الله
كالبحر فلا يلتفت قلبه اليه رغبة ونفورا وهذا هو الاكمل لان الذي
يبغض شيئا فهو مشغول به كالذي يحبه ولذلك ذم الدنيا عند رابعة
العدوية فقالت لولا قدرها في قلوبكم ما ذممتموها وحمل الى عائشة
رضي الله عنها مائة الف درهم فلم تنفر عنها ولكن فرقتها في يومها
فقالت خادمتها لو اشتريت بدرهم لحما تفطرين عليه فقالت لو
ذكرتني لفعلت وهذا هو الغناء وهو الكمل من الزهد ولكنه مظنة
غرور الحمقى اذ كل مغرور ربما تشبع في نفسه ان لا علاقة لقلبه
مع الدنيا وعلامة ذلك ان لا يدرك الفرق بين ان يسرق جميع ماله

او بشرى مال غيره فما دام يدرك التفرقة فهو مشغول به **فصل**
كمال الزهد هو الزهد في الزهد بان لا يعتد به ولا يراه منصبا فان
من ترك وظن انه ترك شيئا فقد عظم الدنيا اذ الدنيا عند ذوى
البصاير لا شيء وصاحبه كمن منعه عن دار الملك كلب على بابه فالقى
اليه لقمة خبز وشغله به ودخل دار الملك وجلس على سرير الملك
فالشيطان كلب على باب الله تعالى والدنيا كلها اقل من لقمة بالاضافة
الى الملك اذ اللقمة لها نسبة الى الملك اذ يفنى بامثالها والآخرة لا
يتصور ان تفنى بامثال الدنيا اذ لا نهاية لها **فصل** الزهد
باعتبار الباعث عليه على درجات احديها ان يكون باعثه
الخوف من النار وهذا زهد الخائفين **والثانية** وهى اعلى منه
ان يكون باعثه الرغبة في نعيم الآخرة وهذا زهد الراجين و
العابدين على الرجاء افضل منها على الخوف لان الرجاء يقتضي المحبة
الثالثة وهي اعلاها ان يكون الباعث عليه الترفع عن الالتفات
الى سوى الحق تنزيها للنفس منه واستحقارا لما سوى الله تعالى وهذا
زهد العارفين وهو الزهد المحقق وما قبله معاملة اذ يترك

صاحبها

صاحبها شيء عاجلا ليعتاض عنه اضعافه آجلا **فصل** الزهد باعتبار
ما فيه من الزهد على درجات وكماله الزهد في كل ما سوى الله تعالى في الدنيا
والآخرة ودونه الزهد في الدنيا خاصة دون الآخرة ثم يدخل
فيه كل حظ وتمتع في الدنيا من مال وجاه وتنعم ودون ذلك ان يزهد
في المال دون الجاه او في بعض الاشياء دون البعض وذلك ضعيف
لان الجاه الذ واشهى من المال فالزهد فيه اهم **فصل** الزهد
ان تنزوي عن الدنيا طوعا مع القدرة عليها اما ان انزوت
الدنيا عنك وانت راغب فيها فذلك فقر وليس بزهد ولكن
للفقر ايضا فضل على الغنى لانه منع عن التمتع بالدنيا فهذا هو افضل
ممن تمكن من الدنيا والتمتع بها حتى الفها واطمان اليها ولم يتجاف
قلبه عنها فيعظم الالم والحسرة عليهم عند الموت وتكون الدنيا كانها
جنة للغني وتكون كانها سجن للفقير اذ يشتهي الخلاص من الامها
والفقر من اسباب السعادة قال النبي عم ان الله تعالى يحمي عبده عن
الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه عن الطعام والشراب وقال
يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائها بخمس مائة عام وقال الخير

هذه الامة فقراؤها وقال اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار
الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى
عم يا رب من احباؤك من خلقك حتى احبهم لاجلك فقال كل فقير
واعلم ان الفقير ان كان قانعا اعني غير شديد الحرص على الطلب
فدرجته قريبة من درجة الزاهد وقال عم طوبى لمن هدي للاسلام وكان
عيشه كفافا وقنع به وقال عم الفقراء الصبر هم جلساء الله
تبارك وتع وقال احب العباد الى الله تع الفقير القانع واوحى الله
تع الى اسماعيل صلوات الله عليه وسلامه اطلبني عند المنكسرة قلوبهم
قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وعلى الجملة انما يعظم ثواب
الفقر عند القناعة فالصبر والرضى والصبر على الفقر مبدا الزهد
ولا يتم هذه المقامات الا بالصبر فلنذكر الاصل الرابع في الصبر
قال الله تع واصبروا ان الله مع الصابرين وجمع للصابرين بين
امور لم يجمعها لغيرهم فقال عز من قائل اوليك عليهم صلوات من
ربهم ورحمة واوليك هم المهتدون وقال تع ولنجزين الذين
صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال تع وجعلنا منهم

الى بيان

منهم

ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال تع انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب وذكر الله سبحانه في القران الصبر في نيف وسبعين
موضعا وقال صلعم الصبر نصف الايمان وقال اقل ما اوتيتم
اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من
قيام الليل وصيام النهار وقال الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل النبي عم
عن الايمان فقال الصبر وقال عيسى عم انكم لا تدركون ما تحبون
الا بصبركم على ما تكرهون فصل حقيقة الصبر ثبات باعث الدين
في مقابلة باعث الهوى وهو من خاصة الادمي الذي ركب من شعب
ملكية وبهيمية لان البهيمة لم يسلط عليها الا دواعي الشهوة والملايكة
لم يسلط عليهم الشهوة بل جردوا للشوق الى مطالعة جمال الحضرة
الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها وهم يسبحون الليل
والنهار لا يفترون فليس فيهم داعية الشهوة ولم يتصور الصبر
بملك ولا بهيمة بل الانسان سلط عليه جندان يتطاردان احدهما
من جند الله وملائكته وهو العقل وبواعثه والثاني من جنود الشيطان
وهي الشهوات ودواعيها وبعد البلوغ يظهر بواعث الدين والعقل

اذ يحمل على النظر الى العواقب ويبتدئ القتال جند الشيطان فان ثبت
باعث الدين في مقابلة باعث الهوى حتى غلبه فقد حصل مقام الصبر
اذ لا يتصور الصبر الا عند تعارض الباعثين على التناقض وذلك كالصبر
على شرب الدواء البشع اذ يدعو اليه داعي العقل ويمنع منه داعي الشهوة وكل
من غلبت عليه شهوته لم يجزم عليه ومن غلب عقله فصبر على مرارته
لينال الشفاء وشطر الايمان انما يتم بالصبر ولذلك قال النبي عم
الصبر نصف الايمان لان الايمان يطلق على المعارف والاعمال جميعا وساير التوحيد بصدق نبي عم
الاعمال في طرفي الكف والاقدام والتزكية والتحلية لا يتم الا بالصبر لان جملة
اعمال الايمان على خلاف الجهال باعث الشهوة فلا يتم الا بثبات باعث الدين
في مقابلته ولذلك قال الصوم نصف الصبر لان الصبر تارة يكون في مقابلة
داعي الشهوة وتارة يكون في مقابلة داعي الغضب والصوم هو كسر لداعية
الشهوة **فصل** الصبر له ثلث درجات بحسب ضعفه وقوته **الدرجة العليا**
ان تقمع داعية الهوى بالكلية حتى لا يبقى لها قوة للمنازعة ويتوصل اليها
بدوام الصبر وطول المجاهدة وهم الذين قيل لهم ان الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا واياهم ينادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك

راضية

راضية مرضية **الدرجة السفلى** ان تقوى داعية الهوى فتسقط منازعة
باعث الدين وتغلب الهوى ويسلم القلب لجند الشيطان وذلكم الذين
قيل فيهم ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
وعلامة شيئان احدهما ان يقول انا اشتاق الى التوبة ولكنها تعذرت
علي فلست اطمع فيها فهذا هو القانط وهو الهالك **الثاني** ان لا يبقى
فيه شوق الى التوبة ولكن يقول الله كريم رحيم مستغن عن توبتي فلا
تضيق الجنة الواسعة والمغفرة الشاملة عني وهذا المسكين
قد صار عقله اسير شهوته لا يستعمل الا في استنباط حيل قضاء
الشهوة فصار عقله كالمسلم الاسير بين الكفار يستسخرونه
في رعاية الخنازير وحفظ الخمر وحملها على العنق والظهر الى بيوتهم
فانظر كيف يكون حال العبد اذا اخذ اعز اولاد الملك وسلمه
الى اخس اعدائه حتى استرقه واستسخره ففي مثل حاله يكون قلوبهم
هذا الغافل المنهمك على الدنيا نعوذ بالله منها **الدرجة الوسطى**
ان لا ينقطع عن المحاربة ولكن يكون الحرب بينهما سجالا تارة له اليد الا التوبة
وتارة عليه اليد وهذا من المجاهدين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا بين الدرجة

شا الاله وعلامة هذا ان يترك من الشهوات ما هو اضعف ويعجز
عما هو اغلب وربما يغلبها في بعض الاوقات دون بعض وهو في جميع
الاحوال متحسر على عجزه ومستمر المعاداة الى مجاهدته وقالوا
ذلك هو الجهاد الاكبر ومهما اتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
وبالجملة فقد قصر عن البهيمة انسي لم يقاوم بقوة عقله شهوته
وقد ايد بالعقل وحرم عنه البهيمة ولذلك قال الله تعالى اولئك كا
الانعام بل هم اضل سبيلا **فصل** اعلم ان الحاجة الى الصبر عامة
في جميع الاحوال لان جميع ما يلقى العبد في هذه الحيوة لا يخلو عن
نوعين فانه اما ان يوافق هواه او يخالفه فان وافق هواه
كالصحة والسلامة والثروة والجاه وكثرة العشيرة فما احوجه الى
الصبر عنها فانه ان لم يضبط نفسه طغى واسترسل في التنعم واتباع
الهوى في شيء المستلذ وكذا المشتهى ولذلك قالت الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء
فلم نصبر ولذلك قيل الصبر على البلاء يصبر كل مؤمن ولا يصبر على العافية
الا صديق ومعنى الصبر فيها ان لا يركن اليها ويعلم ان كل ذلك وديعة

عنده

عنده وترجع على القرب وان لا ينهمك في الغفلة والتنعم ويؤدي حق
شكر النعمة وذلك مما يطول شرحه **النوع الثاني ما يخالف الهوى**
وذلك اربعة اقسام القسم الاول الطاعات والنفس تنفر
عن بعضها بمجرد الكسل كالصلوة ومن بعضها بالبخل كالزكوة ومن بعضها
بهما جميعا كالحج والجهاد والصبر على الطاعة من الشدائد ويحتاج
المطيع الى الصبر في ثلاثة احوال احدها اول العبادة بتصحيح الاخلاص
والصبر عن شوائب الرياء ومكايد الشيطان ومكايد النفس وغرورها
الثانية حالة العمل لئلا يتكاسل عن تحقيق ادابه بفروضه وسننه ويدوم
على شرط الادب مع حضور القلب ونفي الوسواس **الثالثة** بعد الفراغ
وهو ان يصبر عن افشائه للتظاهر به رياء وسمعة وكل ذلك من الصبر
الشديد على النفس **القسم الثاني** المعاصي وقد قال صلى الله عليه وسلم المجاهد من
جاهد هواه والمهاجر من هجر السوء والصبر عن المعاصي اشد لا سيما
عن معصية صارت عادة مألوفة اذ يتظاهر فيه على بواعث الدين
جندان جند الهوى وجند العادة فان انضم الى ذلك سهولة فعله
وخفة المؤنة فيه لم يصبر عنها الا الصديقون وذلك كمعاصي اللسان

فانها تقتضيه سهلة وذلك كالغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس
ويحتاج في جميع ذلك الى اشد انواع الصبر **القسم الثالث** ما لا يدخل تحت
باختيار العبد ولكن له اختيار في دفعه وتداركه كالذي ينال العبد من
غيره بيد او لسان فالصبر على ترك المكافاة تارة يجب
وتارة يستحب قال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا
اذا لم يصبر على الاذى قال الله عز وجل ولنصبرن على ما آذيتمونا
وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تع ودع اذاهم وتوكل على الله
وقال تع ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك
وكن من الساجدين **القسم الرابع** ما لا يدخل اوله واخره تحت
الاختيار كالمصائب بموت الاعزة وهلاك الاموال والمرض و
ذهاب بعض الاعضاء وساير انواع البلاء والصبر عليه من اعلى المقامات
قال ابن عباس رض الصبر في القرآن على ثلاث مقامات صبر على
اداء الفرائض فله ثلثماية درجة وصبر على محارم الله تع وله
ستماية درجة وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى وله تسعماية
درجة وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تع اذا ابتليت عبدا ببلاء

وصبر

آبرأته صح

فصبر ولم يشتك الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من
دمه فان ابرأته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال النبي عم
قال الله تع اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله
او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان
انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال عم انتظار الفرج بالصبر
عبادة وقال عليه السلام من اجلال الله تع ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك
ولا تذكر مصيبتك فقد عرفت انك لا تستغني عن الصبر في جميع اوقاتك
وبه يظهر انه شطر الايمان وشطره الآخر فيما يتعلق بالاعمال وهو الشكر
عند قال صلى الله عليه الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وهذا
باعتبار النظر الى الاعمال والتعبير بالايمان عنها **الاصل الخامس**
الشكر وقد قال الله تع وقليل من عبادي الشكور وقال لئن شكرتم
لازيدنكم وقال واشكروا لي ولا تكفرون وقال وسيجزي الله
الشاكرين وقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم
وقال النبي عم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر عند الله تع
وكان رسول الله صلعم يبكي في تهجده فقالت عائشة رضي الله عنها وما

بيكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون
عبدا شكورا وقال ينادي يوم القيمة ليقم الحامدون فالذين
يشكرون الله تع على كل حال وقال الحمد رداء الرحمن فصل اعلم ان
الشكر من المقامات العالية وهو اعلى من الصبر والخوف والزهد
وجميع المقامات التي سبق ذكرها لانها ليست مقصودة في
انفسها وانما يراد لغيرها فالصبر يراد منه قمع الهوى والخوف
سوط يسوق الخائف الى المقامات المقصودة المحمودة والزهد
هرب من العلائق الشاغلة عن الله تع واما الشكر فمقصود في نفسه
ولذلك لا ينقطع في الجنة وليس فيها توبة ولا خوف ولا صبر ولا زهد
والشكر دائم في الجنة ولذلك قال الله تع وآخر دعواهم ان الحمد لله
رب العالمين وتعرف ذلك بان تعرف حقيقة الشكر وانه ينتظم
من علم وحال وعمل اما العلم فهو الاصل ويثمر الحال والحال يثمر
العمل فهذه ثلثة اركان الاول العلم بالنعمة والمنعم والعلم بان
كلها من الله تع وهو منفرد بجميعها والوسائط كلهم مسخرون مقهورون
وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد فانهما داخلان فيه بل الرتبة
شكر

يثمر الحال يثمر العمل

الاولى في معارف الايمان التقديس ثم اذا عرفت ذاتا مقدسة وعرفت
انه لا مقدس الا واحد وهو التوحيد ثم اذا علمت ان كل ما في العالم فهو موجود
من ذلك الواحد والكل نعمة منه خاصة فهو الحمد والى هذا الترتيب الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال
لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلثون حسنة
وهذا لان التقديس والتوحيد داخلان في الحمد وزيادة وهذه الدرجات
سبحانه
بازاء هذه المعارف واما ذكر اللسان ففضلها بحسب صدورها
عن المعرفة او تجديدها للاعتقاد في القلب فان الفم آلة لازالة الغفلة
لتنمي اثرها واعلم انك اذا اعتقدت ان لغير الله دخلا في النعمة
الواصلة اليك لم يصح حمدك ولم تتم معرفتك وشكرك وكنت كمن
يخلع عليه الملك وهو يرى ان لعناية الوزير دخلا في خلعة الملك
او في ايصالها اليه او في تيسيرها فكل ذلك اشراك في النعمة ويتوزع
فرحك في النعمة عليهما نعم لو رايت النعمة الواصلة اليك بتوقيع الملك
بقلمه فذلك لا ينقص شكرك لانك تعلم ان القلم مسخر له لا دخل له في
نفسه وكذلك لا التفت فلتكن الى الفرح بالقلم والشكر له وكذلك قد لا

يلتفت الى الخازن والوكيل اذ يعلم انهما مضطران الى العطاء بعد الامر مسخران لا مدخل لهما بانفسهما في النعمة فكذلك من انكشف له
علم ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره كالقلم والكاغذ للكاتب
في التوقيع وان قلوب الخلق خزائن لله تعالى ومفاتيحها بيد الله
فيفتحها بان يسلط عليها دواعي جازمة حتى يعتقد ان خيرها
في البذل فمهما اعتقد ذلك لا يستطيع ترك البذل فيكون مضطرا الى
الاختيار لما سلط عليه من دواعي الاختيار فانه لا يعطي احد شيا الا
لغرض نفسه ليستفيد به في الآجل ثوابا او في العاجل ثناء وذكرا
او مجيدا لكرم او عالم يعلم ان منفعته في منفعتك فلا يعطيك فاذا لم
يكن منعما عليك اذ يسعى لنفسه انما المنعم عليك من سخره بتسليط
هذه الدواعي عليه وقدر في نفسه ان غرضه مشروط بالاداء والانعام
فان عرفت الامور كذلك كنت موحدا او تصور منك الشكر
هذه المعرفة هي عين الشكر قال موسى عليه السلام في مناجاته الهي
خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك قال علم ان
ذلك مني فكان معرفته ذلك شكرا الركن الثاني من الشكر الثمرة

المعرفة وهي الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والاجلال وهو ان من يرسل اليه
بعض الملوك فرسا فيتصور ان يفرح به من ثلثة اوجه احدها من حيث انه
ينتفع بالفرس او من حيث يستدل به على عناية الملك بشانه ولانه
ينعم عليه بما هو اعظم منه او من حيث ان الفرس يكون مركبا له حتى
ينتهي به الى حضرة الملك وخدمته والاول ليس من الشكر في شي فانه
فرح بالنعمة لا بالمنعم والثاني داخل في الشكر لكنه ضعيف بالاضافة
الى الثالث فكمال الشكر ان يكون الفرح بما يفتح الله تعالى من نعمه لا بالنعمة
من حيث هي نعمة بل بها من حيث انها وسيلة اليه اذ بنعمته تتم الصالحات
وعلامته وهذا ان لا يفرح بكونه تلهيه عن ذكر الله تعالى بل يغتم بها ويفرح
بما يزوي الله تعالى عنه من شغل الدنيا وفضولها وهذا الكمل الشكر
فمن لم يستطع فعليه بالثاني الركن الثالث العمل وذلك بان يستعمل
نعمة الله تعالى في محابه لا في معاصيه وهذا لا يقوم به الا من عرف حكمة الله
تعالى في جميع خلقه وانه لماذا خلق كل شي وشرح ذلك يطول وقد
ذكرنا منه طرفا قليلا في الاحياء ولنذكر مثلا ان العلم مثلا الذي عندنا نعمة
منه فشكرها ان يستعملها في مطالعة كتاب الله وكتب العلم ومطالعة
علم التفسير والحديث

السموات والارض ليعتبر بها ويعظم خالقها وان يستر كل عورة يراها
من المسلمين ويستعمل اذنه في سماع الذكر وما ينفعه في الآخرة ويعرض
عن الاصغاء الى الهجر والفضول ويستعمل اللسان في ذكر الله تعالى والحمد
في اظهار الشكر منه دون الشكوى ومن سئل عن حاله فشكا فهو عاص
لانه شكا ملك الملوك الى عبد ذليل لا يقدر على شيء فان شكر فهو
مطيع واما شكر القلب فاستعماله في الفكر والذكر والمعرفة واضمار
الخير للخلق وحسن النية وكذلك في اليد والرجل وسائر الاعضاء و
الاموال وغير ذلك مما لا يحصى فصل اعلم انه انما يتمكن من كمال الشكر
من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه يرى في كل شيء حكمة
وان سر محبوب الله فيه ومن لم ينكشف له ذلك فعليه باتباع
السنة وحدود الشرع فتحتها اسرار الشكر وليعلم انه لو نظر الى
غير محرم مثلا فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس وكل نعمة لا يتم
النظر اليها الا بها فان الابصار انما يتم بالعين ونور الشمس و
الشمس انما تتم بالسموات فكانه كفر نعم الله تعالى في السموات والارض
وقس على هذا كل معصية فانها انما تتمكن باسباب يستدعي

وجود

99

وجود جميعها خلق السموات والارض ولهذا غور عميق اشرنا اليه
في كتاب الشكر من كتاب الاحياء ويكفيك هاهنا مثال واحد وهو ان
الله تعالى خلق الدراهم والدنانير لتكون حاكمة في الاحوال كلها يعدل
بها القيم ولولاها لتعذرت المعاملات اذ لا يدرى كيف يشترى
الثياب بالزعفران والدواب بالاطعمة فانها لا مناسبة بينهما
وانما يشتركان في روح المالية شيئا ومقدارا والحاكم هو النقدان
فمن كنزهما فكمن حبس حاكما من حكام المسلمين حتى تعطلت الاحكام
ومن اتخذ منهما آنية فكانه كمن استعمل حاكما من حكام المسلمين
في الحياكة والفلاحة التي يقدر عليها كل احد حتى تعطل الحكم وذلك
اشد من الحبس ومن اربى فيهما وجعلهما مقصد تجارته بالمصارفة
بين جيدهما ورديهما كان كمن شغل الحاكم عن الحكم فاتخذه مسخرا
لنفسه يحتطب له ويكنس له ويكتسب له القوت وكل ذلك ظلم
وتغيير لحكم الله تعالى في خلقه وعباده ومضادة الله تعالى في حكمته ومن
لا ينكشف له بنور البصيرة هذه الاسرار عرف من لسان الشرع
صورته دون معناه وقيل له الذين يكنزون الذهب والفضة ولا

والا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم الى قوله تكنزون
وقيل من شرب في اناء من ذهب او فضة فكانما يجرجر في بطنه
نار جهنم وقيل الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان من المس الاية فالظالمون يقفون على الحدود والعر
اسرارها والعارفون اذا اطلعوا على الاسرار بانفسهم وشاهد
شواهد الشرع ازدادوا نورا على نور والعميان الجاهلون
يحرمون الوقوف على الحدود والعثور على الاسرار جميعا فلا هم
كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام ومنهم الذين قال فيهم ولكن حق
القول مني الاية وقال تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن
وقال ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا الى قوله فنسيتها
وكذلك اليوم تنسى وايات الله حكمته في خلقه وقد القيت الى الخلق
على لسان الانبياء صلوات الله عليهم كما فصلت في جملة الشريعة من اولها
الى آخرها وما من حد من حدود الشرع الا وفيه سر وحاجة وحكمة
يعرفها من يعرفها وينكرها من يجهلها او [illegible] فليطلب
من كتاب الشكر ولا يتصور تمام الشكر الا ممن قام بحق الله تعالى في ... مخلق[?]

الرغبة فيه لغير فلنذكر الاخلاص والصدق **الفصل السادس**
في الاخلاص والصدق اعلم ان للاخلاص حقيقة واصلا وكمالا فهذه ثلثة
اركان واصلها النية اذ فيها الاخلاص وحقيقته نفي الشوب عن النية
وكماله الصدق **الركن الاول** النية وقد قال الله تعالى ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ومعنى النية ارادة
وجهه وقال صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات الحديث وقال ان الملائكة ترفع
صحيفة عمل العبد فيقول الله تعالى الغوها فانه لم يرد بها وجهي انه نوى
به كذا وكذا فيقول الملائكة انه لم يعمل منها شيئا فيقول الله عز وجل
انه نواه انه نواه وقال صلى الله عليه وسلم الناس اربعة رجل اتاه الله تعالى علما
ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو اتاني الله مثل ما اتاه لعملت
كما يعمل فهما في الاجر سواء ورجل اتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علما فهو
يخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو اتاني الله تعالى ما اتاه لعملت كما يعمل
فهما في الوزر سواء وقال من غزا ولا ينوي الا عقالا فله ما نوى
ويقال ان رجلا في بني اسرائيل مر بكثبان رمل في ايام قحط فقال
في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى

الى نيتهم قيل له ان الشيخ قد قبل صدقتك وشكر حسن نيتك والعطا لك
ثواب ما نويت لو كان طعاما فتصدقت به وقال صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان
بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل ما بال المقتول فقال اراد
قتل صاحبه وقال من تزوج امراة على صداق وهو لا ينوي اداءه
فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق
فصل حقيقة النية هي الارادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن المعرفة
وبيانه ان جميع اعمالك اي افعالك لا تصح الا بقدرة وارادة وعلم والعلم مهيج
الارادة والارادة باعثة للقدرة والقدرة خادمة الارادة بتحريك
الاعضاء مثاله ان الله خلق فيك شهوة الطعام الا انها قد تكون فيك لكن
كانها نائمة فاذا وقع بصرك على طعام حصلت المعرفة بالطعام فانتهضت
الشهوة بحصول المعرفة المستفادة من طليعة البصر وكما خلق فيك
شهوة الى الاشياء الحاضرة خلق فيك ايضا ميلا الى اللذات الاجلة
ينتهض ذلك الميل بشان المعرفة الحاصلة من العقل والقدرة ايضا
تخدم هذا الميل بتحريك الاعضاء فالنية عبارة عن الميل الجازم
الباعث للقدرة والذي يغزو وقد يكون الباعث له ميل الى المال

فذلك

فذلك نيته وقد يكون الباعث ميل الى ثواب الاخرة فذلك نيته
وان النية عبارة عن الارادة الباعثة وهي احد اجزائها فتصفية
الباعث عن الشوب فصل اذا حصل باعث النية بالعلم فالنية والعمل
بهما تمام العبادة فالنية احد جزئي العبادة لكنها خير الجزئين لان
الاعمال بالجوارح ليست مرادة الا لتاثيرها في القلب ليميل الى الخير
وينفر عن الشر فيتفرغ للفكر والذكر الموصلين الى الانس
والمعرفة اللذين هما سبب سعادته في الاخرة فليس المقصود من
وضع الجبهة على الارض وضع الجبهة على الارض بل خضوع القلب
لكن القلب يتاثر باعمال الجوارح وليس المقصود من الزكوة ازالة
الملك بل ازالة رذيلة البخل وهو قطع علاقة القلب من المال وليس المقصود
من الضحية لحومها ولا دماؤها لكن اشتعار القلب للتقوى
بتعظيم شعائر الله والنية عبارة عن نفس ميل القلب الى الخير فهو في ذاته
فتمكن من صفة القلب المقصود فهو خير من عمل الجوارح الذي انما يراد
منه سرايته الى القلب المقصود فهو الاصل ولذلك يؤثر جميع
اعمال القلب دون الجوارح في التاثير او عمل الجارحة دون حضور القلب

هباءً ولا اثر له ومهما قصد معالجة المعدة بما يصل من الادوية بالشرب
اليها انفع الاحالة مما يطلى به ظاهر المعدة ليسرى اليها اثره
وكذلكا اذا لم ينته اثر الطلي الى المعدة كان باطلا وبهذا التحقيق
يعرف سر قوله صلعم نية المؤمن خير من عمله **فصل** اذا عرفت
فضل النية وانها تحل حدقة المقصود وتؤثر فيها فاجتهد
ان تستكثر من النية عن قلب في جميع اعمالك حتى تنوي بعمل واحد نيات
كثيرة ولو صدقت رغبتك هديت الطريقة ويكفيك مثال واحد
وسواق الدخول في المسجد والقعود فيه عبادة واحدة ويمكن ان
تنوي فيه ثمانية امور **اولها** ان تعتقد انه بيت الله وان داخله
زائر الله تع فتنوي ذلك قال عم من قعد في المسجد فقد زار الله
تع وحق على المزور اكرام زائره **ثانيها** نية المرابطة لقوله تع وصابروا
ورابطوا وقيل معناه انتظار الصلوة بعد الصلوة **ثالثها** كف
السمع والبصر والاعضاء عن الحركات المعتادة فانه نوع صوم قال
صلى الله عليه وسلم رهبانية امتي القعود في المساجد **ورابعها** الخلوة
ودفع الشواغل للزوم السر للفكر في الاخرة ولبقية الاستعداد
له

الاعتكاف ومعناه صح

لها

لها **وخامسها** التجرد للذكر وسماعه او استماعه لقوله عم من غدا الى
المسجد يذكر الله تع ويذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تع **وسادسها**
ان تقصد افادة علم وتنبيه من يسيء الصلوة ونهيا عن منكر وامرا
بمعروف حتى يتيسر بسببه خيرات فتكون شريكا فيها **وسابعها**
ان يترك الذنوب حياء من الله عز وجل بان تحسن نيته في نفسه وقوله
وعمله حتى يستحيي منه من رآه عبد ان يفارق ذنبا **وثامنها** ان تستفيد
اخا في الله فان ذلك غنيمة وذخيرة لدار الاخرة والمسجد معشش
اهل الدين المحبين لله وفي الله وقس على هذا ساير الاعمال فاجتماع
هذه النيات تزكوا الاعمال وتلتحق باعمال المقربين كما ان بنقيضها
يلتحق باعمال الشياطين كمن يقصد من القعود في المسجد التحدث
بالباطل والتفكه باعراض الناس ومجالسة اخوان اللهو واللعب
وملاحظة من يجتاز به من النسوان والصبيان ومناظرة من ينازعه
من الاقران على سبيل المباهات والمرايات باقتناص قلوب
المستمعين لكلامه وما يجري مجراه وكذلكا ينبغي ان تعقل
في المباحات من حسن النية ففي الخبر ان العبد يسئل يوم القيمة

عنه كما نهى عنه عمر كحل عينيه وفتات الطين باصبعيه وهن لبسه
ثوب أخيه ومثال النية في المباحات أن من يتطيب يوم
الجمعة يمكنه أن يقصد التنعم بلذته والتفاخر باظهار ثروته
او التزويق للنساء واخدان الفساد ويقصد ان ينوي
باتباع السنة وتعظيم بيت الله تعالى واحترام يوم الجمعة ودفع
الأذى عن غيره بدفع الرائحة الكريهة وايصال الراحة اليهم
بالرائحة الطيبة وحسم باب الغيبة اذا شموا منه رائحة كريهة
والى الفريقين الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من تطيب لله
جاء يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء
يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة

فصل

اعلم ان النية
لا تدخل تحت الاختيار فلا ينبغي ان تغتر فتقول بلسانك وقلبك
نويت عند القعود في المسجد كذا او كذا وتظن انك قد نويت
اذ عرفت قبل ان النية هي الباعث المحرك الذي لولاه لم يتصور
وقوع العمل والنية المتكلفة كقول القائل نويت ان احب فلانا
واعشقه واعظمه او نويت ان اعطش او اجوع او اشبع فان الكل

هذه

هذه دواعي وصوارف وتحققها اسبابها اذ لا يتصور حصولها دون
اسبابها وقول القائل نويت فعلها قبل تحققها حديث نفس لا نية فمن
غلب عليه لغلبة شهوة الوقاع من اين ينفعه قوله نويت الوطء
لحراثة الولد وتكثير عدد من به المباهاة بل لا تظفر بانبعاث
هذه النيات في قلبك الا اذا قوي ايمانك وتمت معرفتك بحقارة
الحظوظ العاجلة وعظم ثواب الآخرة حتى اذا غلب ذكره عليك انبعثت
منك الرغبة ضرورة في كل ما هو وسيلة الى ثواب الآخرة وان لم ينبعث
فلا ينبغي لك ولهذا لمثل هذا توقف السلف في جملة من الخيرات
حتى روي ان محمد بن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس
تحضرني النية وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجد له نية وقال بعضهم انا
في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد ومن عرف
حقيقة النية وعلم انها روح العمل فلا يتعب نفسه بعمل لا روح
له وتحقيق ذلك ان المباح قد يصير افضل من العبادة اذا حضرت
فيه النية فمن له نية في الاكل والشرب ليقوى على العبادة وليس
تنبعث نيته للصوم في الحال فالاكل اولى له من العبادة

وعلم انه لو نام لعاد نشاطه فالنوم افضل له بل لو علم مثله ان
التردد بدعابة وحديث مباح مزاح في ساعة يرد نشاطه
فذلك افضل له من الصلوة مع الملالة قال صلى الله عليه وسلم ان الله
لا يمل حتى تملوا وقال ابو الدرداء اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو
فيكون ذلك عونا لي على الحق وقال علي رض روحوا النفوس فانها
اذا اكرهت عميت وهذه دقايق الظاهريون من الفقهاء كما ان
الضعيف من الاطباء معالجة المحرور بالثلج والحاذق منهم قد يامر به
ليعيد قوة المريض حتى يحتمل الدواء النافع بعده الركن الثاني
في اخلاص النية وقد قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء وقال الله تعالى الا لله الدين الخالص وقال الا الذين
تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال النبي
عم قال الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعه قلب من احببت
من عبادي وقال لمعاذ اخلص العمل يجزك منه القليل وقال ما من عبد
يخلص العمل اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على
لسانه فصل حقيقة الاخلاص تجرد الباعث الواحد وتضاده

الاشراك

الاشراك ومهما يشترك باعثان وهو كل ما يتصور ان يمازجه غيره
فان صفي من كل شوب يسمى مخلصا وقد عرفت ان النية هي الباعثة
فمن لا يعمل الا للدنيا فهو مخلص ومن لا يعمل الا لله فهو مخلص و
لكن خصص الاسم باحد الجانبين بالعادة كالالحاد فانه الميل و
لكن بالميل الى الباطل وزوال الاخلاص بشوائب الدنيا وقد ذكرناه
ولكن قد يزول ايضا باغراض اخرى كالصايم قد يقصد مع العبادة
ان ينتفع بالحمية الصالحة الحاصلة بالصوم وقد يقصد بالعتق
ان يتخلص من مؤنة العبد وسوء خلقه والحاج ليصح مزاجه بحركة
السفر او يهرب من مشقة تعهد العيال او من ايذاء الاعداء او
من التبرم بالمقام مع الاهل او يتعلم العلم ليسهل عليه طلب
المعاش او يكون محروسا بعز العلم عن الظلم او يكتب مصحفا
ليجود خطه او يحج ماشيا ليخفف مؤنة الكراء او يتوضأ
ليتنظف او يغتسل لتطيب رائحته او يعتكف ليخف عليه كراء
المسكن او صام ليخفف عن نفسه تعب الطبخ وشراء الطعام او يتصدق
ليدفع عن نفسه ابرام السائل او يعود مريضا ليعاد اذا مرض فهذه

الا زحمة

الأغراض في العمل فقد ذهب الإخلاص وذلك عسير جدا وقد تتجرد
وقد تشوب قصد العبادة شوبا خفيا فإذا خطر شيء من هذه الأغراض
في العمل فقد ذهب الإخلاص وذلك عسير جدا ولذلك قال بعضهم
في إخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن ذلك عزيز وقال أبو سليمان
الداراني طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله
عز وجل وكان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس أخلصي
تخلصي فصل اعلم أن امتزاج هذه الشوائب على مراتب فإنها
قد تغلب وقد تكون مغلوبة وقد تكون مساوية لقصد العبادة
ولا تمحو أصل الثواب في المباحات مهما بقي شوب من إرادة الله تع
عز وجل له ثواب بقدر ذلك الشوب والباقي لا ثواب عليه فأما
إذا كان في عبادة أمر بأن يخلصها لله تع فإن كان الشوب غالبا
بطلت العبادة وإن كان مساويا أو مغلوبا أبطل الإخلاص ولكن
هل يتوقف انعقاد العبادة وحصول أصلها على انتفاء الشوائب
كلها فيه نظر أشرنا إليه في الرياء ويطلب استقصاؤه من كتاب
الإحياء الركن الثالث الصدق وهو قرين الإخلاص قال الله تع

رجال

رجال صدقوا ما عاهدوا الله الآية وقال النبي صلعم إن الرجل ليصدق
ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وقال الله تع واذكر في
الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا ويكفي بفضيلة الصدق أن
يدرك به فضيلة الصديقين واعلم أن للصدق مراتب ستا من
بلغ في جميعها بلغ رتبة الكمال استحق اسم الصديق أولها
الصدق في القول في جميع الأحوال ما يتعلق بالماضي والمستقبل
والحال ولهذا الصدق كمالان أحدهما الحذر عن المعاريض أيضا
تفهيم وإن كان صدقا في نفسه فيفهم خلاف الحق والمحذور من الكذب
تفهيم خلاف الحق إذ يكتسب القلب صورة معوجة كاذبة بإزاء
كذب اللسان وإذا مال وجه القلب عن الصحة بالإعوجاج لم يتجل
الحق له على الصحة حتى لا يصدق رؤياه والمعاريض لا تتوقع في
هذه المحذور لأنه صدق في نفسه لكن تتوقف في المحذور الثاني وهو تجهيل
الغير فلا ينبغي أن يفعل ذلك إلا لغرض صحيح وكماله الثاني أن يراعي
الصدق في ألفاظه التي يناجي بها الله تع فإذا قال وجهت وجهي للذي ... وفي
قلبه في تلك الحالة شيء سوى الله عز وجل فهو كاذب وإذا قال إياك نعبد

إلا لحاجة
الكذب

وسومع ذلك حب الدنيا او لنفسه او لغيره لم يكن محققا صدق
هذه الكلمة في القيامة في اكرمه قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال نبينا
بعض عبيد الدنيا والدرهم. الصدق الثاني في النية وهو ان
يتخلص عن دائبة الحظوظ فان كان فيه شوب فقد فات الصدق
لله تعالى يقال هذا صادق الحموضة وصادق الحلاوة اذا كان محضا
فيرجع هذا الى الاخلاص. والصدق الثالث في العزم فان
العبد قد يعزم على التصدق ان رزق مالا او على العدل ان رزق
ولاية وعزمه تارة يكون مع ضعف وتردد وقد يكون جزما
قويا لا تردد فيه فالجزم القوي يسمى صدقا صادقا وقالها
وجاء عمر رضي الله عنه حيث قال لان اقدم فتضرب عنقي
احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر ودرجات عزم
الصديقين في القوة قد تتفاوت واقصاها ان ينتهي الى
الرضا بضرب الرقبة دون الحقيقة. والصدق الرابع الوفاء
بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم اولا ولكن عند الوفاء ربما تتوانى
عن كمال التحقيق لان المؤنة في العزم خفيفة وانما الشدة في التحقيق

خفيفة هينة ... لذلك

منهم من

ولذلك قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال ومنهم من
عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون الى قوله فاعقبهم
نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا
يكذبون. الصدق الخامس في الاعمال بان يجتهد حتى لا يدل على
شيء من الظاهر او الباطن لا يتصف به ومعناه استواء السريرة
والعلانية فاما شيء على هدوء يدل بحكمه على انه ذو وقار في باطنه
فان لم يكن كذلك في الباطن في النعت فلعله لا ان يخيل الى الناس انه
ذو وقار في باطنه فذلك رياء وان لم يلتفت الى الخلق فلعله
ولكنه غافل فليس ذلك برياء ولكن يفوت به الصدق ولذلك
قال عم اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة وقال
عبد الواحد كان الحسن البصري اذا امر بشيء كان من اعمل الناس
به واذا نهى عن شيء كان من اترك الناس له ولم ار قط احدا اشبه
سريرته بعلانيته منه. الصدق السادس وهو اعلى ابواب الصدق
في مقامات الدين كالخوف والرجاء والحب والزهد والتوكل

لا يدل على

اجعل

علانيتي

وغيرها فان لهذه المقامات اوائل ينطلق الاسم بها ولها
حقايق وغايات اذ يقال هذا هو الخوف الصادق وهي الشهوة
الصادقة ولذلك قال الله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون وقال تع ولكن البر
من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله هم الصدقوا فمن [illegible] رحابة
من تحقق في جميعها فهو صديق ومن لم يصب بعضها
فمرتبته بقدر صدقه ومن جملة الصدقة تحقيق القلب بان
الله هو الرزاق والتوكل عليه فلنذكره الاصل الثامن
في التوكل قال الله تع وعلى الله فليتوكل المتوكلون
وقال تع وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال ان الله يحب
المتوكلين وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال
اليس الله بكاف عبده وقال ان الذين تعبدون من دون الله
لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق وقال
[illegible] لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال من انقطع الى الله كفاه

الله

اهله

الله تع كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها
وكان رسول الله صلعم اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلوة ويقول
بهذا امرني ربي فقال وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها
لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى فصل حقيقة
التوكل عبارة عن حالة تصدر من التوحيد يظهر اثرها على الاعمال وهي
ثلثة اركان المعرفة والحال والعمل الركن الاول المعرفة وهي
الاصل واعني بها التوحيد فانه انما يتوكل على الله من لا يرى فاعلا
سوى الله وكمال هذه المعرفة يترجمه قولك لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اذ فيه ايمان
بالتوحيد وكمال العزة والقوة والحكمة التي يستحق بها الحمد فمن قال
ذلك صادقا مخلصا فقد تم توحيده وثبت في قلبه الاصل الذي
منه ينبعث حال التوكل واعني بالصدق ان يصير معنى القول
وصفا لازما له غالبا على قلبه لا يتسع لغيره فصل هذا
التوحيد له لباب وقشران [illegible] اربع [illegible] اللوز له لب [illegible]
لب لبه والقشر العلي قشر قشره فالقشرة العليا القول

لا اله الا الله

والقشرة السفلى قشره

[illegible]

باللسان المجرد والثانية الاعتقاد بالقلب جزما وهو درجة عوام الخلق
ودرجة المتكلمين اذ لا يتميزون عن العوام الا بمعرفة الحيلة في دفع
تشويش المبتدعة عن هذه الاعتقادات الثالثة وهي اللب ان ينكشف
له بنور الله عز وجل حقيقة هذا التوحيد وسره بالحقيقة وذلك
بان يرى الاشياء الكثيرة ويعلم انها بجملتها صادرة عن فاعل واحد
على الترتيب وذلك بان يعرف سلسلة الاسباب وكيفية تسلسلها
وارتباط اول السلسلة بمسبب الاسباب وصاحب هذا المقام بعد
في تفرقة لانه يرى الافعال وكثرتها وارتباطها بالفاعل الرابعة
وهي لب اللب ان لا يرى في الوجود الا واحدا ويعلم ان الموجود
بالحقيقة واحد وانما الكثرة فيه في حق من تفرق نظره كالذي يرى
من الانسان مثلا رجله ثم يده ثم وجهه ثم راسه فيغلب عليه كثرته فان
راى الانسان جملة واحدة لم يخطر بباله الاحاد بل كان كمن يرى الشيء
الواحد فكذلك الموحد لا يفرق نظره بين السماء والارض و
سائر الموجودات بل يرى الكل في حكم الشيء الواحد وهذا غور
ويستدعي كشفه تطويلا فاطلبه من كتاب التوحيد والتوكل من

الاحيا

في التوحيد انما يقع ص

الاحياء لتقف على ما تلوحات منه الفنا في هذا التوحيد وذكر بان
يكون مستغرقا بالواحد الحق حتى لا يلتفت قلبه لا اليه ولا الى نفسه
فان نفسه من حيث هي نفسه غير الله وان لم يتحقق معنى الغيرية بنظر آخر
واعتبار على وجه آخر فصل حقيقة التوكل انما يستدعي توحيد
الفعل ولا يستدعي الفنا في توحيد الذات بل المتوكل يجوز ان
يرى الكثرة والاسباب والمسببات ولكن ينبغي ان يشاهد ارتباط
السلسلة بمسببها وما عسى الآن يخفى عليك فيما يدخل فيه اختيار
الادميين فانك اذا رايت المطر سببا في النبات فتعلم ان المطر
مسخر بواسطة الغيم والغيم مسخر بواسطة الريح والبخر والجبال الا طوعان
وكذلك الجبال جمادات مسخرة الى ان ينتهي الى الاول لا محالة وان كنت بوفي
لا تعرف عدد الوسائط فلا يضرك ذلك وانما الذي يخفى عليك افعال
الادميين فانك تقول من المعطي طعاما او انما يطعمني بالاختيار
ان شاء اعطى وان شاء منع فكيف لا اراه فاعلا وانما شغلك في
الالتفات اليه مثل النملة ترى سواد الخط على البياض فتحصل في حركة
القلم فتضيف ذلك الى القلم اذ حدقتها الصغيرة الضعيفة لا تمتد الى المرقوم

الى الاصبع ومنها الى اليد ومنها الى القدرة المحركة لليد ومنها الى
الى الارادة التي القدرة مسخرة لها ومنها الى المعرفة التي توقف
انبعاث الارادة وانجزامها عليها ومنها الى صاحب القدرة والعلم
والارادة فكذلك انت تضيف افعال العباد الى اراداتهم ومعرفتهم
وقدرتهم اذ ليس يمتد نظرك الى العلم الذي يسطر المعرفة به
في الواح القلوب ومنه الى الاصابع التي تتقلب قلوب العباد ومنها
الى اليد التي بها خمرت طينة آدم ومنها الى القدرة التي يتحرك اليد
لتخمير الطينة ومنها الى القادر منه الذي منه يبدأ واليه يعود
وذلك انك لا تعرف معنى قول النبي صلعم ان الله خلق آدم على صورته
ولا معنى قوله تعالى خمرت طينة آدم بيدي ولا معنى قوله تعالى علم بالقلم
علم الانسان ما لم يعلم فانك لا تعلم قلما الا من قصب ولا يدا واصابع
الا من لحوم وعظام ولا صورة الا للالوان والاشكال فان انكشف
لك ذلك فهمت انك اذ رميت ما رميت ولكن الله رمى حيث سلط
عليك دواعي جازمة ومعرفة دالة على القطع بان خيرك
في الرمي مثلا حتى انبعثت القدرة التي انقدرت عليها خادمة

للارادة
والمعرفة خدمة بالتسخير والاضطرار وعلمت انك مضطر الى الخير في
الاختيار فتفعل ان شئت ذلك وتشاء ان شئت اي الله شئت ام ابيت
وهذا الان فيه سر تحترك فاعرف الجبر والاختيار وبوهم تناقض
التوحيد وتكليف الشرع وقد شرحنا في كتاب التوحيد والتوكل
والشكر من كتب الاحياء فاطلبه ان كنت من اهله فصل لا يكمل الايمان
بتوحيد الفعل والذات حتى انا ان حالة التوكل حتى يضاف اليه
الايمان بالرحمة والجود والحكمة اذ به يحصل الثقة بالوكيل الحق وهو
ان تعتقد جزما وينكشف لك بالبصيرة ان الله تعالى لو خلق الخلائق
كلهم على عقل اعقلهم بل على اكمل ما يتصور ان يكون عليه حال العقل
ثم زادهم اضعاف ذلك علما وحكمة ثم كشف لهم عواقب الامور
واطلعهم على اسرار الملكوت ولطايف الحكمة ودقايق الخير
والشر ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما دبروه
باحسن مما هو عليه ولم يمكنهم ان يزيدوا عليه او ينقصوا منه
جناح بعوضة ولم ينقصوا البتة دفع مرض وعيب
ونقص وفقر وضر وجهل وكفر والا ان يغيروا قسمة الله تعالى

رزق واجل وقدرة وعجز وغير ذلك فهو وجميع ذلك
عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا نقص فيه واستقامة
تامة في الاقصور فيها ولا تفاوت بل كل ما يرون نقصا فيترتب
به كمال آخر اعظم منه وما ظنوه ضررا في حقه نفع اعظم منه لا يتوصل
الى ذلك النفع الا به وعلموا قطعا ان الله حكيم جواد رحيم لم يبخل
على الخلق اصلا ولم يدخر في اصلاحهم امرا وهذا الآن بحر آخر في
المعرفة تتحرك امواجه بسر القدر الذي منع من ذكره المكاشفون
وتحير فيه الاكثرون ولا يعقله الا العالمون ولا يدركه الا
الراسخون وان حظ العوام ان يعتقدوا ان كل ما يصيبهم
لم يكن ليخطئهم وما يخطئهم لم يكن ليصيبهم وان ذلك واجب
الحصول بحكم المشية الازلية وانه اراد لحكمه ولا معقب لقضائه
بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما امرنا
الا واحدة كلمح بالبصر الركن الثاني حال التوكل ومعناه ان
تكل امرك الى الله عز وجل وتثق به فلتتكل وتطمئن بالتفويض
اليه نفسك تعلقا تلتفت الى غير الله اصلا ويكون مثالك مثال من

وكل

لا قصور في
الافعال

وكل في خصومته في مجلس القاضي من علم انه اشفق الناس عليه
فاقواهم في كشف الباطل واعرفهم به واحرصهم عليه فانه يكون
ساكنا في نفسه مطمئن القلب غير متفكر في كل الخصومة غير ملتفت
الى آحاد الناس لعلمه بان وكيله وكيله حسبه وكافيه في غرضه وانه
لا يقاومه غيره فمن تحققت معرفته بان الرزق والاجل والخلق
والامر بيد الله تعالى وهو منفرد به لا شريك له وان جوده وحكمته
ورحمته لا نهاية لها ولا يوازيها رحمة غيره وجوده اتكل قلبه
بالضرورة عليه وانقطع نظره عن غيره فان لم ينقطع فلا يكون
ذلك الا لاحد امرين احدهما ضعف اليقين بما ذكرناه وضعف
اليقين انما يكون لتطرق شك اليه او لعدم استيلائه على القلب
فان الموت يقين لا شك فيه ولكنه اذا لا يستولي على القلب فهو كشك
الامر الثاني ضعف اليقين فيه ان يكون القلب في الفطرة جبانا ضعيفا
والجبن والجرأة فطرتان والجبن يوجب كون النفس مطيعة للاوهام
لا شك في بطلانها فقد يخاف الانسان ان يبيت مع الميت
في فراش او بيت مع علمه بانه ميت لا يحيى وان قدرته تعالى ان تغلب
عليه كقدرته

بانا لرزق والخلق والاجل والامر بيده

ح

في نوع العصاة عنه وهو الخائف ذلك بل قد يشبه الفعل العذر
فيتعذر عليه ثناؤه ولم يحمي على بانه تشبيه كاذب ولكن ذلك لخور ال
وطاعة الاوهام وكذا الخلو الانسان عن شي منه وان ضعف فكذلك
لا يبعد ان يحصل اليقين بالتوحيد بحيث لا يخالجه ريب ومع
اذا عرفت ذلك فينزع القلب الى الاسباب **فصل** ان التوكل عبارة عن حالة
القلب في الثقة بالوكيل الحق وقطع الالتفات للغير فاعلم ان
فيه ثلاث درجات الاولى ما ذكرناه وهو كالثقة بالوكيل
في الخصومة بعد اعتقاد كماله في الهداية والقدرة والشفقة
والثانية وهي اقوى منها تضاهي حالة الصبي في ثقته بامه
وفزعه اليها في كل ما يصيبه وذلك لتحققه بشفقتها وكفالتها
ولكنه فني في توكله فان عن توكله فانه ليس يحصله بفكر وكسب وان كان
الخلو توكله عن نوع ادراك واما التوكل على الوكيل بالخصومة
فكالمكتسب بالفكر والنظر **والثالثة** وهي الاعلى ان يكون بين يدي
الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل لا كالصبي فانه يزعق بامه ويتعلق
بذيلها بل مثل الصبي علم انه وان لم يزعق بامه فانها تطلبه

وان

وان لم يتعلق بذيلها فهي تحمله وان لم يسألها اللبن فهي تبتدي
بارضاعه فيكون هذا الشخص في حق الله ساقط الاختيار لعلمه
بانه مجرى للقدر فلا يبقى فيه متسع لغير الانتظار لما يجري عليه وهذا
المقام يأبى الدعاء والسؤال ولا يمتنع الدعاء في المقام الثاني
والاول ويمتنع التدبير في المقام الاخير ويمتنع في الثاني ايضا
الا في التعلق بالوكيل فقط وفي الاول يمتنع التدبير بالتعلق بغير الوكيل
الركن الثالث ولا يمتنع بالطريق الذي رسمه الوكيل وسنه له وامره به
في الاعمال وقد يظن الجهال ان شرط التوكل ترك الكسب وترك
التداوي والاستسلام للمهلكات وذلك خطأ لان ذلك حرام
في الشرع والشرع قد اثنى على التوكل وندب اليه فكيف ينال
ذلك بمحظوره وتحقيقه ان سعي العبد لا يتجاوز احد اربعة
اخذ وسعيه ما ليس بموجود من المنفعة او حفظ الموجود او دفع
الضرر كيلا يحصل او قطعه كي يزول الاول جلب المنافع واسبابه
ثلاثة اما مقطوع به او مظنون ظنا ظاهرا يوثق به او موهوم
اما المقطوع به فمثاله ان لا تمد اليد الى الطعام وهو جائع ويقول

هذا شيء وانا متوكل او يريد الولد ولم يواقع اهله او يريد الزرع
ولا يبث البذر وهذا جهل لان سنة الله تعالى لا تتغير وقد
عرفت ان ارتباط هذه المسببات بهذه الاسباب سنة الله التي لا
تجد لها تبديلا واما التوكل فيه بامرين احدهما ان تعلم ان اليد
والطعام والبذر وقدرة التناول تحصيل ذلك من فضل الله تعالى
والثاني ان لا يتكل عليها بل يتكل على خالقها وكيف يتكل على اليد
وربما يفلج في الحال او يهلك الطعام وذلك تحقيق قولك لا حول
ولا قوة الا بالله فالحول هي الحركة والقوة هي القدرة فاذا كان هذا
حالك فانت متوكل وان سعيت واما المظنون فكاستصحاب
الزاد في البوادي والاسفار فليس تركه من شرط التوكل بل هي سنة
الاولين بل يكون الاعتماد على فضل الله تعالى بل في تيسير اسباب
الزاد والحياة والقدرة على التناول واما الموهومات فكالاستقصاء
في حيل المعيشة واستنباط دقائق الامور فيها وذلك
من الحرص وقد يحمل على اخذ الشبهة وكل ذلك يناقض التوكل
والدليل عليه ان النبي صلعم وصف المتوكلين بانهم لا يكتوون ولا

دوكون

يسترقون

افسون

ولا يسترقون ولم يصفهم بانهم لا يسكنون الامصار ولا يكتسبون
فاما نسبته الى المسببات كنسبة الرقية والكي فهذا من شرط التوكل
الفن الثاني في تدبير الاسباب الادخار فالمتوكل اذا ورث مالا
فالادخار لسنة فما فوقها ابطل توكله وان قنع بقوت يومه وقدر
الباقي فهو تمام التوكل وان ادخر لاربعين يوما فقال سهل التستري
بطل توكله وما بينها لا ينال المقام المحمود الذي وعد للمتوكلين وقال الخواص
لا يبطل واتفقوا على ان الزيادة عليه تبطل التوكل الا اذا كان
معيلا فله ان يدخر قوت عياله لسنة كذلك فعل رسول الله صلعم في
حق عياله وفي حق نفسه كان لا يدخر غداء لعشائه ولا شك ان
طول الامل يناقض التوكل ومهما قلت هذه الادخار كانت الرتبة
اعظم ولكن سنة الله تعالى جارية بتكدر الارزاق عند تكدر السنة
فالادخار الاكثر لسنة غاية الضعف وليس التوكل في شيء فاما
ادخار الكوز واثاث البيت فذلك جائز لان سنة الله تعالى لم تجر
بتكررها لتكرر الارزاق ويحتاج اليها في كل وقت وثياب
ثوب الشتاء فانه لا يحتاج اليه في الصيف وادخاره على خلاف التوكل

قال النبي صلى الله عليه وسلم في فقير دفن أنه يحشر يوم القيامة ووجهه كالقمر
ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لكان كالشمس الضاحية كان إذا جاء الشتاء
ادخر حلة الصيف لصيفه [وفي الصيف ادخر حلة الشتاء] الفن الثالث في مباشرة الأسباب
الدافعة كالفرار من السبعة ومن الجدار المائل ومجرى السيل أو دفع
الأمراض بالأدوية وذكر أيضا له درجات فاستنبطها أيضا بالقياس
إلى ما ذكرناه وقد فصلناه في الإحياء فصل اعلم أن ترك الادخار
محمود لمن غلب يقينه وقوي قلبه وأما الضعيف الذي يضطرب
قلبه لو لم يدخر لم يتفرغ للعبادة فالأفضل له أن يدع طريق المتوكل
ولا يحمل نفسه ما لا يطيقه إذ فساد ذلك في حقه أكثر من صلاحه بل يعالج
كل واحد على حسب حاله وقوته وقد تنتهي القوة إلى أن يجوز السفر
في البوادي من غير زاد وذلك لمن يصبر عن الطعام أسبوعا ويقنع
بالحشيش فإن ذلك لا يعوزه غالبا في البادية وأما الضعيف إذا فعل
ذلك فهو عاص ملق نفسه في التهلكة والقوي إذا حبس
نفسه في كهف جبل ليس فيه حشيش ولا يجتاز به إنسان فذلك أيضا
حرام لأنه خالف سنة الله تعالى في خلقه وإنما جاز له ذلك في البوادي

لانها

لأن سنة الله جارية بأنها لا تخلو عن حشيش وقد يجتاز بها الآدميون
فإذا قوي كان هلاكه نادرا فلم يكن بذلك عاصيا وله أن يسافر في
البادية متكلا على لطيف صنع الله تعالى وغير قاصر التفاته على الأسباب
الجلية الواضحة الأصل الثامن في المحبة قال الله تعالى يحبهم ويحبونه
وقال قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم
وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
أحب إليكم من الله ورسوله الآية وقال صلعم لا يؤمن أحدكم حتى يكون
الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وقال أحبوا الله لما يغذوكم به وأحبوني
لحب الله عز وجل وقال أبو بكر رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله
عز وجل منعه ذلك من طلب الدنيا وأوحشه من جميع البشر وقال الحسن
البصري رحمه الله من عرف الله تعالى أحبه ومن عرف الدنيا زهد
فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل وإذا تفكر حزن فصل اعلم
أن أكثر المتكلمين أنكروا محبة الله تعالى وأولوها وقالوا لا معنى لها
إلا امتثال أوامره وأما ما لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء ولا يناسب
طباعنا فلا يحبه وإنما يتصور محبة من بيننا وبينه مناسبة وهؤلاء محرومون
أن يحب

بحب نعمه

لجعل بحقائق الامور وقد كشفنا الغطاء عن هذا في كتاب المحبة من
كتب الاحياء وطالعها الصادق فمنها اسرار لا يحتمل الكتب عنها كلها
فلنقنع في هذا المختصر بتلويحات واشارات **فصل** اعلم ان اللذيذ
محبوب ومعنى كونه محبوبا ميل النفس اليه وان قوي الميل سمي
عشقا ومعنى كونه مبغوضا نفرة النفس عنه لكونه مؤلما
فان قوي البغض والنفرة سمي مقتا واعلم ان الاشياء التي
تدركها بحواسك وجميع مشاعرك اما ان تكون موافقة لك
ملائمة وهو اللذيذ او تكون منافية مخالفة وهو المؤلم او لا
موافقة ولا مخالفة وهو الذي لا الم فيها ولا لذة وكل لذيذ
محبوب اي للنفس الملتذة به ميل له لا محالة اليه واعلم ان اللذة الملتذة
تتبع الادراك والادراك اذا كان ظاهر وباطن اما الظاهر
فالحواس الخمس فلا جرم لذة العين في الصور الجميلة ولذة الاذن
في النغمات الموزونة الطيبة ولذة الذوق والشم في الطعوم
والروايح الملائمة الموافقة ولذة جملة البدن في ملامسة الناعم
اللين وجملة ذلك محبوبة للنفس اي للنفس ميل اليها واما الادراك
الباطن

الباطن فهو اللطيفة التي محلها القلب تارة يعبر عنها بالعقل وتارة
بالنور وتارة بالحس السادس ولا تنظر الى العبارات فتغلط بل قال
النبي صلعم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني
في الصلوة فتعلم ان الطيب والنساء كان بهما حظ الشم واللمس والبصر
والصلوة لا حظ فيها للحواس الخمس بل للادراك السادس الذي محله
القلب ولا يدركها من لا قلب له وان الله يحجب عن المراء وقلبه
ومن اقتصر لذته على الحواس الخمس فهو بهيمة لان البهيمة تشاركه
فيها وانما خاصية الانسان التمييز بالبصيرة الباطنة ولذة
البصر الظاهر في الجميلة الظاهرة ولذة البصيرة الباطنة في الصور
الجميلة الباطنة **فصل** لعلك تقول ما معنى الصور الجميلة الباطنة
فاقول ما عندك انك لا تحس من نفسك حب الانبياء والعلماء و
الصحابة ولا تدرك من نفسك تفرقة بين الملك العادل العالم الشجاع
الكريم العطوف على الخلق وبين الظالم الجاهل البخيل الفظ الغليظ
وما عندك انك اذا حكي لك صدق الصديق ابي بكر وسياسة عمر وسخاوة
عثمان وشجاعة علي رضوان الله عليهم لا تجد في نفسك هزة
الالتذاذ

وادنياها وميلا الى هؤلاء والى كل موصوف بخلال الكمال من نبي او
صديق وعالم وكيف تنكر هذا في الناس من يقتدي بنفسه
ارباب المذاهب وتحملت حبه لهم على البذل بالمال والنفس في الذب عنهم
وتجاوز ذلك حد العشق وانت ان حبك لهولاء ليس لصورهم
الظاهرة فانك لم تشاهدها ولو شاهدتها ربما لم تستحسنها
وان استحسنت فلو تشوهت صورهم الظاهرة وبقيت صفاتهم
المعنية الباطنة لبقي حبك لهم واذا فتشت عن محبوبك منهم
رجع بعد التفصيل الطويل الذي لا يحتمله هذا الكتاب الى ثلاث
صفات العلم والقدرة والنزاهة عن العيوب اما العلم فكعلمهم
بالله وملائكته وكتبه ورسله وعجائب ملكوته ودقائق شريعة
انبيائه واما القدرة فكقدرتهم على انفسهم بكسر شهواتها
وحملها على الصراط المستقيم وقدرتهم على العباد بسياستهم
وارشادهم الى الحق واما النزاهة فسلامة باطنهم من عيب الجهل
والبخل والحسد وخبائث الاخلاق واجتماع كمال العلم والقدرة
مع حسن الاخلاق هو حسن الباطن وهي الصورة الباطنة التي لا

تعلم صح

تدركها

١١٥

لا تدركها البهيمة ومن في مثل حالها بالبصر الظاهر ثم اذا احببت هؤلاء ب
لهذه الصفات وعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اجمع منهم
لهذه الخصال كان حبك له اشد بالضرورة فارفع نظرك الآن من النبي
للمرسل للنبي وخالقه والمتفضل على الخلق ببعثته لتعلم ان بعثة
الانبياء حسنة من حسناته ثم انسب قدرة الانبياء وعلمهم و
طهارتهم الى علم الله وقدرته وقدسه لتعلم انه لا قدوس سوى الواحد
الحق وان غيره لا يخلو من عيب ونقص بل العبودية اعظم انواع
النقص فاي كمال لمن لا قوام له بنفسه ولا يملك لنفسه موتا ولا
حياتا ولا رزقا ولا اجلا واي علم لمن يشكل عليه صفات باطنه
في مرضه وصحته بل لا يعلم جميع جوارحه الباطنة وتفصيلها
وحكمها بالتحقيق فضلا عن ملكوت السموات والارض وانسب
هذا الى العلم الازلي المحيط بجميع الموجودات ومعلومات لا نهاية
لها الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
والى قدرة خالق السموات والارض الذي لا تخرج موجود عن قبضة
قدرته في وجوده وبقائه وعدمه وانسب نزاهته عن العيوب

لا قدسه لتعلم انه لا قدوس ولا قدير ولا عليم الا الله الواحد الحق وان الغير
القدير لو اعطاها لا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وما اوتوا من العلم
الا قليلا فانظر الان هل يمكنك ان تنكر ان هذه الصفات والمحامد
محبوبة او تنكر ان الموصوف بكمال الجلال هو الله وانظر كيف تنكر حبه
بعد ذلك فصل ان قصرت بصيرتك عن ادراك الجلال والكمال والميل
الى حظ العين والفرح به والمشتغل فلا تقصر عن الميل الى المنعم المحسن اليك
ولا تكونن اقل من الكلب فانه يحب صاحبه الذي يحسن اليه وتامل هل
في العالم هل لاحد احسان اليك سوى الله تعالى وهل لك حظ ولذة و
تنعم في شيء وحرص على نعمة الا والله سبحانه خالقها ومبدعها و
مبقيها وخالق الشهوة اليها والتلذذ بها وتفكر في اعضائك و
لطف صنع الله تعالى لك فيها لتحبه باحسانه اليك فتكون من اعوام الخلق
فان لم تقدر ان تحبه لجلاله وكماله وجلاله كما تحبه الملائكة لذلك وامتثل
قوله صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله
وعند هذا تكون كالعبد السوء لا يعمل الا للاجرة والنفقة فلا
جرم يزيد حبك وينقص بزيادة الاحسان ونقصانه وذلك ضعيف

جدا

١٢٦

جدا بل العاقل من يحب الله لجلاله وجماله ومحامد صفاته التي لا يتصور
ان يشارك فيها ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان اود الاوداء
الي من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور من
اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن
اهلا ان اطاع ومر عيسى عليه السلام بطايفة من العباد وقد نحلوا
وقالوا نخاف النار ونرجوا الجنة فقال مخلوقا رجوتم ومر بقوم
اخر كذلك فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله
حقا ومعكم امرت ان اقيم فصل العارف لا يحب الا الله تعالى فان
احب غيره فيحبه لله عز وجل اذ قد يحب المحب عبد المحبوب
واقاربه وبلده وثيابه وضيعته وتصنيفه وكل ما هو منه
واليه نسبته وكل ما في الوجود صنع الله عز وجل وتصنيفه وكل
الخلق عباد الله تعالى وان احب الرسول عليه السلام احبه لانه رسول
محبوبه وحبيبه وان احب الصحابة فلانهم محبوبو رسوله ولانهم
يحبونه ويحبهم والمواظبون على طاعته وان احب طعاما فلانه
يقوى على ركبه الذي به يصل الى محبوبه اعني البدن وان احب

خفتم ومخلوقا صح

ولا يعصي به الا الله عز وجل ض

الدنيا فلانها زاده الى محبوبه وان احب النظر الى الازهار والانهار
الصور الجميلة فلانها صنعة محبوبه ومرى دلالات على جلاله وعظمته
لصفات المحامد التي هي المحبوبة في ذاتها وان احب المحسن اليه
والمعلم اياه علوم الدين فمحبته لانه واسطة بينه وبين محبوبه
في ايصال علمه وحكمته اليه ويعلم انه الذي يقتضي لتعليمه وارشاده
والانفاق عليهم هو الله ولولا تسليطه ونوعي بمواضع ...
البواعث والاغراض الى ارشاده والانفاق عليه لما فعله واعظم المح
احسانا علينا رسول الله صلعم ولله المنة والفضل بخلقه وبعثه
كما قال الله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم
اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فما الرسول الا عبد مسخر
مبعوث محمول على تبليغ الرسالة بالاضطرار ولذلك قال انك لا تهدي
من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وتامل سورة الفتح وقوله
ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره
انه كان توابا فقد انزله منزلة النظار وقال اذا رايت عباد
الله يدخلون في دين الله فتمثل بحمد الله لا بحمدك وبمو ...

بحمد

بحمد ربه وان التفت فليكن لا لنفسك وسعيك واستغفره ليتوب عليك
واعلم ان الذين لكي لا يعم ... هذا انظر عمر رضي الله عنه حيث وصل
كتاب خالد بعد فتح مكة من خالد سيف الله المسلول على المشركين الى ابي بكر
امير المؤمنين فقال ان نصر الله المسلمين نظرها لذا الى نفسه ونسبها
سيفا مسلولا على المشركين ولولا حفظ الحق لما سولعلم ان ليس ذلك
لسيفه ولكن لله سر في ارادته بنصر الاسلام فينصره بخالد واحد
ويوخالد رعب يلقيه في قلب الكافر فينهزم وينتزع من ايديهم
ويقع الهزيمة فينظر بخالد ومن يوفق مثل حاله انه على الكلمة الاسلام
الصامة وحق سيفه ويطلع عمر رضي الله عنه ومن يوفق مثل حاله من
الصديقين والاولياء على حقيقة الحال ويعلم حاجة خالد
الى الاستغفار وان يسبح بحمد ربه اذا راى ذلك كما امر به رسول الله
فاذا لا موجب للمحبة الا امران احدهما الاحسان والاخر غاية الجلال
والجمال بكمال الجود والحكمة والعلو والقدرة والتقديس عن العيب والنقص
ولا احسان الا منه ولا جلال ولا جمال الا لاقدس الآله فكل ما في العالم
من حسن واحسان فهو حسنة من حسنات جوده يوفقها العباده

بخطرة واحدة يجلبها في قلب المحزون فكل ما في العالم من صورة مليحة
وهيئة جميلة يدرك بعين او يسمع او يشم في اثر من اثار قدرته التي هي
بعض معاني جماله وجلاله فليت شعري من عرف بالمشاهدة المحققة
والبرهان القاطع جميع هذا كيف يتصور ان يلتفت الى غير الله
او يحب غير الله عز وجل **فصل** اعلم ان لذة العارف في الدنيا
من مطالعة جمال الحضرة الربوبية اعظم من كل لذة يتصور ان يكون
في الدنيا سويها وذلك لان اللذة على قدر الشهوة وفوق الشهوة
على قدر الملايمة والموافقة للمشتهي ولذا ان اوفق الاشيا
للابدان الاغذية واوفق الاشيا للقلوب المعرفة فالمعرفة
غذاء القلب واعني بالقلب الروح الرباني الذي قال الله تع فيه قل
الروح من امر ربي وقال تع ونفخت فيه من روحي فاضافه الى نفسه
وهذا الروح لا يكون للبهائم ولمن هو مثلهم من الانس
بل يختص به الانبياء والاوليا ولذلك قال تع وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه
نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فالمعرفة اوفق الاشيا لها

الروح

الروح
ولكل شي خاصية فالصوت الطيب لا يوافق البصر لانه ليس من خاصيته
وخاصية روح الانسان معرفة الحقايق وكلما كان المعلوم اشرف
كان العلم به الذ ولا اشرف من الله تع ولا اجل منه فمعرفته ومعرفة
صفاته وذاته وعجايب ملكه وملكوته الذ الاشيا عند القلب
لان شهوة ذلك اشد الشهوات ولذلك يخلق آخرا بعد ساير
الشهوات فكل شهوة تاخرت فهي اقوى مما قبلها فاول ما يخلق
شهوة الطعام ثم يخلق شهوة الوقاع فيترك شهوة الطعام
لاجله ويستحقر فيه ثم يخلق له شهوة الرياسة والجاه والغلبة و
يستحقر فيها شهوة المنكح والمطعم ثم يخلق له شهوة المعرفة
التي هي سبيل الاطلاع على كل الموجودات فيستحقر فيها الجاه والرياسة
وهي آخر شهوات الدنيا واقواها وكما ان الصبي ينكر شهوة
الوقاع ويتعجب ممن يتحمل مونة النكاح لاجلها فاذا بلغ شهوة
الوقاع التي عليها وانكر شهوة الجاه والرياسة ولم يبل بفواتها
في قضا شهوة الفرج فكذلك المشغوف بشهوة الجاه والرياسة
حريص
ينكر لذة المعرفة اذ لم يخلق بعد فيه شهوتها وقد نهى شتمه

على الجاه لا مرض قلبه حتى لا يقبل شهوة معرفة الله عز وجل اصلا كما
يفسد مزاج المريض فيسقط شهوته للغذا حتى يموت وقد ينعكس
طبعه فيشتهي الطين والاشياء المضرة المهلكة ويصح فقد مات
الموت وكذلك مرض القلب يحصل قد ينتهي الى حد ينكر المعرفة ويبغضها
ويبغض اهلها والمقبلين عليها ولا يدرك الا لذة الرياسة او
المطعم والمنكح وذلك هو الميت الذي لا يقبل العلاج وفي مثله قيل
انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان
تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وفيهم قيل اموات غير
احياء وما يشعرون **فصل** هذه المعرفة وان عظمت لذتها
فلا نسبة لها الى لذة النظر الى وجه الله الكريم في الدار الآخرة وذلك لا
يتصور في الدنيا لسر لا يمكن الآن كشفه ولا ينبغي ان تفهم من النظر
ما يفهمه العوام والمتكلمون فيحتاج في تقدير الجهة ومقابلة ولا
منظور من اقصى القصور في محبوس عالم الشهادة حتى لم يجاوز
المحسوسات التي هي مدركات البهائم لكن ينبغي ان تفهم ان الحضرة الربوبية
تنطبع صورتها وترتيبها العجيب على ما يشتمل عليه من السفلي والعلوي

والجلال

والجلال والجذب في قلب العارف كما ينطبع مثلا صورة العالم المحسوس
في حواسك فانك تنظر اليه وان غمضت عينيك فانه فتحت العين وجدت
الصورة المبصرة مثل الصورة المتخيلة قبل فتح العين لا تخالفها
في شي الا ان الابصار في غاية الوضوح بالنسبة الى التخيل فلذلك ينبغي
ان تفهم ان في ادراك ما لا يدخل في الخيال والحس ايضا درجتين هما
متفاوتتين في الوضوح غاية التفاوت ونسبة الثانية الى الاولى
كنسبة الابصار الى التخيل فيكون الثاني غاية الكشف فيسمى لذلك مشاهدة
ورؤية والرؤية لم تسم رؤية لانها في العين او لو خلقت في الجبهة
لكانت رؤية بل لانها غاية الكشف وكما ان تغميض الاجفان حجاب
عن غاية الكشف في المبصر فكذلك في الشهوات وشواغل هذا القالب
المظلم حجاب عن غاية المشاهدة ولذلك قال الله تعالى لن تراني ولكن انظر
الى الجبل وقال لا تدركه الابصار فاذا ارتفع هذا الحجاب بعد الموت
انقلبت المعرفة بعينها مشاهدة ويكون مشاهدة كل واحد
على قدر معرفته فلذلك تزيد لذة اولياء الله تعالى سبحانه في النظر على لذة
غيرهم يتجلى الله تعالى لابي بكر رضي الله عنه خاصة ويتجلى للناس عامة

ولذلك لا يدركه الا العارفون لان المعرفة بذر النظر يمتد الى ان ينقلب
مشاهدة كما ينقلب التخيل ابصارا فلذلك لا تقتضي مقابلة وجهة
وسر هذا طويل فاطلبه من كتاب المحبة من الاحياء فصل لو كان
معشوقك انت تراه من وراء ستر رقيق في وقت الاسفار في حالة
ضعف الضوء في حالة اجتمعت عليك تحت ثوبك عقارب وزنابير تلدغك
وتشغلك فلا يخفى ان لذتك في مشاهدة معشوقك تضعف فلو اشرقت
الشمس دفعة وارتفع الستر الرقيق وانصرفت عنك العقارب والزنابير
وهجم عليك العشق المفرط لجميع فلا نسبة لهذه اللذة العظيمة التي تحصل
الآن الى ما كان قبل ذلك فكذلك فافهم انه لا نسبة للذة النظر الى لذة
المعرفة بل هي اعظم منها الكثير او الستر الرقيق مثال البدن والعقارب
شواغل الدنيا وهمومها وشهواتها وهجوم العشق مثل الشهوة لانقطاع
المضعفات والمنغصات عنها واشراق الشمس هو استعداد
حرقة القلب لاحتمال تمام التجلي فانها في هذه الحياة لا يحتمله الا كما يحتمل
بصر الخفاش نور الشمس فصل اما ضعفت شهوة معرفة الله تعالى لزحمة
الشهوات [illegible] معرفة الله تعالى مع جلائها لشدة ظهورها

ومثاله

ومثاله انك تعلم ان اظهر الاشياء المحسوسات ومنها المبصرات
ومنها النور الذي يظهر لك الاشياء لولا ان الشمس دائمة لا تغيب
ولا يقع لها ظل لكنت لا تعرف وجود النور وكنت تنظر الى الالوان فلا
ترى الا البيض والسواد والبياض فاما النور فلا تدركه الا بان تغيب
الشمس او يقع لها حجاب بالظل فتدركه باختلاف الاحوال بين الظلمة
والضياء ان النور شيء اخر عرض للالوان فتصير مبصرا ولو تصور
لله سبحانه غيبة او لانوار قدرته حجاب عن بعض الاشياء لادركت من
التفاوت ما يضطر معه الى المعرفة ولكن الموجودات كلها لما تساوت
في الشهادة لخالقها بالوحدانية من غير تفاوت خفي الامر لشدة جلائه
ولو تصور انقطاع انوار قدرته عن السموات والارض لانهدت وانخسفت لانهدمت
وادركت في الحال من التفاوت ما يضطرك الى المعرفة بالقدرة والقادر وهذا الا انك
مثال ذكرناه وتحته اسرار وفيه مواقع غلط فاجتهد لعلك تقف
على اسراره ولا تزل رجلك في مواقع غلطه فمنه غلط من قال انه في كل مكان ولم يكن يعلمه
وكلهم من نسبه الى المكان او جهة فقد زل وضل ورجع غاية نظره
الى التصرف في المحسوسات البهائم ولم يجاوز الاجسام وعلائقها اول

(الرجاء)

درجات الايمان محاورتها فيه يصير الانسان انسانا فضلا عن ان يصير مؤمنا **فصل** ان للمحبة علامات كثيرة يطول احصاؤها ومن علاماتها تقديم امر الله تع على هوى النفس والتوقي بالورع ورعاية حدود الشرع ومن علاماتها الشوق الى لقاء الله والمطلوع كراهية الموت الا من حيث يتشوق الى زيادة المعرفة فان لذة المشاهدة بقدر كمال المعرفة وانها بدون المشاهدة فتختلف لا محالة باختلافها ومن علاماتها الرضاء بالقضاء وموافقته لا لله تع عز وجل فلنذكر معنى الرضا حتى لا يغتر الانسان بما يصادفه في نفسه من خطرات تخطر فيظن انه حقيقة الحب تعالى فان ذلك جدا

الاصل التاسع الرضا بالقضاء قال الله تع رضي الله عنهم ورضوا عنه وقال صلى الله عم اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال اعبد الله تع بالرضاء فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقال لطايفة ما انتم فقالوا مومنون فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مومنون ورب الكعبة وفي رواية انه قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وما اوحى الله تع الى داود عم

ما الاولياء والشهوة الدنيا ان الهمم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم ان محبتي من اوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون وقال النبي صلعم قال الله تع انا الله لا اله الا انا من لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليطلب ربا سوائي وقال عليه السلام قال الله تع خلقت الخير وخلقت له اهلا وخلقت الشر وخلقت له اهلا فطوبى لمن خلقته للخير ويسرته على يديه وويل لمن خلقته للشر ويسرته على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف واوحى الله سبحانه الى داود عليه السلام يا داود انك تريد واما اريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد **فصل** قد انكر الرضاء جماعة وقالوا لا يتصور الرضا بما يخالف الهوى وانما يتصور الصبر فقط وانما اوتوا من انكار المحبة ونحن نحقق ان الرضا بالقضاء وبما يخالف الطبع والهوى وذلك يتصور من ثلثة اوجه احدها ان يدهشه مشاهدة الحب وافراطها عن الاحساس بالالم وذلك مشاهد في حب المخلوق وفي غلبة الشهوة والغضب حتى ان الغضبان تصيبه الجراحة والخشب في ذلك الوقت وحتى ان الحريص تصيبه شوكة في رجله ولا يحس

الحال

بهائم اذا سكن حسه وصغر مراده عظم المه واذا تصور ان ينغمر الالم
بسبب محبة يسير تصور ان ينغمر الالم لكثير محبة قوى بالغ فان نحو
واحد من الحب والالم يقبل الزيادة والنقص ومهما تصور ومثل هذا
في عشق يرجع الى الميل الى الصورة من مركبة من لحم ودم مشحونة بالاقذار
والخبائث واما يدرك بعين ظاهرة يغلب الغلط عليها حتى ترى
الكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فكيف لا يتصور في
ادراك جمال الحضرة الربوبية والجلال الازلي الابدي الذي لا يتصور
انقطاعه ونقصانه المدرك بالبصيرة الباطنة التي هي اصدق واوضح
عند اهلها من البصر الظاهر ومن هذا الاصل قال الجنيد رحمه الله قلت لسري
السقطي رحمه الله هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت وان ضرب
بالسيف قال لا وان ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة وقال
بعضهم احببت كل شيء بحبه حتى لو احب النار احببت الدخول في النار
وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما بقي لي فرح الا في مواقع قدر الله تع
ومات لبعض الصوفية ولد صغير ثلثة ايام فقيل له لو سالت الله تع
ان يرده عليك فقال اعتراضي فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي

الوجه

الوجه الثاني من الرضا ان يحس بالالم ويكرهه بالطبع ولكن يرضى
به بعقله وايمانه لمعرفته بجزالة الثواب على البلاء كما يرضى المريض
بالم الفصد وشرب الدواء لعلمه انه سبب الشفاء حتى انه ليفرح
بمن يهدي اليه الدواء وان كان بشعا وكذلك يرضى التاجر بمشقة السفر
وسوء خلاف طبعه وهذا ايضا يشاهد مثله في الاغراض الدنيوية
فكيف ينكر في السعادة الاخروية وروي ان امراة الموصلي الانصاري
عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الم الوجع
فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه فاذا من ايقن
ان ثواب البلاء اعظم مما يقاسيه لم يبعد ان يرضى به **الوجه الثالث**
ان يعتقد ان لله تع تحت كل اعجوبة لطيفة بل لطايف وذلك
يخرج من قلبه لم وكيف حتى لا يتعجب مما يجري على العالم من مخالطة الجاهل
تشويشا واضطرابا ومباعدا من الاستقامة ويعلم ان تعجبه كتعجب
موسى من الخضر عليهما السلام لما خرق سفينة الايتام وقتل الغلام
واعاد بناء الجدار كما في سورة الكهف فلما كشف الخضر عن السر الذي
اطلع عليه سقط تعجبه وكان تعجبه بناء على ما اخفى عنه تلك الاسرار

(بقضاء الله)

وكذلك افعال الله تعالى عنا كما حكي عن رجل من الراضين انه كان يقول

في كل ما يصيبه الخيرة فيما قدر الله تعالى وكان في بادية ومعه اهله وليس

له الا حمار يحمل عليه خباءه وكلب يحرسهم وديك يوقظهم فجاء ثعلب

(حمار) واخذ الديك فقال خيرة وجاء ذئب وقتل الحمار فحزن اهله فقال

خيرة ثم اصيب الكلب فمات فقال خيرة فتعجبت اهله من ذلك حتى اصبحوا

وقد سبي من حولهم واسترقوا اولادهم وكان قد عرف مكان بعضهم

بصوت الديك ومكان بعضهم بنباح الكلب ومكان بعضهم بنهيق الحمار

فقال قد رايتم ان الخيرة فيما قدره الله سبحانه فلو لم يهلكهم الله عز وجل

لهلكتم وهلكنا وروي ان نبيا كان يتعبد في جبل وكان بالقرب

منه عين فاجتاز بها فارس وشرب ونسي عندها صرة فيها الف دينار

فجاء آخر واخذ الصرة ثم جاء رجل فقير على ظهره حزمة حطب

فشرب واستلقى ليستريح فرجع الفارس في طلب الصرة فلم يرها

فاخذ الفقير فطالبه وعذبه فلم يجد عنده فقتله فقال النبي الهي

ما هذا اخذ الصرة ظالم آخر وسلطت هذا الظالم على هذا الفقير

حتى قتله فاوحى الله اليه اشتغل بعبادتك فليس معرفة اسرار الملك

من شانك

من شانك ان هذا الفقير كان قد قتل ابا الفارس فمكنته من القصاص

وان ابا الفارس كان قد اخذ الف دينار من مال آخذ الصرة فرددته

اليه من تركته فمن ايقن بامثال هذه الاسرار لم يتعجب من افعال الله تعالى

والتعجب من جهل نفسه ولم يقل لم وكيف فيرضى بما دبره الله في ملكوته

وههنا وجه رابع يتشعب عن محض المعرفة بجلال الجود والحكمة

وكيفية ترتيب الاسباب المتوجهة الى المسببات ومعرفة القضاء

الاول الذي هو كلمح البصر ومعرفة القدر الذي هو سبب ظهور تفاصيل

القضاء وانها رتبت على اكمل الوجوه واحسنها وليس في الامكان

احسن منها واكمل ولو كان وادخر لكان بخلا لا جودا ويجمع ايضا نقيض

القدرة وينطوي تحت ذلك معرفة سر القدر ولما ان من ايقن

ذلك لم ينطو ضميره الا على الرضا فلذلك بكل ما يجري من الله تعالى و

(سر لا يمكن كشفه) شرح ذلك يطول والرخصة فيه ايضا فلنتجاوزه فصل لعلك

تقول كيف اجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى وبين بغض اهل الكفر

والعصيان وقد تعبدت به شرعا وذكر مراد الله فيهم فاعلم

ان طايفة من الضعفاء ظنوا ان ترك الامر بالمعروف من جملة الرضا

بالقضاء وسموه حسن الخلق وسوء خلق محض بل عليك ان ترضى وان تكره
جميعا والرضاء والكراهة يتضادان اذا تواردا على شيء من وجه
واحد ولا يتناقض ان يقتل عدو لك الذي هو عدو عدو لك ايضا
فترضاه من حيث انه عدو لك وتكرهه من حيث انه عدو عدو لك فكذلك المعاصي
وجها الى الله تعالى من حيث انها بقضائه ومشيئته فهو من هذا الوجه
مرضي به ووجه الى العاصي من حيث انه صفته وكسبه وعلامة كونه ممقوتا
عند الله تعالى وهو من هذا الوجه مكروه وقد تعلم ان الله عز وجل يبغض
من يبغضه من المخالفين لامره فعليك بما تعتقد به والامتثال له
ولو قال لك محبوبك اني اريد ان امتحن حبك بان اضرب عبدي و
اقتله الى ان يشتمني لمن ابغضه فهو محبي ومن احبه فهو عدوي
فيمكنك ان تبغض عبده اذا شتمه مع انك تعلم انه اضطره الى الشتم
وان ذلك مراد اختبره فتقول اما فعله في شتم فاني ارضى به من حيث
انه تدبير له في عبده ومراد له ممن اراد البعاد واما شتمه من حيث
هو صفته وعلامة عداوته فاني ابغضه لاني احبك فابغض لا محالة
من عليه علامة عداوتك وهذه دقيقة تزل فيها الضعفاء فلذلك

يتهافتون

يتهافتون

يتهافتون فيها **فصل** لذلك ينبغي ان لا تظن ان معنى الرضاء بالقضاء
ترك الدعاء بل ترك السهم الذي ارسل اليك حتى يصيبك مع قدرتك على دفعه
بالترس بل تعبدك الله عز وجل بالدعاء ليستخرج به من قلبك صفاء الذكر
وخشوع القلب ورقته لتستعد به لقبول الالطاف والانوار فمن جملة
الوصلة بقضائه ان يتوصل الى المحبوب بانه يباشر ما جعله سببا بل ترك
الاسباب مخالفة لمحبوبه وهو ناقض لرضائه فليس في الرضاء للعطشان
ان لا يمد اليد الى الماء البارد زاعما انه رضي بالعطش الذي هو من قضاء الله
تعالى بل من قضاء الله تعالى ومحبته ان يزول العطش بالماء فليس في الرضاء بالقضاء
ما يوجب الخروج عن حدود الشرع ورعاية سنة الله تعالى اصلا بل معناه
ترك الاعتراض على الله عز وجل ظاهرا واضمارا مع بذل الجهد في التوصل
الى محاب الله من عباده وذلك بحفظ الاوامر وترك النواهي **الاصل العاشر**
ذكر الموت اعلم ان المقامات التسع التي ذكرناها ليست على
رتبة واحدة بل بعضها مقصودة بذاتها كالمحبة والرضاء فانهما اعلى
المقامات وبعضها مطلوبة لغيرها كالتوبة والزهد والخوف والصبر
اذ التوبة رجوع عن طريق البعد الى طريق القرب والزهد ترك

الشواغل والصبر جهاد مع الشهوات القاطعة لطريق القرب وكل
ذلك غير مطلوب لذاته بل المطلوب القرب وذلك بالمعرفة والمحبة
فإنها مطلوبة لذاتها لا لغيرها ولكن لا يتم ذلك إلا بقطع حب غير
الله عن القلب فاحتيج إلى الخوف والصبر والزهد لذلك ومن الأمور
العظيمة النفع فيه ذكر الموت فلذلك أوردناه ولذلك عظم الشرع
ثواب ذكره إذ به ينغص حب الدنيا وتنقطع علاقة القلب عنها
قال الله تعالى قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم وقال صلى الله
أكثروا ذكر هادم اللذات وقال من كره لقاء الله تعالى كره الله لقاءه
وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد
قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة ومر رسول الله
بمجلس قد استعلاه الضحك فقال رسول الله صلعم شوبوا مجلسكم بذكر
مكدر اللذات قيل وما هو قال الموت قال رسول الله صلعم لو
تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا وقال
كفى بالموت واعظا وقال تركت فيكم واعظين صامتا وناطقا فالصامت
الموت والناطق القرآن وذكر رجل عند النبي عليه السلام وأحسن الثناء

عليه فقال وكيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه
يذكر الموت قال فإن صاحبكم ليس هنالك وقال رجل من الأنصار يا رسول
الله من أكيس الناس وأكرم الناس فقال أكثرهم للموت ذكرا و
أشدهم له استعدادا أولئك هم الأكياس ذهبوا براحة الدنيا
وكرامة الآخرة **فصل** اعلم أن الموت عظيم هائل وما بعده أعظم
منه وفي ذكره منفعة عظيمة فإنه ينغص الدنيا ويبغضها إلى القلب
وبغضها رأس كل حسنة كما أن حبها رأس كل خطيئة وللعارف
في ذكره فائدتان أحدهما النفرة عن الدنيا والأخرى الشوق
إلى الآخرة فإن المحب لا محالة مشتاق ومعنى الشوق في المحبوبات
استكمال الخيال بالترقي إلى المشاهدة فإن المشتاق إليه مدرك لا محالة
بالخيال وغائب عن الأبصار وأحوال الآخرة ونعيمها وجمال الحضرة
الربوبية مدرك على ذلك للعارف بمعرفة كأنه نظر من وراء ستر
رقيق في وقت الإسفار وضعف النور وهو مشتاق إلى الاستكمال
ذلك بالتجلي والمشاهدة ويعلم أن ذلك لا يكون إلا بالموت فلذلك
لا يكره الموت إذ لا يكره لقاء الله تعالى ولا سبب لإقبال الخلق

على الدنيا الا قلة التفكر في الموت وطريق الفكر فيه ان يفرغ
الانسان قلبه عن كل فكر سواه ويجلس في خلوة ويباشر ذكر الموت
بصميم قلبه ويتفكر اولا في اخدانه واشكاله الذين مضوا قبله
منهم واحدا واحدا ويتذكر حرصهم واملهم وركونهم الى الجاه والمال
ثم يتذكر مصارعهم عند الموت وتحسرهم على فوات العمر وتضييع
ثم يتفكر في اجسادهم كيف تمزقت في التراب وصارت جيفة
يأكلها الديدان ثم يرجع الى نفسه ويعلم انه كواحد منهم امله
كاملهم ومصرعه كمصرعهم ثم ينظر في اعضائه وينظر كيف تتفتت
والى حدقته كيف يأكلها الدود والى لسانه كيف ينفجر و
يصير جيفة في فيه فان افعلت ذلك تتنغص عليك الدنيا وكنت
سعيدا اذ السعيد من وعظ بغيره فلذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ايها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكأن الحق فيها
على غيرنا وجب وكأن الذين نشيع من الاموات سفر عن قريب
الينا راجعون نبوئهم اجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم
قد نسينا كل واعظة وامنا كل جائحة **فصل** اصل الغفلة من طول الامل

عنه الامل وذلك عين الجهل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر
رضي الله عنهما اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت
فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك
فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا وقال صلى الله عليه وسلم ان اخوف
ما اخاف على امتي خصلتان اتباع الهوى وطول الامل واشترى
اسامة وليدة الى شهرين بمائة فقال صلى الله عليه وسلم الا تعجبون
من اسامة المشتري الى شهرين ان اسامة لطويل الامل والذي
نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري لا يلتقيان
حتى يقبض الله عز وجل روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعها
حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها
من الموت ثم قال يا بني ادم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم في الموتى
والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نجا اول هذه الامة باليقين والزهد و
يهلك اخر هذه الامة بالبخل والامل وقال عليه السلام اكلكم
يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم قال قصروا اآمالكم واجعلوا اجالكم

بين الصلاة كلم واستحيوا من الله حق الحياء، اعلم ان العارف الكامل
المنتهي ترى بذكر الله وحده مستغن عن ذكر الموت بل حاله الفناء
في التوحيد الا التفات له الى الماضي ولا الى المستقبل ولا الى الحال
ابدا حال بل هو ابن وقته يعني كمتحد بمذكوره ولست اقول متحد
بالذات فلا تغفل فتغلط او ينسى وكذلك يفارقه الخوف والرجاء
يعني مستغن عن ذكر الخوف والرجاء
لانهما سوطان يسوقان العبد الى هذه الحالة التي متوسل بسببها بالذات
فكيف يذكر الموت وانما يراد ذكر الموت لقطع علاقة قلبه عن
يفارقه بالموت والعارف قد مات مرة في حق الدنيا وفي حق كل
ما يفارقه بالموت فانه قد ترفع وتنزه عن الالتفات الى الآخرة
ايضا فضلا عن الدنيا وقد تنغص عليه ما سوى الله عز وجل فلم
يبق له من الموت الا كشف الغطاء ليزداد به وضوحا لا ليزداد
يقينا وهو معنى قول علي لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا
فان الناظر الى شيء من وراء ستر لا يزداد برفع الستر يقينا بل
وضوحا فقط فاذا ذكر الموت يحتاج اليه من اقبل التفاته
الى الدنيا ليعلم انه سيفارقها فلا يعتكف بهمته عليها ولذلك

قال

قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت
فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك
مجزي به فصل لعلك تشتهي ان تعرف حقيقة الموت وماهيته
ولن تعرف ذلك ما لم تعرف حقيقة الحياة ولن تعرف حقيقة
الحياة ما لم تعرف حقيقة الروح وهي نفسك وحقيقتك وهي اخفى
الاشياء عنك ولا تطمع في ان تعرف ربك قبل ان تعرف نفسك
واعني بنفسك روحك التي هي خاصية الامر المضافة الى الرب في قوله
قل الروح من امر ربي وفي قوله ونفخت فيه من روحي دون الروح الجسماني
اللطيف الذي هو حامل قوة الحس والحركة التي تنبعث من القلب
وتنتشر في جملة البدن في تجاويف العروق الضوارب فيفيض
منها نور الحس البصر على العين ونور السمع على الاذن وكذا ساير القوى
والحواس كما يفيض من السراج نور على حيطان البيت اذا ادير في جوانبه
فان هذه الروح تشارك البهائم فيها وتنمحق بالموت لانه بخار
اعتدل نضجه عند اعتدال مزاج الاخلاط فاذا انحل المزاج بطل
كما يبطل النور الفايض من السراج عند انطفاء السراج بانقطاع الدهن

عنه او بالنفخ فيه وبانقطاع الغذاء عن الحيوان تفسد هذه الروح
لان الغذاء له كالدهن في السراج والقتل له كالنفخ في السراج فهذه
هي الروح التي يتصرف في تعديلها وتقويتها علم الطب ولا تحمل
هذه الروح المعرفة والامانة بل الحامل للامانة الروح الخاصة
للانسان ونعني بالامانة تقلد عهدة التكليف بان يتعرض لخطر
الثواب والعقاب بالطاعة والمعصية وهذه الروح لا تموت ولا
تفنى بل تبقى بعد الموت اما في نعيم وسعادة او في جحيم وشقاوة
فانه محل المعرفة والتراب لا ياكل محل المعرفة والايمان اصلا
كما نطقت به الاخبار وشهدت له شواهد الاستبصار ولم ياذن
الشرع في تحقيق صفته اذ لا يحتمله الا الراسخون في العلم ولذ
نذكر ولدن عجائب الاوصاف ما لم يحتمله اكثر عقول الخلق في شرح الروح
ولا نطمع في ذكر حقيقته وانتظر تلويحا يسيرا من ذكر صفته بعد
الموت فصل هذه الروح لا تفنى البتة ولا تموت بل تتبدل
بالموت حالها وتتبدل منزلها فتترقى من منزل الى منزل
والقبر في حقها اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار

اذ لم يكن لها مع البدن علاقة سوى استعمالها البدن واقتناصها
اوايل المعرفة به بواسطة شبكة الحواس فالبدن آلتها ومركبها
وشبكتها وبطلان الآلة والمركب والشبكة لا يوجب بطلان
الصياد نعم ان بطلت الشبكة بعد الفراغ من الصيد فبطلانها
غنيمة اذ يتخلص من حملها وثقلها ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم الموت تحفة المؤمن وان بطلت الشبكة قبل الصيد عظمت
فيه الحسرة والندامة والالم ولذلك يقول المقصر رب ارجعون
قد لعلي اعمل صالحا فيما تركت بل ان كان قد الف الشبكة واحبها وتعلق قلبه
بها وبحسن صورتها وصنعتها وما يتعلق بها كان له العذاب
ضعفان احدهما حسرة فوات الصيد الذي لا يقتنص الا بالشبكة
البدن والثاني زوال الشبكة مع تعلق القلب بها وتعلق
القلب والفه لها وهذا مبدأ من مبادي معرفة عذاب القبر
ان تفهمته قطعا فصل لعلك تشتهي استقصاء القول الى
التحقيق فاعلم ان هذا الكتاب لا يحتمله واقنع منه بالانموذج
اليسير وافهم ان معنى الموت مفارقة البدن وانت تعرف ان

زمانة للبدن خروجها عن طاعتك مع وجود شخصها لبطلان القوى
التي بواسطتها تستعمل البدن فافهم ان الموت زمانة مطلقة
في جميع الاعضاء ببطلان قواها وسلب الموت منك يدك و
رجلك وعينك وسائر حواسك وانت باق اعني حقيقتك
التي انت بها انت فانك الآن الانسان الذي كنت في الصبى ولعله
لم يبق فيك من تلك الاجسام شيء بل انحلت كلها وحصل بالغذاء
بدلها وانت انت وجسدك غير ذلك الجسد وان كان لك معشوق
تفتقر فيه الى [illegible] حواسك عظم عذابك بفراق معشوقك
وجميع ملك الدنيا معشوق ولا ينال الا بالحواس ولا فرق
في عذاب العاشق بين ان يحجب عنه معشوقه وبين ان يحجب هو
عنه او يسلب موضعه بان يحمل الى موضع حتى لا يراه فان عنه [illegible]
الالم من عدم الرؤية ومن احب اهله وماله وعقاره وفرسه
وجاريته وثيابه يالم بفراقها سواء سلبت هذه الاشياء
عنه او سلب موضعها بان حمل الى موضع آخر وحيل بينه وبينها
والموت يسلبك عن [illegible] الاشياء ويحول بينك وبينها فيكون

عذابك

بقدر عشقك لها والموت يخلي بينك وبين الله تعالى ويقطع عنك هذه
الحواس الشاغلة المشوشة فتكون لذلك في القدوم على الله عز وجل
بقدر حبك وانسك بذكره ولاجل هذا ابتهلك وقال انا نزلي اللازم
فالهزل لازم نزل واجمع العبارات عن نعيم الجنة ان لهم فيها ما يشتهون
واجمع العبارات لعذاب الآخرة قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون
ولا لذة الا للشهوة ولكن عند مصادمة المشتهي ولا مؤلم الا
الشهوة ولكن عند مفارقة المشتهي ولا ينبغي ان تغتر الآن فتقول
ان كان هذا سبب عذاب القبر فانا في امان منه اذ لا علاقة بين
قلبي وبين متاع الدنيا فان هذا لا تدركه بالحقيقة ما لم تقطع الدنيا
وتخرج عنها بالكلية فكم من رجل باع جارية على ظن انه لا علاقة بينه
وبينها فلما اخذها المشتري اشتعل في قلبه نيران الفراق واحترق
بها احتراقا ربما القى نفسه في الماء والنار ليقتل نفسه ويتخلص منها
فكذلك يكون حالك في القبر في كل ما يتعلق به قلبك في الدنيا ولذلك قال جبريل
للمصطفى احبب ما احببت فانك مفارقه ووراء هذا عذاب اعظم
منه وهو حسرة الحرمان عن القرب من الله عز وجل والنظر الى وجهه

الكرم ويكشف بالموت عظيم قدر ما فات منه وانكان لا يعظم قدره
عنده قبل الموت لان الموت سبب الانكشاف ما لم يكن انكشف
قبله كما ان النوم سبب لانكشاف الغيب بمثال او غير مثال والنوم
اخ الموت ولكنه دونه بكثير فهذان عذابان يتضاعفان على كل ميت
كان عند الله احب اليه من الله تعالى وكان انسه بغير الله اكثر من انسه بالله
ومما ضروريات ان عرفت بالحقيقة الروح وبقاه بعد الموت وعلاقته
وما يضاده وما يوافقه بالطبع فصل فلعلك تقول المشهور
عند اهل العلم ان الانسان يعدم بالموت ثم يعاد وان عذاب القبر
يكون بنيران وعقارب وحيات وما ذكرته يخالف ذلك فاعلم
ان من قال ان الموت معناه العدم فهو محجوب بحضيض التقليد
نوذ. وبقايا الاستبصار جميعا ان تاخذ ما تعرفه عن ذوق الاستبصار فلا
تدركه ما لم تستبصر واما ما تاخذه عن التقليد فتعرفه بشواهد
الايات والاخبار قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله
الاية فهولاء الشهداء واما الاشقياء فقد نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوم

يوم بدر لما قتلوا فكان يقول يا فلان يا فلان يذكر واحدا واحدا من صناديدهم
قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل
يا رسول الله اتناديهم وهم اموات فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع
لكلامي منهم لكنهم لا يقدرون على الجواب وقال صلى الله عليه وسلم الموت
هو القيامة ومن مات فقد قامت قيامته واراد بهذه القيامة
الصغرى والقيامة الكبرى تكون بعدها وشرح القيامة الصغرى
ان اردته فاطلبه من كتاب الصبر من كتب الاحياء والاخبار في الدالة
على بقاء الروح للموتى وشعورهم بما يجري في هذا العالم كثيرة
فصل فاما قولك ان المشهور ان عذاب القبر التالم بالنيران
والعقارب والحيات فهذا صحيح وهو كذلك ولكني اراك عاجزا عن
فهمه ودرك سره وحقيقته الا اني انبهك على انموذج منه تشويقا
لك الى معرفة الحقايق والتشمر للاستعداد لامر الاخرة فانه نبأ
عظيم انتم عنه معرضون فقد قال عليه السلام المؤمن في قبره في
روضة خضراء قد فتح له قبره سبعين ذراعا ويضيء وجهه حتى
يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما انزلت فان له معيشة

قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة
وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية
لكل حية تسع رؤوس ينهشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه إلى يوم
يبعثون فانظروا لهذا الحديث واعلم أن هذا حق على هذا الوجه
الذي شاهده أهل البصائر ببصيرة أوضح من البصر الظاهر والجاهل
ينكره إذ يقول إني أنظر في قبره فلا أرى ذلك أصلا فليعلم الجاهل
أن هذا التنين ليس خارجا من ذات الميت حتى ذات روحه لا
ذات جسده فإن الروح هي التي تتألم وتتنعم بل كان معه قبل موته
متمكنا بالمه لكنه لم يكن يحس بلدغه لحدوث كان فيه لغلبة الشهوات
فأحس بلدغه بعد الموت وتحقق أن هذا التنين مركب من صفاته
وعدد رؤوسه بقدر عدد أخلاقه الذميمة وشهواته لمتاع الدنيا
وأصل هذا التنين حب الدنيا وتتشعب عنه رؤوس بعدد ما
تتشعب عن حب الدنيا من الحسد والحقد والرياء والكبر والترفع
والمكر والخداع وحب الجاه والمال والعداوة والبغضاء وأصل
ذلك معلوم بالبصيرة ولذا كثرة رؤوسه للداغة وأما انحصار

عدد ها

١٣١

عدد هذه تسعة وتسعين إنما يوقف عليه بنور النبوة فقط فهذا
التنين متمكن في صميم فؤاد الكافر لا بمجرد جهله بالله بل بما يدعو
إليه الكفر كما قال في ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وقال
في أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها الآية وهذا التنين
لو كان كما يظنه خارجا من ذات الميت لكان أهون إذ ربما يتصور
أن ينحرف عنه التنين أو ينحرف عنه ساعة لا بل هو متمكن من صميم فؤاده
تلدغه التنين لدغا أعظم مما تفهمه من لدغ التنين وهو عينه صفاته
التي كانت معه في حياته كما أن التنين الذي يلدغ قلب العاشق إذا ضاع
جاريته هو بعينه العشق الذي كان مستكنا في قلبه استكنان النار في
الحجر وهو غافل عنه فقد انقلب ما كان سبب لذته سبب ألمه وهذا
سر ما قال صلى الله عليه وسلم إنما هي أعمالكم ترد وقوله في يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا
بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد بل سر قوله في كلا لو تعلمون
علم اليقين لترون الجحيم أي أن الجحيم في باطنكم فاطلبوها بعلم اليقين
لتروها قبل أن تدركوها بعين اليقين بل سر قوله في ويستعجلونك

بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ولم يقل انها ستحيط بل قال
هي محيطة وقوله عز وجل انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها
ولم يقل يحيط بهم وموضع قول من قال ان الجنة والنار مخلوقتان
وقد انطق الله سبحانه لسانه بالحق ولعله لا يطلع على سر ما يقوله
فان لم يفهم بعض معاني القرآن كذلك فليس له نصيب من القرآن
الا في قشوره كما ليس للبهيمة نصيب من البر الا في قشره الذي هو
التبن والقرآن غذاء الخلق كلهم على اختلاف اصنافهم ولكن
اغتذاؤهم به على قدر درجاتهم وفي كل غذاء مخ ونخالة وتبن وحرص
الحمار على التبن اشد منه على الخبز المتخذ من اللب وانت شديد
الحرص على ان لا تفارق درجة البهيمة ولا ترتقي الى رتبة الانسانية
بل الى الملكية فدونك الانسراح في رياض القرآن ففيه متاع لكم
ولانعامكم فصل فان قلت فهل يتمثل هذا التمثل
تشاهده مشاهدة تضاهي ادراك البصر ام هو تألم محض في ذاته
كتألم العاشق اذا حيل بينه وبين معشوقه فاقول لا بل يتمثل
له تمثلا يشاهده لكن تمثلا روحانيا على وجه يدركه من هو بعد
ميت

عالم

في عالم الشهادة اذا انظر في قبره فان ذلك من عالم الملكوت نعم العاشق
ايضا قد ينام فيتمثل له حاله في المنام فيرى حية تلدغ صميم
فؤاده لانه بعد بالنوم من عالم الشهادة قليلا فيتمثل له حقائق
الاشياء تمثلا محاكيا للحقيقة منكشفا له من عالم الملكوت والموت
ابلغ في الكشف من النوم لانه اقطع لعلائق الحس والخيال وابلغ في تجريد
الروح عن هذا العالم فلا جرم يكون ذلك التمثل تمثلا محققا
دائما لا يزول فانه نوم لا ينتبه منه الا يوم القيامة لقد كنت في غفلة
من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد واعلم ان المستيقظ
بجنب النائم اذا كان لا يشاهد الحية التي تلدغ النائم فذلك غير
مانع من وجود الحية في حقه في حصول الالم به كذلك حال الميت في القبر
فصل لعلك تقول قد ابتدعت قولا مخالفا للمشهور ومنكرا عند
الجمهور اذ زعمت ان انواع عذاب الآخرة مدركة بنور البصيرة
والمشاهدة ادراكا مجاوزا حد تقليد الشرائع فهل يمكنك ان كان
كذلك حصر اصناف العذاب وتفاصيله فاعلم ان مخالفتي الجمهور
لا انكرها وكيف تنكر مخالفة المسافر للجمهور فان الجمهور مستقرون

في البلد الذي هو مسقط رؤسهم ومحل ولادتهم وهو المنزل الاول من
منازل وجودهم وانما يسافر منهم الآحاد واعلم ان البدن منزل
البدن والقالب وانما منازل الروح الانساني عوالم الادراكات
والمحسوسات منزله الاول والمتخيلات منزله الثاني والموهومات
منزله الثالث ~~الثالث~~ ومادام الانسان في المنزل الاول فهو
دود وفراش فان فراش النار ليس له الا الاحساس ولو كان له تخيل
وحفظ للمتخيل بعد الاحساس لما تهافت على النار مرة بعد اخرى
وقد تاذى بها اولا فان الطير وساير الحيوانات اذا تاذى
في موضع بالضرب يفر منه ولم يعاوده لانه بلغ المنزل الثاني
وهو حفظ المتخيلات بعد غيبوبتها عن الحس ومادام الانسان
في المنزل الثاني بعد فهو بهيمة ناقصة الحذر ان يحذر عن
شي تاذى به مرة ومالم يتاذ بشي فلا يدري انه يحذر منه
ومادام في المنزل الثالث وهو الموهومات فهو بهيمة كاملة
كالفرس مثله فانه قد يحذر من الاسد اذا راه اولا وان لم يتاذ
به قط فلا يكون حذره موقوفا على ان يتاذى به مرة بل الشاة



ترى الذيب اولا فتحذر وترى الجمل والبقر وهما اعظم منه شكلا
واهول صورة فلا تحذرهما اذ ليس في طبعهما ايذاؤها وبلاؤها
الى الآن يشاركه البهايم فبعد هذا يترقى الانسان الى العالم
الانسانية فيدرك اشياء لا تدخل في حس ولا تخيل ولا وهم و
يحذر به الامور المستقبلة ولا يقتصر حذره على العاجلة اقتصار
حذر الشاة على ما تشاهده في الحال من الذيب ومن هاهنا يصير
الحقيقة الانسانية والحقيقة هي الروح المنسوبة الى الله في قوله
ونفخت فيه من روحي وفي هذا العالم يفتح له باب الملكوت
فيشاهد الارواح المجردة عن كسوة التلبيس وغشاوة الاشكال
وهذا العالم لا نهاية له مجاوز للاجسام وملتصقة بها و
الاجسام لا يتصور ان يكون غير متناهية والسير في هذا العالم
مثاله المشي على الماء ثم يترقى منه الى المشي في الهواء ولذلك لما قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام مشى على الماء فقال نعم
ولو ازداد يقينا لمشى في الهواء واما الترقي عن المحسوسات
فهو اولا يمشي على الارض وبينها وبين الماء عالم يجري مجرى السفينة

وفيها يتولد حركات الشياطين حتى يجاوز الانسان عوالم البهايم
فينتهي الى عالم الشياطين ومنها يسافر الى عالم الملايكة وقد
ينزل فيه ويستقر وشرح ذلك يطول وهذه العوالم كلها منازل
الهدى ولكن الهدى المنسوب الى الله تع يوجد في هذا العالم
الرابع وهو عالم الارواح وهو قوله تع قل ان الهدى هدى
ومقام كل انسان ومحله ومنزلته في العلو والسفل بقدر
ادراكه وهو معنى قول علي رضي الله عنه الناس ابنا ما
يحسنون فالانسان بين ان يكون دودا او حمارا او فرسا
او شيطانا ثم يجاوز ذلك فيصير ملكا وللملايكة درجات
فمنهم الارضية ومنهم السماوية ومنهم المقربون المرتفعون
عن الالتفات الى السماء والارض القاصرون نظرهم على جمال
الحضرة الربوبية وملاحظة الوجه خاصة وهم ابدا في دار البقاء
اذ ملحوظهم هو الوجه الباقي وما عدا ذلك فالى الفنا مصيره
اعني السماء والارض وما يتعلق بهما من المحسوسات والتخيلات
والموهومات فهو معنى قوله تع كل من عليها فان ويبقى وجه

ربك

ربك ذو الجلال والاكرام وهذه العوالم منازل سفر الانسانية
ليترقى من حضيض درجة البهايم الى يفاع رتبة الملايكة ثم يترقى
من رتبتهم الى رتبة العشاق منهم وهم العاكفون على ملاحظة
جمال الوجه يسبحون للوجه ويقدسونه بالليل والنهار لا يفترون
فانظر الان الى خسة الانسان وشرفه والى بعد مراقيه في معراجه
والى انحطاط درجاته في تسفله وكل الادميين مردودون الى اسفل
السافلين ثم الذين امنوا وعملوا الصالحات يترقون منها فلهم
اجر غير ممنون مقطوع وسوحا الى الوجه وبهذا يفهم معنى قوله تع انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن
منها وحملها الانسان الاية لان معنى الامانة التعرض للعهدة
والخطر ولا خطر على سكان الارض وهم البهايم اذ ليس لهم امكان
الترقي من المنزل الثالث ولا خطر على الملايكة اذ ليس لهم
خطر الانحطاط الى حضيض عالم البهايم وانظر الى الانسان وعجايب
عوالمه كيف يعرج الى السماء العلى وقتا ويهوي الى الارض
الحقيرة هويا مستقلا هذا الخطر العظيم الذي لم يتفق في الوجود

محمد محمد

عيني فيا مسكين كيف تتهددني بالعاقبة وتحتج في مجادلتي بالجمهور
ومخالفة المشهور وبذلك فرحي وسروري ان الذين يكرهون
مني ذلك الذي يشتهيه قلبي فانظر لمن هذا الهذيان ولا تنتفع
لي بعد هذا البيان وضلوا واما فطانتك اي بتفصيل
عذاب الآخرة وذكر اصنافه فلا تطمع بالتفصيل فذكر ما هي الى قد قدمنا
الملال والتطويل واقنع بذكر الاوصاف وقد ظهر لي بالمشاهدة
ظهورا اوضح من العيان ان اصناف عذاب الآخرة ثلثة اعني الروحاني
منها فرقة المشتهيات وخزي خجلة الفاضحات وحسرة
فوات المحبوبات فهذه ثلثة انواع من النيران الروحانية ويتعاقب
على روح من آثر الحياة الدنيا الى ان ينتهي الى مقاسات النار
الجسمانية فان ذلك يكون في آخر الامر فخذ الآن شرح هذه الاصناف
فالصنف الاول حرقة فرقة المشتهيات وصورته المستعار
من عالم الحس والتخيل التنين الذي وصفه الشرع ومن عدد رؤس
وهي بعدد الشهوات ورذائل الصفات التي صميم الفؤاد لدغا
مسلما وان كان البدن بمعزل عنه فقدر في نفسك هذا الملك مستو

مستوليا على جميع الارض متمكنا من جميع الملاذ متمتعا بها منتهزا
لوجوه الحسنات منها الكاعبيها مشغوفا بالاماني واستعباد
للخلق بالطاعة مطاعا فيهم في قبضته عدوه واسترقه واستعمله
على مهله في رعيته في تحقيق ذلك به وصار يتمتع بالنعمة ويستمتع باهله
وجواريه بين يديه ويتصرف في خزائنه وذخائر امواله ينفقها
على عدائه ومعاندته فانظر الآن هل ترى على كبده تنتلفا
رؤس كثيرة تلدغ صميم فؤاده وبدنه ... راحته وهو مريد
لو انه يبتلى بدنه بامراض وآلام يتخلص منه فهو قسم هذا
فربما يتمنى فليلان الحطمة التي فيها نار الله الموقدة التي تطلع
على الافئدة اغدق لمن جمع مالا وعدده يحسب ان ماله
اخلده واعلم ان عذاب كل ميت بقدر رؤس هذا التنين وعددهم
الرؤس بعدد المشتهيات فلهذا من كان افقر وتمتعه بالدنيا
اقل كان العذاب عليه اخف ومن لا علاقة له مع الدنيا اصلا
فلا عقاب عليه اصلا الصنف الثاني خزي خجلة الفاضحات

فقدر رجلا خسيسا رذيلا فقيرا عاجزا قربه ملك من الملوك و
رفعه وقواه وخلع عليه وسلم اليه نيابة ملكه ومكنه من دخول
حريمه وجعله خزانته اعتمادا على امانته فلما عظمت عليه نعمه
طغى وبغى وصار يختلس من خزانته ويفجر باهل الملك وبناته وسراياه
وهو في جميع ذلك يظهر الامانة للملك ويعتقد انه لا يطلع على
خيانته فبينما هو في غمرة فجوره وخيانته اذ لاحظ روزنة فرأى
فيها الملك مطلعا عليه منها وعلم ان الملك كان يطلع عليه
كل يوم وليلة ولكنه كان يغض عنه ويمهله حتى يزداد خبثا
وفجورا ويزداد استحقاقا للنكال ليصب عليه في الآخرة انواع
العذاب فانظر الآن الى قلبه كيف يحترق بنار الخزي والخجلة
وبدنه بمعزل عنه وكيف يريد ان يعذب بدنه بكل عذاب
ويكتم خزيه فكذلك انت تتعاطى في الدنيا اعمالا هي مشتهيا لك
ولتلك الاعمال ارواح وحقائق خبيثة قبيحة وانت جاهل بها
معتقد حسنها فينكشف لك في الآخرة حقائقها في صورها القبيحة
فتخزى وتخجل خجلة توفي عليها الم بدنك فان قلت

كيف

كيف ينكشف الى ارواحها وحقائقها فاعلم انك لا تفهمه الا بمثال
فمن جملته مثلا ان يؤذن رجل في رمضان قبل الصبح فيرى
في المنام ان بيده خاتما يختم به افواه الرجال وفروج النساء
فيقول له ابن سيرين هذا رايته لانك تؤذن قبل الصبح فتأمل الآن
انه لما بعد بالنوم قليلا عن عالم الحس الجسماني انكشف له روح عمله لكن
لا كان بعد في عالم التخيل لان النائم لا يزال تخيله غشاه الخيال
بمثال متخيل وهو الخاتم والختم لكنه مثال ادل على روح العمل
من نفس الاذان لان عالم المنام اقرب الى العالم الآخر فالتلبيس
فيه اضعف قليلا وليس يخلو عن تلبيس ولاجله يحتاج الى التعبير
ولو قال قايل لهذا المؤذن اما تستحيي ان تاكل لحم اخيك الميت فلان
قلت معاذ الله ان افعل ذلك ولان اموت جوعا اهون علي من ذلك
فنظرت فاذا امسو لحم اخيك الميت قد طبخ وقدم اليك ولبس
عليك فانظر كيف تختزي وتفتضح به وبدنك بمعزل عن المه
فكذلك يرى المغتاب نفسه في الآخرة لان روح الغيبة تمزيق اعراض
الاخوان والتفكه بها وفي عالم الآخرة ينكشف ارواح الاشياء

وصفايوتها ولو لكم لو انت ترمي حجارة الى حايط في دارك وقايل اما تستحيي
ان تفعل ذلك والحجارة ترد من الحايط وتقع في دارك وتصيب
حدقة اولادكم فقد عميت احداقهم كلهم فقلت معاذ الله تعالى ان افعل
ذلك فقال ادخل دارك فدخلت فاذا اسود لك فانظر كيف تفتضح
وتحترق فلسكن تحشر اعلى عمرك الذي ملئت انه هين وهو
عند الله عظيم [illegible] ذلك الخيل فانك تحشر [illegible] والنظر
وتتغاشى عليك [illegible] دينك وتشغل [illegible] انك [illegible] وصي
قرة [illegible] انه سبب سعادة الابد فهي اكرم حدقة الولد فاذا
انكشف لك سر هذا الزوح فانظر كيف تحترق بنيران الفضيحة
وبذلك تعتزل عنه والقرآن اكثر اشياء يعبر عن الارواح فلذلك
قال تعالى في الغيبة ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه فكرهتموه واتقوا الله
وقال الله تعالى في الحسد يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فيكفيك
من الامثلة مثال الاذان والغيبة والحسد فقس عليه كل فعل نهاك
الشرع عنه فذلك [illegible] وحسن ظاهره الى
ظاهر حسن [illegible] الشيخ [illegible] انا ظاهر من مشكاة
نور ال[illegible]

عيب العقلاء

نور الله عز وجل وفي هذا اعتبر الشرع حيث قال تعالى من الدنيا يوم
القيامة في صورة عجوز شوهاء زرقاء صفتها كيت وكيت لا يراها
احد الا ويقول اعوذ بالله منها فيقال هذه دنياكم التي كنتم تتهافتون
عليها فيصادفون في نفوسهم من الخزي والفضيحة ما يؤثرون النار
عليه فان اردت ان تفهم كيفية هذه الجملة فاسمع حكاية رجل من ابناء
الملوك زوج باجمل امرأة من بنات الملوك فشرب تلك الليلة
فسكر واخطأ باب الحجرة فخرج من الدار وضل ورأى ضوء سراج
فقصده على ظن انها من حجرته فدخل الموضع فرأى جماعة نياما
فصاح بهم فلم يجيبوه فظن انهم نيام فطلب العروس فرأى
واحدا نايما في ثياب جديدة فظن انها العروس فضاجعها
واخذ يقلبها ويغشاها ويجعل لسانه في فيها ويمص ريقها و
يتلذذ بذلك في سكره غاية التلذذ ويتمتع بالرطوبات التي
تصيبه من جميع بدنها على ظن ان ذلك عطر زخرفها له فيها فلما
اصبح افاق فاذا هو في ناووس المجوس واذا النيام موتى و
هذه عجوز شوهاء قريبة العهد بالموت عليها الحنوط وكفنها
زنشت

جديد فصار في فمه وانقذر رطوبات ريقها ومخاطها وعلى
بدنها قاذورات اسافلها فاذا امسوه قدّنه الى قدمه ممتلى
من قاذوراتها لم تتفكر في غشيانها اياها وابتلاعه ريقها في
على قلبه من الخزي ما تمنى ان يخسف الله به الارض حتى هي مع ما جرى
عليه ولا يزال يعاود ذكره ولا ينساه اصلا بل يجد نفسه كما
عملت من سوء مخبر ابو د ان بينهما بينه ابعد البعيدين وكذا
بعذابهن هذا الخزي والالم وسوف عذاب دائم من الغشا
والنجو وتذكر تلك المخازي ويحزن ان يطلع عليها احد فتنة
حزنه واذا اسمر بابيه وجميع حشمه ثم اجابوا في طلبه واطلعوا
على جميع مخازيه فهذا حال من تمتع بالدنيا ينكشف له كذلك
روحه وحقيقته وهو معنى قوله تع وحصل ما في الصدور اي تعرض
عليها حاصلها اي روحها وحقيقتها او معنى قوله يوم تبلى
السرائر اي يكشف عن اسرار الاعمال واوجهها القبيحة او الحسـ
او الحسنة وكان اطيب الطعام ... افخر و ... فالذ
... اقبح وافضح ولذلك
شهوات الدنيا وحاصلها و ... الاخر

شبه

شبّه رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا بالطعام وعاقبتها بالرجيع

الصنف الثالث حسرة فوات المحبوبات فقدّر نفسك مع
جماعة من اقرانك دخلتم في ظلمة فكان فيها حجارة لا ترى الوانها
فقال اقرانك تحمل من هذا ما تطيق لعله يكون فيه ما ننتفع به اذا خرجنا
من الظلمة فقلت وماذا اصنع بها اتحمل في الحال ثقلها والكد بنفسي
بنفسه وانا لا ادري عاقبته فما هذا الا جهد عظيم فان العاقل لا
يترك الراحة نقدا بما يتوقعه نسيئة ولا يتيقنه فاخذ كل
واحد من اقرانك ما اطاق اخذه واعرضت عن ذلك استحمقتهم
وتسخر منهم لانهم يتوقون تحت اعبائه وثقله وانت مخف في
في الطريق تعدو وتضحك منهم فلما جاوزوا الظلمة نظروا فاذا
هي جواهر ويواقيت يساوي كل واحد الف دينار
فاقبلوا على بيعها وتوصلوا بها الى الجاه والنعمة واصبحوا ملوك
الارض واخذوا استسخروا التعهد دوابهم وينفقون
عليك في كل يوم قدرا يسيرا من فضلات الطعام فكيف ترى اشتعال
نيران الحسرة في قلبك وبذلك يعزل عنهم ويقول يا حسرتا

في طاعة الله

فلم على ما فرطت في جنب الله ويا ليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا
نعمل وتقول لهم أفيضوا علينا من الماء مما أفيض عليكم فيقولون
لك هذا حرام عليك ألم تكن تسخر منا وتضحك علينا فلا بد
وأن نسخر اليوم منك كما كنت تسخر منا فلا يزال ينقطع نياط
قلبك من التحسر التحسر ولكن تسلي وتقول الموت يخلصني من هذا
فاعلم أن حال تارك الطاعات في الآخرة كذلك ينكشف له ولكن لا
تطمع في الموت المخلص بل هي حسرة أبدية دائمة والألم
يتضاعف كل يوم وإن كان البدن بمعزل عنها وعنه العبارة
بقوله تعالى أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله
حرمهما على الكافرين وكذلك يفيض على أهل المعرفة والطاعة من أنوار
جمال الوجه ما يحصل به من اللذة ما يبلغ أنواره نعيم الدنيا بل
يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات كما ورد
به الخبر لا بمعنى تضاعف المقدار بالمساحة بل بتضاعف الأرواح
كما أن الجوهرة تكون عشرة أمثال الفرس لا بالوزن و
المقدار بل بروح المالية إذ قيمتها عشرة أمثاله واعلم أن تحريم

تلك

تلك اللذة وإفاضتها عليهم ليس من جنس تحريم الرجل نعمته على غيره
غضب أو باختيار حتى يتصور تغييره بل هو كتحريم الله تعالى على الأبيض
أن يكون أسود في حالة البياض وعلى الحار أن يكون باردا في حالة
الحرارة وذلك لا يتصور فيه التبديل بل مثاله ذلك أن يقول رجل
شيخ العالم الكامل وهو من الجهال الذي كان بليدا في أصل الفطرة
ولم يمارس قط علما ولم يتعلم لغة أفض علي قلبي من دقائق علومك
فيقول إن الله تعالى حرمه على الجاهلين معناه أن الاستعداد لقبوله
إنما يكتسب بذكاء فطري أصلي وممارسة طويلة للعلم بعد تعلم
اللغة والعربية وأمور أخر كثيرة وإذا بطل الاستعداد وفات
استحالة الإفاضة كما تستحيل إفاضة الحرارة على البرودة مع بقاء
البرودة فلا تظنن أن الله تعالى يغضب عليك فيعاقبك
انتقاما ثم تخدع نفسك برجاء العفو وتقول لم يعذبني ولم يضره
معصيتي بل يلزم العذاب من المعصية كما يلزم الموت من السم
واعلم أن هذه الحسرة دائمة لأن منشأها تضاد الصفتين
لا يزول تضادهما أبدا مثاله أن الذي يتعلق بحبل من

خفة و ثقل انما نشأ من اختلاف الصنفين الصورة الحاصلة الثقيل
لكن صفته بالطبيعة تطلب الهوي الى الاسفل والمنع القهري
يمانع الصفة الطبيعية فيتولد الالم بسبب تمانعهما وكذلك روح الانسان
من الروح الرحماني الالهي باصل فطرته وله بحكم الطبع حنين وشوق
الى عالم العلوي عالم الارواح ومرافقة الملأ الاعلى ولكن الغلال
[illegible] انما تجذب بها الى الاسفل [illegible]
[illegible] عارضة فتصادمت الصفة الطبيعية و[illegible]
[illegible] تماسا والالم يتولد من بينهما والنار ايضا انما تولم
للمضادة فان الملايم للتركيب بقاء الاتصال والنار تضاد الاتصال
بالتفريق بين الاجزاء ولو لم تكن قد رأيت النار وسمعت مخبرا
بان شيئا لطيفا يتالم ببدنك فيولمك لاستنكرته وقلت
شيء لا اصل له فيه كيف يولم بالمس واعلم ان التضاد مولم سواء
كان بسبب خارج او داخل فان سم العقرب في العضو يولم
بفرط برودته المضادة لحرارة البدن فلا تظن ان الالام
كلها تحصل من خارج فان قلت ان العقرب اذا لدغت من خارج

فاعلم ان الم السن والم العين ليس [illegible] الا بسبب انصباب
خلط داخل مضاد لمزاج العين او السن ولسوق ذكر ما هو من لدغ
الحية والعقرب واعلم ان تضاد الصفات على القلب يولم القلب
ايلاما لا ينقص عما يولم السن والعين حسا لكن في اضعف الصفات
ان البخيل المرائي اذا طلب منه عطية على ملأ من الناس عند من
يريد ان يعرفوه بالسخاء تالم قلبه لتضاد صفتين اذ البخل
يتقاضاه ان لا يعطي وحب الجاه يتقاضاه ان يعطي فيبقى بين الصفتين
كشخص ينشر بمنشار بنصفين فهذا مثال حسرة المعذب و قطعها
بقدر ما ينكشف من جلال قدرة الغايب ولا تعلمه بالحقيقة في هذا العالم
بل في عالم الكشف و[illegible] اعظم الالم عنه معرضون واعلم ان هذه
الاصناف الثلاثة لها ترتيب فالصنف الاول الذي يلقاه الميت المعذب
وهو حرقة فرقة المشتهيات وذلك تمثيل حب الدنيا ولذلك
اضيف ذكره الى القبر وانما سبق هذا لان اغلب الاشياء على قلب
الميت في الحال فراق ما يعقوبه في الدنيا من مال وجاه ومنصب
ونعمة ثم بعد ذلك ينكشف له ارواح الاعمال وحقايقها القبيحة

بكشاف

وذلك عند الانغمار التام في الموت وبعد العهد بغشاوة صفات
الدنيا وكلما كان اغتماسه في الموت اشد فهو للكشف اقبل فيفتضح
عنده عند الخزي الفضيحة ولذلك اضيف هذا الى القيامة
لانه وسط بين منزلة القبر وبين دار القرار ولذلك قال يوم لا يخزي
الله النبي والذين امنوا معه واما حسرة فوت المحبوبات فيستمر
عليه اخرا عند العذاب في النار ففيها يقول افيضوا علينا من الماء او مما
رزقكم الله وهذا لان بعد العهد عن الدنيا ربما يخفف عذاب
النزوع اليها وطول العهد بالكشف يوجب خروجه عن خزي الافتضاح
فان سورة عذاب الخزي تكون عند هجوم الافتضاح ثم يالف الفضيحة
والخزي الفا ما ثم عند فتوره عما قليلا ينبعث حسرة الفوت
اذ ينظر حالة الغائب ثم يبقى حسرة الفوت اخرا ويشبه ان يكون
ذلك لا اخر له وهذا كله تعرفه قطعا اذا عرفت نفسك وعرفت
انك لا تموت لكن تعمى عينك وتصم اذنك وتعطل اعضاؤك واما
حقيقتك التي بها انت انت فلا يغير بالموت اصلا بل تستمر حالك فقط
ويبقى جميع معارفك وادراكاتك الباطنة وشهواتك وانما تعذبك

بفراق

١٤١

بفراق ما احببت وافتضاحك بظهور ما ينكشف في الملكوت وتحسرك على فوات
ما تعرف عظم قدره بعد الموت الا قليلا وهذا كله سوى الات العذاب
الحسي البدني وذكرنا انها حق وله سياق معلوم كما ورد به الآي والاخبار الشرع
واقنع الآن بهذا القدر فان هذا الكلام يكاد يجاوز حد حمل
هذا الكتاب ولا بد ان يحرك سلسلة الحمقى والجاهلين ولكنهم اخس
من ان يلتفت اليهم قال الله عز وجل فاعرض عمن تولى عن ذكرنا
ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولنقتصر على هذا ولنختم
به اصول الاربعين ونختم به كتاب جواهر القرآن ومن طلب مزيدا
على هذا فليطلبه من كتاب ذكر الموت من كتب الاحياء فالغرض
الاظهر من هذه التلويحات التشويق الى الاستقصاء المذكور
في ذلك الكتاب ففيه ينكشف اسرار علوم الدين ولا يعرض طلبه الا
معشوق بالدنيا لا يطلب من العلوم الا ما يتخذ شبكة للحطام
والة لكسب الحرام فلا يناسبه علوم ذلك الكتاب ولا يناسبها

خاتمة في مناظرة النفس

اعلم انا قد نبهناك وشوقناك
فان اعرضت عن الاصغاء او اصغيت بظاهر قلبك كما تصغي الى الكلام

لرسي لقد خبت وخسرت وما ظلمت الا نفسك ومن اظلم ممن ذكر
بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم
اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا
اذا ابدا فان اصغيت اصغاء ذي فطنة وبصير حذير ففكرت
تفكر من له قلب عتيد او القى السمع وهو شهيد واخرج
عن جميع ما يصدك عن سلوك الصراط المستقيم فلا يصدنك عنه الا حب
الدنيا والغفلة عن الله تعالى واليوم الاخر واجتهد ان تفرغ كل
يوم ساعة عقيب صلوة الصبح وذلك عند صفاء الذهن فليدح
فتفكر في شانك وتنظر في مبدايك ومعادك وتحاسب نفسك
وتقول لها اني مسافر تاجر وربحي سعادة الابد ولقاء الله
عز وجل وخسراني شقاوة الابد والحجاب من الله تعالى وراس مالي
عمري وكل نفس من الانفاس كنز من الكنوز وجوهر من الجواهر
اذ تجارته سعادة الابدي كنز اعظم من هذا واذا افنى العمر
انقطعت النجاة وحصل الياس وهذا اليوم يوم جديد قد امهلني
الله تعالى فيه ولو توفاني لكنت اشتهي ان يرجعني الى الدنيا لاعمل صالحا

فاحـ

فاحسبي يا نفس قد توفيت وقد رجعت الى الدنيا يوما واحدا واجتهدي
في هذا اليوم الواحد وانظري لنفسك فان لم تمهلي للغد فقد
ربحت هذا اليوم ولم تتحسري وان امهلت فاستانفي للغد مثل
ذلك ولا تخدعن نفسك بتمني العفو فان ذلك ظن قد يكذب
ولا ينفع التحسر ثم هب انه قد عفي عنك اليس قد فاتك ثواب
المحسنين وناهيك به حسرة وندامة فاذا قالت نفسك ماذا
اعمل وكيف اجتهد فتقول اترك ما يفارقك بالموت والزم
تدرك اللازم وسر الله تعالى واطلب الانس بذكره واذا قالت كيف
اترك الدنيا وقد استحكمت علايقها في قلبي فتقول اقبلي
على قطع علايقها من باطن القلب كما علمناكم في الاصول العزم
من المهلكات ففتشي عن اغلب علاقة من علايقها من حب مال او
جاه او حسد او عداوة او شهوة بطن وفرج او غيره وذلك من
المهلكات ملتمس الا ان يتفكر في عظم افاتها وبقلائلها اياك
فتشتغلي بمجاهدتها ومخالفة مقتضاها وقد تخلصت منها
وايدك الله بتوفيقه ومعونته فقد ذكرت انك مريضة العمر مثلك

الحياة وقوانينا كيف تستطيع صدقة اي حلاوة الاطعمة تضرك وان
الادوية البشعة تنفعك الست تصبرين على الكد والتعب
في السفر طمعًا في الاستراحة في المنزل وانت مسافرة ومنزلك
الآخرة المسافر ان يستريح ويتحمل التعب والكد فان استراح
انقطع في الطريق وهلك وتقول يا نفس ما الذي تطلبين من الدنيا
ان طلبت المال ووجدته وهيهات فيكون في اليهود وجماعة
اغنى منك وان طلبت الجاه ونلت وهيهات فيكون في اجلاف
الاتراك وجهلة الاكراد من يستولي عليك ويكون جاهه اعظم من
جاهك فان كنت لا تدركين آفة الدنيا وشدة عذابها في الآخرة
وبلائها افلا تتزهدين عنها لخسة شركائها اما تعلمين انك
لو اعرضت عن الدنيا واقبلت على الآخرة كنت واحد العصر
وفريد الدهر لا يوجد في الاقاليم نظيرك وان طلبت الدنيا
كان في اليهود والحمقى من يسبقك بها اف لدنيا يسبقك بها
حمير فتفكري يا نفس وانظري لنفسك ولا تنظري لاحد غيرك
ولكنك لا تزال تناظر نفسك حتى تطا وتعز على سلوك الصراط

المستقيم

المستقيم الى الله تعالى فهذه المناظرة اهم لك ان كنت عاقلا من مناظرة
الحنفية والشفعوية والمعتزلة وغيرهم فلم تعاديهم وتجادلهم ولا
يضرك خطاؤهم ولا اخطاء غيرهم ولا هم يقبلون منك ولا انت
تقبل منهم الصواب وان صار اظهر من الشمس فتترك اعدا عدوك
بين جنبيك لانها تعدو الناظر بل تساعده على ما يطالبك به
من شهواته الباطلة الباطنة فتستنبط بالفكر الدقيق الحيل لقضاء
شهوته فهل هذا الا عين الانعكاس والانتكاس على قمة الراس فهل
رايت قط رجلا ليس اهر تحت ثوبه حيات وعقارب اقبلت
عليه لتهلكه فاخذ المروحة ليدفع الذباب عن وجه غيره فهل
يستحق من يفعل ذلك الا الخزي فاعلم ان هذا حالك في اشتغالك
بمناظرة غيرك واعراضك عن مناظرة نفسك وفي هذا العرض ينكشف
لك يوم تبلى السرائر كما تبهت على كيفية مكاشفات
الآخرة باسرار الاعمال وارواحها ومالم تناظر نفسك فهو تطولك
التخلص لمناجاة ربك وذكره والاقبال عليه ثم طريقك مع النفس
اذا خالفتك ان تعاقبها بما يزجرها وتعلم انها لا تطيع الا بالادب

لا بالقرب وان اردت ان تتعلم طريق مناطرتها ومراقبتها
ومحاسبتها ومعاقبتها فاطلبه كتاب المحاسبة والمراقبة
فان هذا الكتاب لا يحتمله والله تعالى يوفقنا واياك بفضله
وسعة جوده انه على ما يشاء قدير

تمت الكتاب بعون الملك الوهاب

في اول ذي الحجة سنة عشر وثمانمايه

عبد الله

انت وليي في الدنيا والاخره
توفني مسلما والحقني بالصالحين

يا عبد الله ناد بالتحيير المعطي الكريم

واجبات الاسلام سبعة الطهارة ونفقة ذي رحم
دويته والصحبة وغيره وحقوق الابوين والمرأة
لزوجها شروط الاسلام عند الحنفية خمسة
عقل تمييز مع النطق بالشهادتين وكذا فهم
واختيار ذكره وعند ك فعنه سبعة
لصحة الاسلام شروط لو اتركه غيره اذا اسا نية الله
قابس بلوغ وعقل واختيار ثلاثة ونطق وفهم وترتيب
سادس